دار الثقافة

إدارة الوقت

الهروب من أزمة الوقت الطاحنة

مارك لتلتون

اهداءات ٢٠٠١
دار الثقافة
الهيئة الإنجيلية والقبطية

إدارة الوقت

الهروب من أزمة الوقت الطاحنة

بقلم

مارك لتلتون

ترجمة

إدوارد وديع عبد المسيح



Escaping the Time Crunch
By : Mark Littleton
This book was first published in 1990 by Moody Press.
Translated by permission and published in Arabic , 1997.

طبعة أولى
إدارة الوقت - الهروب من أزمة الوقت الطاحنة
صدر عن دار الثقافة - ص. ب ١٢٩٨ - القاهرة

١٠ / ٧٢٩ ط١ / ١-١ / ١٩٩٧
رقم الإيداع بدار الكتاب: ٧٩٢٥ / ٩٧
I.S.B.N 977 - 213 - 387 -3
جمع وطبع بمطبعة سيوبرس
تصميم الغلاف: سها ناجي

إهـــداء

إلى جدي وجدتي لتلتون
اللذين كان عندهما وقت كاف
للأشياء المهمة

مقدمة الدار

في العصر الحالي نحن نشكو من قلة الوقت لإنجاز أشياء كثيرة، إن كان لسداد مطالب المعيشة المتزايدة، أو للوصول لمستوى التفوق المادي والمهني. وبذلك أصبح عنصر الوقت هو الذي يتحكم في حياة البشر، خاصة بعد التطور السريع في المجالات العلمية والتكنولوچية في النصف الثاني من القرن العشرين، حيث كثرت اهتمامات الناس، وكثرت المنافسات، وكأنهم في سباق مع الزمن لكي ينجزوا أعمالاً كثيرة في وقت واحد، ولا يفيق الإنسان إلا ويجد أن العمر قد سبقه دون أن يحقق الحياة المرجوة مع الله ومع نفسه ومع الآخرين.

وهذا الكتاب يضع أمام القاريء المصري والعربي خبرات كثيرة لأناس من المجتمع الغربي الذي يدعّي الحضارة والتقدم وكيف أدرك هؤلاء الناس في النهاية أنهم يجب أن يتكيفوا مع عنصر الوقت باختيار الأولويات الهامة في الحياة، وكيف يستفيدون من الوقت المتاح لنجاح عملهم وسعادة أنفسهم وسعادة عائلاتهم، وفي خلق علاقة طيبة مع الله والناس.

ودار الثقافة إذ تنشر هذا الكتاب باللغة العربية، تدرك أنها تنشره في الوقت المناسب ليساعد القراء على تحاشي التوتر والإنزعاج، واستقلال الوقت بطريقة أفضل ليعيشوا حياة أكثر هدوءاً مع أنفسهم ومع الله.

دار الثقافة

محتويات

الوقت

عدد قليل من الأسئلة

عندما خلق الله الساعة الأرضية، هل تركها وشأنها بعد ذلك؟

أم وضع خطة لدورانها؟

لو متُّ اليوم، أو قل لو نفد الوقت، فهل ما أزال أتعثر في حدود الزمان الحاضر؟

وعندما تبدأ الأبدية ويكفّ الزمن عن دورانه، فهل يمكن أن نعرف الوقت في السماء، أم هل ننفلت من قبضته؟

وكيف يمكن أن أقول لا يهم، كم من الوقت أوفّر، ورئيسي في العمل يضبط ساعة الإيقاف عنده، ثم يبدأ في تعنيفي وتوبيخي بقسوة؟

ولماذا يمضي الوقت مسرعاً كالقذيفة إذا هرولت وجريت؟

أعلم أن هذا السؤال الأخير ليس عويصاً بما فيه الكفاية، ولكن لماذا أشعر عندما أستيقظ من النوم كأني لم أنم لحظة واحدة؟

هذه الأسئلة تحاصرني، فهل يمكن أن تقدم لي بعض الإجابات أم أمضي قدماً للأمام دون الالتفات إلى أية إجابة؟

مقدمة
مجتمع السرعة والاندفاع

«لقد استمتعت كثيراً بقراءة غلاف مجلة عدد مايو الذي كان يحمل العناوين التالية: «انقضى الوقت!، تأخذ الحياة دورتها في نشاط مستمر» ولسوء الحظ لم أجد لديّ متسعاً من الوقت لأتوقف وأقرأها.

توماس وينز Thomas J. Wiens في رسالته

إلى مجلة Moody Monthly

بعد نشر مقالة عن مشكلة الوقت

في عدد مايو ١٩٨٩

«التعب جزء لا يتجزأ من اسمي»

كارول روهدر Carol Rohder

«تايم» ٢٤ أبريل ١٩٨٩

كان جون .ف كيندي John Kennedy يرأس أمريكا وكأنه يجلس فوق ثوب مخملي، وليندون بانيس جونسون Lyndon Baines Johnson، أطلق صيحة «المجتمع العظيم»، وتحدث الرئيس بوش Bush عن «النقاط الألف المضيئة».

وفي ضوء أحوال العصر الحديث فهذه العبارة يستحسن أن تعني

«ومضات الضوء الألف المرتعشة الطائرة والمائتة أيضاً». أو لنقتبس قول الرئيس جونسون «مجتمع السرعة والاندفاع». فالساعة لم تعد تدق، ولكن الوقت ينهب نهباً، إنه يحشر الناس منذ ساعة الاستيقاظ حتى النوم عندما يشعرون أنهم مثل أنبوبة معجون الأسنان الفارغة.

وأنت ترى ذلك حولك في كل مكان ، فلقد مضى الوقت الذي كان فيه الناس يقرأون الجرائد في رحلات القطارات اليومية، والآن تراهم يقرأون في سياراتهم أثناء القيادة، فهم ينظرون إلى الطريق بين آن وآخر ليفسحوا الطريق للشاحنات الضخمة ثم يعودون لقراءة العناوين الكبيرة. إن الناس يتناولون الإفطار والغداء والعشاء في سياراتهم، وأنت تجد بقايا الأكل في المقعد الخلفي. وقد أخبرتني زوجتي عن سيارة صديق قائلة: «يا مارك إنها تشبه سيارة القمامة فهم يأكلون وينامون فيها». ولدينا الآن تليفونات في السيارات ليس لتبادل الأحاديث ولكن لعقد الصفقات الكبرى، وفي وسط ازدحام المرور في الطرقات. ولن يمضي وقت طويل قبل أن يكون عندنا تليفونات للدراجات أو تليفونات شخصية معلقة بالأحزمة، وسوف تصبح الخيالات العلمية بالسفر إلى الكواكب البعيدة حقيقة واقعة.

وفي النوادي الرياضية يركب الناس آلات تدور وهم في وضع الثبات دون الاستناد على مقابض، بل وهم يحملقون في تلال من التقارير والمذكرات والأوراق. قال أحدهم «إني أؤدي بعضاً من أحسن أعمالي وأنا داخل جهاز الغطس. قم برعاية أعمالك التجارية كما تقوم ببناء جسدك ورعايته».

فنادراً ما تجلس العائلات سوياً لتشارك في وجبة مطهية جيداً، ولكنهم

يسعدون بتناول وجبات سريعة مطهية (بالميكروويف)، وكل تلك الأجهزة المنزلية الحديثة لم تجعل من المنزل سوى مكان للاستراحة، فالوقت الوحيد الذي يجتمع فيه الأب والأم والطفل هو الوقت الذي يذهبون فيه للفراش للنوم، وهناك بعض الأجهزة الحديثة يطلق عليها «مجموعات حجرة النوم».

لا وقت للود

ولكن هناك ما هو أردأ. تقوم فيث و. بريدج (Faith W. Brigel) وهي باحثة اجتماعية معتمدة في (بالوالتو) بكاليفورنيا بالعمل مع مجموعات من السيدات لمساعدتهن في التعامل مع محنة الوقت، لقد قالت «نحن لم نعد في حقبة الستينات أو السبعينات ، إن الثمانينات وقت العمل الجاد وتكويم كل شيء على قدر ما تستطيع، إنه زمن محموم ومسعور، لا وقت فيه للود أو العلاقات الحميمة».

وعالم العمل قد تغير تغييراً جذرياً، ففي إحصاء حديث نجد بعض الأرقام المفزعة: ففى عام ١٩٧٣ كنا نعمل بمتوسط ٦,٠٤ ساعة أسبوعياً، وفي عام ١٩٨٧ وصلت إلى ٤٦,٨ ساعة في الأسبوع. وفي نفس الوقت تناقصت ساعات الفراغ من ٢٦,٢ ساعة أسبوعياً إلى ٢٠,٢ ساعة فقط، أي أن هناك نقصاً مقداره ست ساعات يتم تخصيصها للزوجة والأولاد، وكل ما يمكن أن نقوم به من أشياء عزيزة علينا، وكنا نقدمها لخدمة الرب، وهناك أبحاث أخرى لهاريس Harris تبين أن المحترفين يعملون بمعدل ٥٢,٢ ساعة أسبوعياً، ورجال الأعمال يعملون عادة بمتوسط ٧٥,٣ ساعة في الأسبوع.

ما سبب كل هذا النشاط؟ يُحصي الخبراء عدداً من العوامل، أحدها المنافسة المتزايدة من الخارج. إن الأعمال في الولايات المتحدة في صدام ومنافسة مع نظيرها في الخارج، فكل واحد عليه أن يضيف مزيداً من الوقت لتضييق الفجوة.

وعامل آخر يتعلق بانتقالنا من الاقتصاد الصناعي إلى اقتصاد الخدمات، فحين تكون في قطاع الخدمات فأنت تصبح في مواجهة مع الجميع. والعامل الأكثر غرابة سببه التنظيمات الفيدرالية، فكميات الأوراق التي يتحتم على رجال الأعمال والأطباء والمحامين أن يملأوها تصل إلى كميات هائلة.

الأمهات العاملات

وعدد الأمهات العاملات أيضاً يسهم بشكل بارز في أزمة الوقت التي نعاني منها، هناك مقال في صحيفة (وول ستريت Wall Street) يحتوي على بعض الإحصائيات للتدليل على ذلك، فهناك ٦٥٪ من الأمهات اللاتي عندهن أولاد أقل من ١٨ سنة يعملن، بالمقارنة بـ٦٤,٧٪ في العام الماضي. و٥٠,٨٪ من الأمهات اللاتي عندهن أطفال حديثو الولادة يعملن أيضاً، والأمهات العاملات اللاتي عندهن أطفال قبل سن المدرسة ظلت نسبتهن ثابتة وهي ٥٦٪، وأمهات أكثر في العمل يعني وقتاً أقل في المنزل، ووقتاً أقل لبناء صرح الأسرة ووقتاً أقل لعلاقات «متميزة».

أجرى فريق جامعة بوسطن الذي يرأسه برادلي جوجينز Bradley Googins بحثاً يشمل ١٦٠٠ موظف في مؤسسة عامة وشركة متخصصة في أرقى أنواع التكنولوجيا، فوجد أن ٣٦٪ من الآباء و٣٧٪ من الأمهات قالوا إنهم يشعرون بالكثير من الإجهاد والضغوط النفسية لمحاولتهم التوفيق بين العمل والحياة العائلية. فلا يوجد وقت كاف للتحرك هنا أو هناك، فالحركة مقيدة.

الكنيسة أحياناً تزيد العبء

قد تظن أن الكنيسة تقدم لنا مرفأ آمناً وسط هذا الصخب والاندفاع، ولكن ليس الأمر دائماً هكذا. إن تيم كيميل (Tim Kimmel) رئيس هيئة تعمل مع الشباب ووالديهم، يقول إن مشكلة الوقت عبارة عن مجموعة من العوامل، ولكن هناك «جاذبية خاصة تتمثل في إيقاع الحياة السريع» فالكثيرون منا يجدون راحة نفسية غريبة في أن يجدوا أيامهم مكتظة بالأحداث وبرامجهم مليئة، وحياتهم تطارد الأسابيع التي تهرول في لمح البصر، لقد قال لي كميل "إن وسائل الإعلام تستغلنا، والأعمال التجارية تكافئنا، وهذا يرضي غرورنا. وحتى الكنيسة تشجع ذلك، فالكنيسة يمكن أن تكون طرفاً في المشكلة، فنحن نطالب بأن يشارك الناس في اجتماعات الأحد صباحاً والأحد مساء والأربعاء مساء، فإذا لم تشارك فيها فأنت لست على قدر حقيقي من الروحانية، فنحن في الأغلب نربط بين الروحانية والنشاط. النشاط المحموم!"

ويوافق (جين جتز Gene Getz) المؤلف المشهور والعقل المفكر لمركز تجديد الكنيسة في بلانتو Planto بتكساس على هذا فيقول «إن الناس تتقاذفهم اتجاهات مختلفة، فهناك المدرسة والمنافسة في العمل، والأمهات العاملات، والعبء الاقتصادي. بالتأكيد هناك بعض النواحي المادية. بالتأكيد هناك شيء من المادية وشيء من الضرورة، ولكن في كثير من الحالات يتطلب الأمر وجود راتبين فعلاً للإنفاق على ضرورات الحياة».

فهل تسهم الكنيسة في حل المشكلة؟

أحياناً، ولكن ليس دائماً، تفعل ذلك. يقول (جيتز) عن الكنائس التي تفعل ذلك: «حسناً، نحن نعلّم الناس تخصيص وقتهم للعائلة، وعندئذ نملأ جدول الكنيسة ببنود تجعله مكتظاً، وعلى الناس أن تختار أي الاجتماعات يمكنها أن تحضر، ثم نخبرهم أن عليهم أن يكرسوا كل وقتهم للرب، ثم يبدأ التوتر الحقيقي حين تطلب من الناس المزيد من المشاركة، وهذا يضعهم وجهاً لوجه أمام المزيد من الاختيارات، ثم تتصاعد عقدة الذنب».

ويؤكد (راندى شلر Randy Schiller) خبير الكمبيوتر في بلتيمور بميريلاند، أن المشكلة الماثلة أمامه يمكن وضعها كما يأتي: « يطلب منك الناس أن تفعل عدة أشياء في الكنيسة، وما أن تبدأ في ممارسة هذه الأشياء حتى يجتاحك إحساس داخلي بضرورة ألا تتخلى عن هذه الأشياء، وتشعر أنه لا يوجد أحد يستطيع أن يأخذ مكانك، وهكذا يتضاعف الشعور بالذنب إذا فكرت في التخلي عن هذا العمل».

أمـــور شخصيـــة

وكأحد المهتمين بشئون الطفل ورعايته فإني أعلم بمشكلة الوقت وأشعر بها جيداً، فأمس وجدت نفسي متلبساً بالقيام بستة أشياء معاً دفعة واحدة، فكنت أقرأ جريدة «وول ستريت» في الوقت الذي كنت فيه أتحدث مع زوجتي عبر الهاتف بينما كنت أمضغ كعكة الإفطار بصوت مرتفع، وفي نفس الوقت أرقب الكمبيوتر لأتأكد من دقة الناتج، وأراجع تاريخ اليوم، وأكتب فكرة في مفكرة الجيب الخاصة بي.

وقبل ذلك غادرت منزلي بعد أن عملت لنفسي فنجاناً من القهوة الفورية بملء الفنجال بماء ساخن من الصنبور فأنا لا أستطيع الانتظار حتى يغلي الوعاء! وكنت أعتقد أني سوف أعود للعمل بعد ذلك بثلاثين ثانية ألتقط بعض القراءات من الكتاب المقدس قبل الانهماك في العمل اليومي، ولكني شعرت بالحاجة لدخول الحمام ففقدت أكثر من ثلاثين ثانية في الحمام، وهو الوقت المتبقي لقراءة الكتاب المقدس.

وأميل لوضع خطّة اليوم أثناء التنقل من مكتبي إلى مقر السكرتير، فأقول لنفسي «هذا وقت ضائع يمكنني استغلاله في التفكير قليلاً"، وأحياناً أحاول جاهداً أن أزور حجرة الرجل حتى أحصل على بضع دقائق أختلي فيها بنفسي.

العطلات؟ أنسى ذلك، كل ما أريده أن أستلقي في الفراش لأعد نفسي لمواجهة الأسابيع الثلاثة عشر المقبلة لسباق الحياة، المدعو «بسباق الفئران»

وليس أكثر من ذلك.

فليس هناك اتجاه أو هدف، كل ما في الأمر أن أذهب هنا وهناك، إلى أين؟ إلى أي مكان طالما أنك تتنفس بصعوبة وتثير الغبار هنا وهناك.

إني أعرف بعض الناس لا يستطيعون أخذ حمام دفعة واحدة، فينظفون ظهورهم أيام الاثنين وأقدامهم أيام الثلاثاء ويصبّون قليلاً من الماء على أجسادهم كل ثلاثة أيام (بالطبع يغسلون ما تحت الإبط كل يوم- فقد تبقّى لهم شيء من الاحترام للآخرين).

ويتناولون عشاءهم أثناء قراءة الجريدة، وهم يرجون من أطفالهم أن ينتهوا من عشائهم، وأصواتهم تردد في حناجرهم بالموافقة على أي شيء تقوله زوجاتهن إليهم، ويستخدمون السيارة للاستماع إلى شريط تسجيل أو التأمل في الكتاب المقدس أو يكتبون أفكاراً ذات صلة بموضوع التأمل في الوقت الذي يحشرون فيه سندوتشاً من (البرجر) في أفواههم، كل ذلك في وقت واحد، ثم يحددون مواعيد لزيارة الأصدقاء حتى يقولوا إنهم حاولوا على الأقل، ثم يقومون بإلغاء المواعيد في آخر دقيقة لأنهم .. حسناً، ليس هناك سبب حقيقي، (أخمن أنهم منهكون ومستنزفون) وممزقون كالورق بالمعنى الحرفي. وأنت تسأل «هل هم يمزحون؟» لبعض الوقت فقط.

وقد تسأل «أليس هذا خطية؟» ونحن نحيلك على نشرة أخبار الساعة السابعة فيما يختص بذلك.

وقد تسأل «هل تحب حياتك؟» وما الذي يُحب، إن معظمنا لم يرقبها بالدرجة الكافية حتى يشعر بها وهي تمضي.

ومع ذلك فنحن نعرف «أننا لسنا الوحيدين في نفس الورطة، وإلا فلتبرق باستخدام الفاكس.

هل قلت الفاكس؟ والآن هناك طريقة لافتداء الوقت، فقط فمن المحتمل أنه بعد أن ترسل شيئاً بالفاكس فأنت عادة تتلقى شيئاً كرد على ما أرسلته، وقد يكون الرد أكبر مما أرسلته بكثير فقد يصل لـ ١٨ صفحة ، إذن فعليك أن تبحث عن وقت للرد عليه، وأن تنسخه للآخرين، وأن تضعه في ملف خاص وهكذا.

هل هذا هو الطريق الذي قصده الله؟

هل قصد الله أن تمضي حياتنا بهذا الشكل؟ فإذا كان الأمر كذلك فكيف يقول الله «كفوا واعلموا أني أنا الله» (مزمور٤٦: ١٠).

أو (الرب راعيّ فلا يعوزني شيء. في مراع خضر يربضنى وإلى مياه الراحة يوردني يرد نفسى» (مز٢٣:١-٢)؟

كان بالأولى أن يقول «الرب يعد لي عربة مطهمة سريعة، فسوف أحصل على ما أريد، إنه يوقظني ويجعلني أمشي، إنه يقودني وسط المياه الهادئة في عربتي المسرعة، إنه يأخذني إلى المخزن».

نعم، الحياة المريحة، الحياة المريحة ! هل هذا أمر جيد؟

كلا، فالله لا يقصد أن تكون حياتنا هكذا. يوجد رجاء، فمن خلال هذا

الكتاب سوف أعطيك بعض الأفكار، وبعض المباديء، وبعض الفقرات الكتابية عن هذا الموضوع. وقد طبّقت أنا نفسي هذه الأشياء عملياً في الأيام الأخيرة، وأنا أعلم أنها تأتي بنتائج باهرة، وأحب أن أساعدك كي تخرج من دوامة الزمن وإيقاع الحياة السريع إلى شيء أكثر راحة. وسوف أحاول أن تكون الفصول قصيرة بقدر الإمكان.

حسناً لا داع لتقديم وعود، ولكنني أعدك بشيء واحد فقط، فإذا قرأت هذا الكتاب بمعدل صفحة واحدة كل دقيقة، يمكنك أن تحصل على ما تريد في الوقت المناسب ..

وللإجابة على هذا الفاكس، خذ حماماً (ونظف ظهرك) قل شيئاً لزوجتك على عجل، وهندم ياقتك، واكتب فكرة في مفكرة الجيب الخاصة بك، والمح العنوان الرئيسي في الجريدة بطرف من عينيك وأنت تسمع لموجز أنباء الصباح .. أليس كذلك؟.

القسم الأول

المشكلة:

«إني متعب لدرجة أن التعب صار جزءاً لا يتجزأ من اسمي»

[1]

الله: ما الذي يريده مني بالضبط؟

«زرعتم كثيراً ودخّلتم قليلاً. تأكلون وليس إلى الشبع. تشربون ولا تروون. تكتسون ولا تدفأون. والآخذ أجرة يأخذ أجرة لكيس مثقوب .. لماذا يقول رب الجنود. لأجل بيتي الذي هو خراب وأنتم راكضون كل إنسان إلى بيته» . (حجي ١:٦و٩)

ظللت عدة سنوات أقتبس قولاً مأثوراً لمارتن لوثر في حديثه عن موضوع الصلاة:« عليَّ أن أفعل الكثير اليوم، لذلك فعليَّ أن أقضي الثلاث ساعات الأولى في الصلاة وإلا فسوف ينتصر عليَّ الشيطان».

عليَّ أن أفعل الكثير؟ والشيطان سوف ينتصر عليَّ؟ والثلاث ساعات الأولى في الصلاة؟

يا أعزائي! إذا كان هذا هو حال مارتن لوثر- الذي تحتل إنجازاته وسيرته الذاتية في ما كتب عنه من كتب مكاناً فوق رفوف المكتبات أكثر من أي إنسان آخر، وهذا ما كان يفعله، فكيف يكون الحال معي؟ هل ينتصر الشيطان عليَّ كل يوم؟

بصراحة فإن هذا الاقتباس لا يدفعني لمزيد من الصلاة، لكنه يكاد يشل حركتي تماماً، ثلاث ساعات في الصلاة؟! الثلاثة الأولى؟! حتى قبل أن يمزّق ورقة العمل؟ وقبل أن يطفيء نيران المدفأة؟

الآن أعلم أني أبله تماماً!

هل شعرت يوماً بنفس هذا الشعور- كمسيحي «أبله»؟

كمسيحي لا يعيش كما يريد أن يتوقع منه الله؟

ورد مقال بجريدة التلمذة Discipleship Journal عنوانه «لا أشعر أني مسيحي حقاً»، تبدأ المقالة بإيضاح من زوجة كانت تبدو أهدأ من المعتاد في إحدى الأمسيات، وعندما سألها زوجها عن مشكلتها قالت «لا أشعر أني مسيحية جيدة حقاً» فما سبب مشكلتها؟ أجابت السيدة «منذ مدة وأنا لا أشعر أني أستمتع بوقت هادىء، فبعد مطاردة طفلين طوال النهار أحس أني منهكة تماماً، ويحل بي التعب لدرجة أني لا أستطيع أن أقرأ الكتاب المقدس وأصلي، وتمر فترات الصباح بسرعة جنونية ولا يأخذ الطفلان سنة من النوم، ولذا فقد مرّت أسابيع دون فرص تعبدية، حتى إني لست متأكدة إن كانت لي علاقة مع الله أم لا».

هذه السيدة تعاني مما أسميه «مرض عقدة ذنب ضياع الفرص التعبدية» وهذا يعني أنه إذا فاتتك الفرصة التعبدية يوماً ما، فالله يغفر لك هذا الذنب ببساطة، ولكن إذا فاتتك مرتين فهو يغضب منك وينظر إليك نظرة غاضبة من فوق السحب تجاه سطح منزلك. أما إذا فاتتك ثلاث فرص تعبدية فإنك تجد أمثلة لما يحدث في سفر الرؤيا.

قد تظن أني أمزح، ولكني في الواقع لا أمزح، فهناك الكثير من المسيحيين الأتقياء الذين ينظرون إلى الموضوع من هذه الزاوية، ومع ذلك فالمشكلة يمكن أن تتعقد أكثر من ذلك، فهل وجدت نفسك تقول أياً من

العبارات التالية:

«إني لا أستخدم مواهبي كما ينبغي حقاً» «لقد قلت له لا، وإني أشعر بالندم لذلك»، لقد كانت حصة مدرسة الأحد جيدة ولكني لا أشعر بالرضا عنها، لقد قضيت خمساً وأربعين دقيقة فقط للتحضير لها هذا الأسبوع».

«إني لا أعتقد أني يمكن أن أرضي الله بالطريقة الواجبة».

«وإذا لم أقم بعمل شيء روحي فإني أشعر كما لوكنت أضيّع وقت الله وحياتي أيضاً».

هل وجهات النظر هذه حقيقية؟

الكتب المقدسة واضحة

إن الكتب المقدسة واضحة فيما يختص بهذا الموضوع، فهي تخبرنا أن «نفتدي الوقت» (انظر أفسس٥:١٥-١٧) «مفتدين الوقت» لتكونوا على استعداد أن نكرز بالكلمة «في وقت مناسب وغير مناسب» (٢تيموثاوس ٤:٢) وأن «نحصي أيامنا» حتى نستطيع أن نقدم لله «قلب حكمة»(مزمور ٩٠:١٢).

ولكن بطريقة ما فإن نفوسنا الساقطة يمكنها أن تلوي كل هذه الحقائق حتى تصبح عبئاً ثقيلاً. فما معنى أن «نفتدي الوقت»، هل المفروض أن نملأ كل دقيقة في إنجاز أعمال روحية؟

كيف يمكن أن نستغل كل مناسبة؟ وماذا يحدث لو طرقت المناسبة على بابنا ونحن لسنا مستعدين؟ هل سيعاقبنا الله بشدة على هذه الخطية عندما نقف أمام كرسي دينونته؟

أما عن الكرازة والشهادة فمعظمنا يعلم خيبة أملنا في تحقيق ذلك، فمن قائل« إني أجاهد لكي أبتعد عن الإساءة للناس لئلا تصدمهم شخصيتي، ناهيك عن التبشير بالإنجيل»، والكثيرون لا يجاهرون بإيمانهم المشترك مرة واحدة في العام، دع عنك «في وقت مناسب وغير مناسب».

وهذا القول عن «إحصاء أيامنا» يشبه كثيراً القول «أحصى الله ملكوتك (أيامك)».

القاسم المشترك

إن عقدة الذنب هي القاسم المشترك في كل هذه الأقوال، فإذا استفدنا من الوقت جيداً نشعر بالذنب بخصوص الدقيقة التي أضعناها في احتساء فنجال القهوة، وإذا لم نستفد من الوقت جيداً نشعر بعقدة ذنب مضاعفة، وإذا استفدنا من الوقت جيداً ولم نشعر بالذنب قد يقول أحد المسيحيين الحسني النية شيئاً يضيّع علينا كل ما عملناه.

إن أحد جوانب المشكلة أننا لا نعرف بالضبط ما يرضي الله، هل برنامجه يسمح لنا بوقت فراغ نضيع فيه الوقت، ونجلس ونحملق في شيء قد يكون

لعبة من ألعاب الفيديو؟ أم علينا أن نطلب ملكوته وبره حتى تصبح كل دقيقة مفعمة بالروحانية؟ ماذا يريد الله منا بالضبط؟

أسباب مشكلة المسيحي المتخم

إن كانت مشكلتك مع الوقت ترجع لعقدة الذنب وأنك تشعر أنك لا ترضي الله فأهلاً بك هنا، لقد مر (مارتن لوثر) في كثير من الإحباطات والمعارك مع الشيطان بشأن إرضاء الله لدرجة أنه في ذات مرة ألقى بمحبرة مملوءة على الحائط في يأس وإحباط، ويستطيع السياح اليوم أن يشاهدوا آثار هذا الحبر على الحائط.

كتب (أ.و توزر Tozer) ذات مرة قائلاً «إن هجوم الشيطان الأول على الجنس البشري كان يكمن في محاولته الخبيثة في تدمير ثقة حواء في عطف وحنو الله .. فلا شيء يشوه النفس أكثر من فكرة خاطئة عن الله».

فما هي الأسباب التي تشعرنا أننا لن نستطيع إرضاء الله في مدى استغلالنا للوقت؟

أحد هذه الأسباب هو سوء تفسيرنا لكلمته، فإذا اعتقدنا أن «افتداء الوقت» يعني شغله وشحن كل دقيقة فيه بأكبر كم من الإثارة الروحية، فلن نكف عن الشعور بالإحباط، ولكن إذا أردنا أن نمتلك إحساساً بالفرح والرجاء في الحياة المسيحية، علينا أن نعرف عن أي شيء تتحدث كلمة

الله، فنحن لا نستطيع أن نعبد الله إلا بالروح و«الحق».

والسبب الثاني هو أننا نعطي الله صفات ليست فيه، فإذا كنا نعتقد أن الله عملاق رهيب ينظر بغضب من علياء سمائه بحثاً عن شخص يحصل على شيء من المتعة حتى يضربه بقضيب صولجانه فهذا الانطباع كفيل بتشويه أرواحنا بدلاً من أن يسمو بها، ومع هذا فكم عدد المسيحيين الذين يشعرون أنه مهما عملوا فهذا لن يرضي الله؟ وماذا يعني هذا سوى أن يجعل من الله رئيساً سماوياً يواصل الليل بالنهار في العمل ويطلب نفس الشيء من العاملين تحت إمرته؟

وسبب ثالث وهو الميل لمقارنة منجزاتنا بمنجزات المسيحيين الآخرين. فأنت دائماً تجد شخصاً يبدو أنه يعمل أكثر منك.

قرأت مؤخراً عن (بول يونجهيPaul Yongghi) راعي أكبر كنيسة على ظهر الأرض، فهو يصلي خمس ساعات يومياً. خمس ساعات؟! وكل يوم! عليَّ أن أعترف بأن هذا لا يدفعني لمزيد من الحماس ، على العكس إن ذلك يدفعني للإحباط تماماً، فإذا كان هذا ما لابد منه لنرضي الله، فمعظمنا يكون محظوظاً لو أنه فعل ذلك مرة واحدة في حياته كلها.

يبدو لي ...

إنه يمكن تلخيص مشكلتنا مع الوقت والله لنضعها في شكل أسئلة محددة:

١- ما الذي يتوقعه منا الله بالضبط فيما يتعلق بحسن استخدامنا للوقت؟

٢- ما الذي يعتبر الفشل الحقيقي في موضوع الوقت في نظر الله؟

٣- ما المباديء التي أعطاها لنا الله في كلمته لتساعدنا في إرضائه؟

إن فهم الإجابات على هذه الأسئلة هو ما سوف نتأمله في الفصلين التاليين، ودعنا الآن نترك هذه الأسئلة، فمشكلتنا أكبر من مجرد علاقتنا مع الرب، مع أن هذه مشكلة كبرى في حد ذاتها. فلدينا أيضاً مشكلات في الكنيسة.

[٢]

الكنيسة: اجتماعات متصلة خارج المنزل

إن الكنيسة -وليس العالم- يجب أن تكون ضابطة الإيقاع في الحياة. (روبرت هـ سيربليس، في خطاب إلى رئيس تحرير مجلة Moody Monthly - مايو ١٩٨٩).

عندما كتبت مقالاً عن أزمة الوقت لمجلة Moody Monthly في مايو ١٩٨٩، رد (روبرت. هـ. سيربليس Robert.H. Surples) بخطاب إلى المحرر قال فيه «إن لتلتون يصوّر الكنيسة كضحية لضغوط الحياة، والكتاب المقدس والاختبار يصوّرها ضابطاً لضغوط الحياة، فالكنيسة وليس العالم يجب أن تكون كذلك بجعل خدمات الأحد والأربعاء المسائية ناهضة يحضرها عدد كبير من الناس عن طريق الخدمة المليئة بالروح».

وأنا لا أعترض على كلمات (مستر سربليس)، فالكنيسة لا يجب أن تكون ضحية لضغوط الحياة، بل يجب أن تكون «ضابطاً لإيقاع الحياة» وفوق الكل يجب أن تتسم بالاجتماعات «العامرة» التي تتصف «بالخدمة المليئة بالروح».

ولكن ماذا لو....

ماذا لو لم تكن الكنيسة كذلك؟ ماذا لو تمثلت الكنيسة في جمهور

يلهث وراء قادة من الواضح أنهم يسيرون في ركاب العالم؟ وماذا لو كانت الخدمات لا تتسم «بالخدمة المليئة بالروح» بل:

بعظات ليست مُعدّة جيداً.

وتراتيل وموسيقى ليست جيدة الإيقاع

وقيادة غير واضحة الأهداف والمقاصد

وحيث يقوم عشرون في المائة من الشعب بكل العمل

بينما يقف الباقون في موقف المتفرج

وهناك نقص عام في الحماس فيما يتعلق بالروحانيات

وموقف يفضل النوم على الذهاب لممارسة الخدمة

مع توجيه اللوم الدائم على عدم القيام بعمل كاف

وعدم الخدمة الكافية وعدم المشاركة الكافية

مع وجود راعٍ يعمل من سبعين إلى ثمانين ساعة أسبوعياً دون هدف محدد ؟

إذا كان هذا هو حال كنيستك، فهذا سوف يجعل الناس يشعرون بالاضطراب والغضب وعدم الرغبة في إعطاء وقتهم وجهدهم للخدمة.

أرجو أن تفهم

إني لا أدين الكنيسة العصرية، ولا أقول إن كل الكنائس تقع تحت بند

الوصف السابق ذكره، كلا فمن الواضح أن هناك العديد من الكنائس القوية والقادة الممتلئين بالروح.

ولكن يوجد آخرون ليسوا كذلك، فالبعض منهم يشبهون كنيسة لاودكية المذكورة في سفر الرؤيا ٣:١٤-٢٢،، انظر إلى الأعداد من ١٥- ١٧ «أنا عارف أعمالك أنك لست بارداً ولا حاراً، ليتك كنت بارداً أو حاراً هكذا لأنك فاتر ولست بارداً ولا حاراً أنا مزمع أن أتقيأك من فمي. لأنك تقول إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس و«فقير وأعمى وعريان».

ما تأثير ذلك على الكنيسة؟

وكما يبدو الموقف كئيباً فإن أسوأ ما في الأمر تأثيراً هو مشكلة الوقت على الكنيسة».

يعلق (مايكل جرين) الأستاذ المساعد للتعليم الميدانى بكلية اللاهوت في دالاس، الحضور القليل التي نراها في كثير من الكنائس بالقول: «إن خدمة أمسيات الأحد في كثير من الكنائس ميتة، واجتماع الصلاة مساء الأربعاء كذلك شبح هزيل، فمن المستحيل إنهاض هذه البرامج في العديد من الكنائس».

لاحظ التأكيد مع ذلك على كلمة «كثير من» وليس «كل» الكنائس ولا

حتى «معظم»، ولكن هل يعني ذلك أن نكف عن هذه الخدمات؟

ليس بالضرورة، فتقليص عدد الخدمات لأن الكنائس ليست ممتلئة بالناس لا يعني أن «الأقلية الأمينة» لا تحتاج لغذاء روحي. فواضح أن البرامج المتميزة فقط وكذلك الخدمات الهادفة هي التي تجذب المؤمن العادي، فإذا لم يحصل على شيء منها فلماذا يسهم فيها؟ مع التسليم بأن مبدأ «ما الذي يمكنني أن أخرج به منها» يمثل وجهة نظر خاطئة، ولكن إذا لم نستطع أن نأتي بهم للاستماع إلى الرسالة، كيف يمكننا أن نعلمهم حقيقة هذه الأفكار الخاطئة؟

ويضيف (تيم كيميل) بالقول «إن الكنيسة أحياناً هي آخر من يدرك حقيقة ما يجري، وهذا أمر مأساوي لأن العائلة واقعة فعلاً تحت ضغط من مصادر أخرى، ويقول أيضاً «إن النظام العام كله يعاقب الأسرة التقليدية» « فالنظام المدرسي يسيء إلى العائلات بالضغط عليها مادياً، والحكومة لا تتيح فرصة لالتقاط الأنفاس بغرض الضرائب، والكنيسة تستغل الأفراد (الطيبين) الذين يبدو أنهم لا يستطيعون أن يقولوا (لا)، ولذا فإنهم يحترقون بين النار والمقلاة».

اختفاء المتطوعين

كانت النسوة تمثل السواد الأعظم من بنيان الكنيسة، فقد كان عندهن الوقت وكن يتطوعن لتقديم المساعدة حين يعجز عنها الرجال. ولم يعد الأمر

هكذا، يقول (جرين) «لقد كن قادرات على تقديم عمل غير مدفوع الأجر» والآن فالكنيسة ليس عليها فقط أن تستأجر راعياً شاباً وخادماً للتعليم المسيحي بل شخصاً آخر للقيام بالخدمة للنساء وللأطفال، لقد أصبح الأمر يتطلب محترفين للقيام بهذه الخدمات، وليست هناك خدمات تطوعية

لقد عملت (رامونا تكر Ramona Tucker)، وهي محررة تعمل في إحدى دور النشر، في خدمة المراهقين لما يقرب من ستة أعوام، وعمل زوجها في نفس الخدمة لمدة عشر سنوات، وقد انسحبا لأسباب شخصية، وهي تعلّق بالقول «إن إحدى المشكلات أن العديد من الأزواج لا يأتون إلى الكنيسة، وهذا يمثل أحد الضغوط، كما أن الزوجات الأصغر سناً واللاتي لهن أطفال صغار يردن أن يعملن فقط مع مجموعات تتولى رعاية أطفالهن، ويتبقى بعد ذلك النساء الأكبر سناً واللاتي يشعرن أنهن قمن بدورهن وهن أصغر سناً، والآن فعلى الشابات أن يقمن بمعظم العمل، لقد وصل الأمر لدرجة أنه على الكنائس أن تستأجر ببساطة أناساً ليقوموا بكل شيء».

أسوأ ما في الأمر

ولكن الصرخة المدوية لطلب ما يشبع الاحتياجات الحقيقية قد وصلت إلى قلب الخدمة، إلى بيت الراعي نفسه، فقد قالت زوجة أحد الرعاة: «إنني منهمكة في دراسة الكتاب المقدس في كنيسة (أخرى)، فقد كنت أقود أحد هذه الدراسات في كنسية زوجي، ولكنها لم تكن مشبعة، فقد أردت من

الناس أن يعرفوا الرب أكثر، ولكن الفريق أراد أن يذهب في اتجاه آخر، ولذا فقد وجدت فريقاً في كنيسة أخرى كان يرغب في ذلك». فإذا كانت زوجات الرعاة يهربن من موقعهن بالكنيسة فأي أمل يتبقى للآخرين؟

(ايلين مريل Eileen Merrel) وزوجها (مايك Mike)من سلفر سبرنج بولاية ميريلاند يقومان بالخدمة كمدرسين ومستشارين في مدرسة الأحد، ولكنهما اضطرا للانسحاب من الخدمة كمستشارين بسبب ضغوط الوقت، وهي تضيف قائلة: «وأرجو ألا يكون ذلك موقفاً دائماً». فمن الواضح، أن عدد النسوة اللاتي يقدرن على تكريس الوقت والجهد أقل من ذى قبل حين كن يستطعن ذلك.

تغيير اجتماعي جذري

عامل آخر يضاف لمشكلة الوقت هو التغيير الاجتماعي الجذري في السنوات الماضية الأخيرة، وقد أثر ذلك في الكنيسة تأثيراً هائلاً، فهناك أمهات عاملات أكثر من ذي قبل، وآباء يشكون من الوحدة، علاوة على مشكلات الطلاق، وأسر تعاني من زوجة الأب أو زوج الأم، وعدد كبير أصبح له توجهات جنسية غير تقليدية أكثر بكثير من ذي قبل، كل ذلك قد أثّر على دور العائلة في الكنيسة.

والنتيجة إن بعض المسيحيين يهربون من الكنيسة ويرفضون الذهاب لكل الاجتماعات مفضلين التواجد في المنزل والاستمتاع بحياة عائلية شبه عادية وما ينعونه الناس أكثر من أي شيء آخر هو التدهور الملحوظ في العديد من

الكنائس، ففى مقال في مجلة (التايم) أن «الحقيقة الجوهرية فيما يتعلق بالخط الأساسي للبروتستانتية في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم أنها في محنة شائكة. والتحول المذهل واضح في النزيف غير المسبوق في العضوية في الثلاثة مذاهب الرئيسية منذ عصور الاحتلال».

هذه الطوائف الرئيسية الثلاث هي كنيسة المسيح المتحدة التي انخفضت فيها العضوية بنسبة ٢٠٪ منذ١٩٦٥، والكنيسة المشيخية بنسبة ٢٥٪ والكنيسة الأسقفية بنسبة ٢٨٪.

قال واحد في إحدى الكنائس المحافظة والقريبة من النمط الإنجيلي التقليدي معلقاً على هذا التدهور «عدم الرضى عن قادة الكنيسة الكبار، والخدمة الضعيفة من على المنبر قد أضعف اهتمامي بالعبادة في السنوات الأخيرة»

ما هي المشكلة بالضبط؟

فما هي المشكلة التي يعاني منها الناس؟

يقول (كارى برايس Carey Price) مدير مبيعات الأثاث في متجر سيرز Sears فيHunt Valley بولاية ميريلاند :«السبب الرئيسي لعدم انضمامي للكنيسة هو ببساطة أني أعرف أني لا أستطيع أن أعطيها الوقت الكافي وأضاف قائلاً« فالتكريس الحقيقي يتطلب كثيراً من الوقت، وأنا لا أجد مثل هذا الوقت بالإضافة للخدمات الأخرى المفروضة عليَّ». إن (كاري) مرتبط بالعمل في معسكر مسيحي وهو قائد في الـ (CBMC) وهذه الحروف

اختصار للجنة رجال الأعمال المسيحيين، وهي منظمة لرجال الأعمال تسعى لضم تلاميذ للمسيح من خلال العمل اليومي، ولأسباب شخصية يرى أن هذه الأنشطة تتعارض مع الخدمة في كنيسته باعتبار أن هذه الأنشطة أولى بوقته.

ويقول رجل أعمال آخر هو (ديف بيوتيل Dave Buetell) وهو مدير مبيعات في شركة كهربائية في (بالتيمور) قال بصراحة «لن تشعر أبداً بالراحة، فأنت تتعرض لضغوط من الناس الذين في الكنيسة، وتشعر بمسئولية تجاه عائلتك، ولكن معظم الوقت ينتابك شعور بالذنب، فأنت تشعر أنك لا تستطيع أن تقول لا، فهناك توتر لا يصدق».

ولخص راندي شلر Randy Schiller كل شيء قائلاً: «لم يسبق لي أبداً أن تعرضت لهذه المشكلة حتى أصبحت عضواً في الكنيسة».

اجتماعات خارج المنزل

لقد أسس يسوع التلمذة له، ، والكنيسة العصرية تتحدث عموماً عنها، لقد كان يسوع يؤدي خدمة حقيقية. والكنيسة العصرية، لسوء الحظ، يبدو أن لديها سيلاً لا ينقطع من الاجتماعات. دكتور جوزيف ورنر Joseph Werner أخصائي علاج الأقدام في كوكيز فيل Cockeysville بميريلاند يدير أربعة مكاتب وله ثلاثة شركاء، وهو عضو في مجلس إدارة مدرستين مسيحيتين، وهو منضم لمنظمة رجال الأعمال المسيحيين مثل كاري برايس، ويقضي أيضاً

العديد من عطلات نهاية الأسبوع في الكنيسة، وهو يقول: «إن أكبر مشكلة تواجهنا هي عدم مقدرتنا على تناول وجبة في البيت لكل أفراد الأسرة سوياً، ففي أغلب الوقت أكون أنا في اجتماعات المساء وأقابل زوجتي وأطفالي خارج المنزل لتناول العشاء في الفترة ما بين العمل والاجتماعات، وأصبح لفظ الاجتماعات غير محبب لأطفالي، فأنا لا أستطيع في أغلب الأحيان مساعدتهم في أداء واجباتهم المدرسيةُ أو مشروعاتهم ، ولا شيء يتم تأديته بطريقة مريحة في منزلي بالنسبة لكل أفراد الأسرة، أما الحصول على راحة فإنه يتطلب وقت فراغ أو على الأقل فصل التليفون»

وفي بعض الكنائس يمكن أن تقضي معظم حياتك في الاجتماعات، فهناك الاجتماعات التعبدية، واجتماعات اللجان، واجتماعات الشباب واجتماعات مدارس الأحد، والأنشطة الاجتماعية، وكل ذلك بدعوى الرابطة وأن الاجتماعات هي الوقت المناسب لذلك. قال لي واحد طلب عدم ذكر اسمه «لقد كان والدي يقضي وقتاً طويلاً في الكنيسة، وكان لديه عمله الخاص، فكان عليه إما أن يعمل لوقت متأخر من الليل أو أن يكون في الكنيسة، فكان نادراً ما يكون معي، لقد أبغضت حياة كهذه وما زلت».

أكثر من اللازم

وعندما تدرس العهد الجديد لا تجد انطباعاً أن هناك اجتماعات في مستوى ومرتبة اجتماعات اليوم، فمعظم «الاجتماعات» التي تجدها في

سفر الأعمال إما «أحداث» إنجيلية تلقائية أو «أوقات» للصلاة قد رتبت استجابة لحادث خاص، وكثير من التعليم المسيحي كان يؤدى من بيت إلى بيت أو في الهيكل، فأنت ببساطة لا تجد كل هذا التنظيم وكل هذه الاستعدادات التي تجدها في كنيسة اليوم.

البديــــل

والسؤال هو: هل نحن وضعنا نظاماً للاجتماعات يمكننا من الوصول لروحانيات حقيقية (دون هوكنز Don Hawkins) الذي يعمل في العيادة المسماة Meien Minirth ومقدم البرامج الإذاعي الذي يحمل نفس الاسم، يعلّق قائلاً: « إن الكنيسة الإنجيلية قد ساهمت بقدر ما في الإيقاع السريع للمجتمع بتخطيط العديد من البرامج للأحداث المختلفة، ثم بالضغط على الناس ليفعلوا الكثير، وكل ذلك تحت مسمى الخدمة المسيحية»، وهو يضيف قائلاً : «إن الكنيسة نفسها لا تريد أن تتخلص من عبء البرامج العديدة، فالمشرفون عليها يشعرون أنهم يغضبون الله بتحدي الكتب المقدسة وبعصيانها في حالة إيقافهم لبرنامج أو أكثر، وتتضاعف عقدة الذنب لديهم».

ويقول (بوب أوزبرن Bob osBurn) مرسل يعمل في المجالات الدولية بولاية منيسوتا «إني أعتقد أن الكنيسة الإنجيلية قد بالغت في أنشطتها. إن الكنيسة سوف تلتهم ما تبقى لك من وقت الفراغ».

(وبرنت برووكس Brent Brooks) راعي ومؤسس لإحدى الكنائس في كولومبيا بمريلاند يرى أن هذه مشكلة خطيرة، وتمثل إعاقة ليس فقط للروحانية الحقيقية والنجاح، بل أيضاً لتكوين تلاميذ للمسيح «إن نظام الاجتماعات المتعددة والتكوين البيروقراطي للبنية الأساسية لمعظم الكنائس يسبب لها مشكلة في أخذ التعهدات من شعبها، فلذلك يشعر الناس أنهم واقعون تحت ضغط، لقد كان يوم الأحد من قبل هو يوم استرخاء «ولكن الآن فهو اندفاع في اندفاع - من اجتماع لآخر».

هل القيمة الحقيقية في الاجتماعات؟

لا أحد يطلب أن توقف الكنيسة كل الاجتماعات وعمل اللجان، وخدمات الشباب والأنشطة الاجتماعية وكل أشكال الشركة المسيحية والكرازة والعبادة، ولكن من الواضح أن الناس قد وصلوا إلى حد التشبع، فبقليل من التفكير نجد أن اجتماعات الأحد مساءً، وحتى اجتماعات الصلاة يوم الأربعاء هما اختراع حديث وليس هناك شيء مقدس فيما يتصل بهما . فالله لم يعطنا الشكل، لقد أعطانا المضمون، أي أنه قال لنا ما يجب أن نفعله، ولكنه لا يخبرنا في جميع الأحوال، وبخاصة في مجال الاجتماعات والخدمات كيف نفعل هذا الشيء أو ذاك.

نوعية الاجتماعات

ربما تكون المشكلة في نوعية الاجتماعات وليس في الاجتماعات ذاتها، ففي كثير من الحالات لا يسهل خداع النفس أو الروح!، فمع أن أعداداً كبيرة من الكنائس الإنجيلية تنمو إلا أن هناك كنائس إنجيلية لا تنمو أو تتدهور كالطوائف الأخرى المشابهة. ولسوء الحظ فإن فرح وقوة المسيحية- والتي تعني أن أناساً يمارسون حياة الإيمان في بيوتهم وأماكن عملهم وفي الأسواق- قد تغير مفهومه إلى حد كبير، فنحن نلتقي الآن في الكنيسة لكي نحافظ على دوران العجلة بدلاً من أن يكون اجتماعنا للتدريب على مواجهة العالم.

والمحصلة النهائية لذلك أن الناس تشتعل غيظاً، والبعض يشقون عصا الطاعة، ويقولون «إما أن تصبح الاجتماعات التي تعقدونها أكثر فائدة وقيمة أو لا نحضر».

هل هذا نوع من الأنانية؟

هل هذه أنانية وخطية واضحة؟

إلى حد ما هذا صحيح - ولكن الذنب لا يقع فقط على عاتق عضو الكنيسة، إن الذنب يقع على الجميع: بدءاً من الرعاة، والقادة الذين لا

يقومون بالرعاية أو القيادة كما يجب إلى «الخروف الكسول» الذي لا يريد أن يستغنى عن الوقت المخصص لمشاهدة التليفزيون.

لابد من التغيير، ولكن أي نوع من التغيير؟

إن الشكاوى التي وصلتني من الكنيسة واجتماعاتها الكثيرة يمكن تلخيصها فيما يأتي:

خدمات كثيرة لا تقدم تعليماً أو إلهاماً أو تفي بعبادة حقيقية.

اجتماعات كثيرة جداً.

مربكة وفقيرة في القيادة.

اجتماعات قد فشلت في التوصل إلى قرارات، ويجب أن يعاد النظر فيها.

اجتماعات تستمر وتستمر دون نهاية.

اجتماعات بلا مضمون.

اجتماعات يديرها أناس لمجرد عقد الاجتماعات.

اجتماعات تتضمن الكثير جداً من الأنشطة الخارجية.

وهناك الكثير جداً من الأنشطة الأكثر جاذبية من الأنشطة الكنسية.

الكثير جداً من الأشياء التي أضطر لإرغام أطفالي وعائلتي ونفسي على الذهاب إليها.

القليل جداً من العبادة والاستمتاع بالله.

وبعد مدة وجيزة يملّ الواحد من كل شيء، ويتراجع للخلف ويقول: «ما الفائدة؟ سوف أفعل شيئاً آخر».

ولذا فإنه ينضم إلى منظمات خارج الكنيسة- شديدة الشبه بالكنيسة أو خلاف ذلك.

فما هي الإجابة؟ مرة ثانية سوف نكتشف ذلك في الفصلين التاليين.

[٣]
أنا: عمل كثير جداً ... وقت قليل جداً

«لقد نفد الوقت في أمريكا»

(مجلة التايم- قصة الغلاف ٢٤ أبريل ١٩٨٩)

«الأمريكي» دائماً في عجلة من أمره»

(اليكسيس دى توكوفيل . ١٨٤)

لقد وجد علماء النفس مشكلة مزمنة جديدة عند الإنسان الأمريكي المعاصر، ويمكن تسميتها بمشكلة الـ (OOC) وهي الأحرف الأولى للكلمات Out of Control أي «خارج السيطرة».

إنها حروف أولى تتطلب أناساً من أولي العزم يبذلون الغالي والرخيص لاكتساب الأحرف الأولى التالية، والتي ترمز للدرجات العلمية التالية:

MBA. CPA. JD. .MD. PC. VCR. CD.

ومعناها كالتالي: ماجستير في إدارة الأعمال، محاسب عام معتمد، دكتور في الحقوق، دكتور في الطب، مسئول الأمن، مساعد المستشار الملكي، الملحق الدبلوماسي ..إلخ.

تقول (استير أوريولى Esther Orioli) مستشارة إدارة أعمال في سان فرانسيسكو إن هذه الحالة يصحبها غالباً خوف عظيم، فالذين تنتابهم هذه الحالة والتي يرمز لها بالأحرف الأولىOOC أي «خارج السيطرة» يظلون

مشغولين طوال الوقت وذلك حتى لا يلحظون أنهم خائفون لدرجة الموت، فالهدف المتحرك يصعب ضربه، فلو جلسنا ساكتين مدة طويلة يمكننا أن نلاحظ أن حياتنا العملية مضطربة وحياتنا المنزلية خربة».

وتضيف نانسى ريان Nancy Ryan المستشارة في سان جوز بكاليفورنيا أن حالة الـ OOC تنتهي بدائرة مفرغة شريرة..

«فنحن نريد الكثير وفي النهاية نخرج بالقليل، فعلاقتنا بالآخرين ليست وطيدة، وكذلك علاقتنا مع أنفسنا، كما أن تقديرنا لأنفسنا ضعيف، ولذا فنحن نقول «لو كان عندي منزل جديد، أو لو كنت أعيش في منطقة أفضل، أو لو كان عندى ملابس أفضل لصرت سعيداً». فمن الأسهل عليك أن تشتري سيارة جديدة لتجعلك تشعر أنك أحسن حالاً من أن تركّز داخل نفسك لتكتشف من أنت».

فالذي يحدث لأولئك الأشخاص الذين هم خارج نطاق السيطرة أنه هو أو هي تندفع بسرعة ولكن إلى أين؟ من يعرف؟ « ما عليك إلا الاستمرار في التحرك ولن يضايقك أحد».

وما يحدث في النهاية لهؤلاء الأشخاص الذين هم «خارج نطاق السيطرة» يصل إلى حد الفوضى الشاملة في كل شيء بدءاً من الجوارب التي في أرجلهم ومروراً بملابسهم الداخلية والملاءات التي لم تتغير منذ أربعة شهور إلى عدم القدرة على التركيز والنظرة الزائغة حيثما يذهبون.

نتائج الفوضى

وهؤلاء المحللون الاجتماعيون من الواضح أنهم لا يتحدثون من منظور كتابي، ومع ذلك فقد لاحظ المسيحيون نفس نوع المشكلة في حياتهم الخاصة وفي حياة الآخرين، فبدلاً من النظام نجد الفوضى، وبدلاً من وضوح الهدف والاتجاه. هناك الاضطراب الشامل.

في مجلة (Ordering Your Private World) كتب ماكدونالد عن هذا النوع من الفوضى الشاملة في الحياة الشخصية، فهو يلاحظ أن مكتبه مملوء بالركام ويبدو في مظهر فوضوي وسيارته كذلك، وينتابه خوف مرضي من أن يكتشف الناس ذلك عنه، ويفشل في الوفاء بالمواعيد والرد على المكالمات التليفونية، والوفاء بمواعيد إنجاز العمل، كما أنه يستغل وقته في أعمال غير مجدية أو مثمرة فلا يشعر بالتفاؤل أو الاهتمام بعمله، وتتبخر علاقته بالله، كما تصبح علاقاته الشخصية ضحلة وغير أكيدة، وينتهي به الأمر إلى حد كراهية نفسه ووظيفته أو أي شيء آخر في عالمه.

هذا الشخص موجود خارج نطاق السيطرة، لقد فقد الصلة مع نفسه، وعالمه وربه، إنه يمشي في طريق موحل لا يصلح للسير، والأدهى من ذلك، إن فوضى بهذا الشكل تولد الإحباط وخيبة الأمل وأخيراً اليأس.

المسيحي الفاقد للسيطرة

المسيحي الفاقد للسيطرة على نفسه- الشخص الذي يعاني من العجلة

من أمره ليصل إلى أي مكان ولكنه لا يدري إلى أين- يجد أن عدّة أشياء تبدأ في الحدوث في حياته. في كتابه «منزل صغير على الطريق السريع»، يذكر تيم كيميل سبعة أعراض لنمط الحياة التي تتميز بالتعجل وفقد السيطرة.

فأنت لا تستطيع الاسترخاء، عليك أن تفعل شيئاً الآن، ويستحسن أن تحصل على نتائج هائلة الآن.

قال لي برينت بروكس «يحدث كثيراً في الكنيسة أننا نعلّم الناس أن النشاط مساوٍ للروحانية، فنجبرهم أن يدرسوا الكتاب المقدس ويصلّوا ويشهدوا للمسيح، ويستخدموا مواهبهم وأن يقضوا أوقاتهم مع عائلاتهم وأن يخدموا في الكنيسة وأن يؤدوا عملهم بإتقان، ونحمّلهم بعبء الإحساس بالذنب الهائل، ويشعر الآباء بالإجهاد النفسي نتيجة لتكدس جدول أبنائهم، فيجرون هنا وهناك. أعتقد أن المطلوب تعليم الناس أن يحصروا نشاطهم في مناطق بعينها، وأن يجاهدوا وصولاً للتوازن المطلوب، فأنت لا تستطيع الحصول على كل شيء دفعة واحدة!». هذا النوع من القلق غالباً ما يرجع إلى الخوف غير السوى من الله. ففى جريدة التلمذة للمسيح (Discipleship Journal). لفت (كيفين ميللر Kevin Miller) الأنظار إلى نقطة أثارها روبرت هيدنوت Robert Hudnut وهو أحد رعاة الكنيسة المشيخية ومؤلف كتاب «هذا الشعب وهذه الأبروشية». يقول هيدنوت ميللر «أكد على أنه توجد حقاً قوتان دافعتان في حياتنا. الحب والخوف».

«وكلاهما فعال، ولكن الحب أكثر عذوبة وأقوى، ولذا فقد تعلمت أن

أسأل نفسي هذا السؤال: «هل أنا أفعل هذا بدافع الحب (لله) أو الخوف من أنه لن يحبني إذا لم أفعل؟

والخوف الذي يشير إليه ميللر يؤدي لعدم القدرة على الاسترخاء، فأنت ببساطة لا تفعل ما فيه الكفاية، مهما كان ما فعلته جيداً أو روحياً، ومهما كانت درجة إخلاصك وتكريسك، فهو ليس كافٍ بالنسبة لله أو للكنيسة أو لنفسك.

«أنت لا تستطيع أن تنعم بالهدوء» فلابد من تلك الضوضاء، فما أن تركب السيارة حتى تفتح الراديو بينما تضع قدمك على البنزين، وما أن تدخل من الباب في منزلك حتى تفتح جهاز الستريو أو التليفزيون. ما هو الهدوء؟ لا أحد يعلم؟ إنها دولة «نيفا هويد أودابوم Neva Hoid uh da bum وهي دولة اجنبية لن ترغب في زيارتها، فهي شيء قريب الشبه بتلك الأماكن في مجاهل أفريقيا حيث الضوضاء الوحيدة التي تسمعها هي زئير الأسد في الليل أو صوت جاموس الماء وهو يذرع في الطريق ذهاباً وإياباً.

أخبرتني جيري سويني Jeri Sweany وهي ربة منزل وأم عاملة وكاتبة مناضلة في أنابوليس بميريلاند قائلة: «كم مرة نكف ونهدأ؟ لقد رأيت هذه الآية (كفوا واعلموا أني أنا الله). وقالت لي ربة المنزل إنها وضعتها هناك لتذكّر كل فرد من أفراد عائلتها أن يهدأ قليلاً ويفكر فيما يقوله الله أو ما يريده من كل واحد منهم، فنحن لا نستطيع أن نعرف الله حتى نهدأ، إنني لم أتغلب على مشكلة الاندفاع والسرعة، ولكنني أحاول أن يكون لي نمط

حياة يمكن التحكم فيه حتى أستطيع التركيز على الأشياء الأكثر أهمية».

هذا الهدوء يهرب منا، ولا نستطيع التوقف طويلاً لنكتشف أن الهدوء يهدىء نفوسنا.

«إنك غير قانع بما عندك» بغض النظر عما عندك ومقدار ما حققته وموقعك، فهذا لا يكفي! ولذا فأحد الأسباب الرئيسية لمحنة الوقت التي نعاني منها هو مقدار ما ننفقه، فلو أطلقنا العنان لأنفسنا مادياً فسوف نضطر لاستغلال الوقت في تحصيل المال.

إنه مبدأ بسيط ولكننا غالباً ما نهمله، أخبرتني (إيلين ميريل) قائلة «إن المبدأ الأساسي الذي تعلمته هو أن محنة الوقت التي أعاني منها سببها أنني كنت أقوم بكل شي، والآن فإني لا أقوم بشيء دون أن يكون رد فعلي الفوري «لنصلّ لأجل هذا الأمر الليلة».

وأضافت قائلة: «إننا نقيّم على الدوام أين نقضي الوقت، فإن كانت هناك أعمال إضافية لبعض الوقت إذن فنحن نقيِّم أين سوف تذهب نقودنا، فمايك (زوجها) وأنا أنظر إلى الموضوع بهذه الطريقة: «احتجنا للإنفاق من أجل أمر ما فإننا نصلي لأجله! ويحدث كثيراً أن نستغني عن تلك الأعمال الإضافية».

ولكن هذه وجهة نظر يصعب أن نغرسها في هذا العصر الذي يقول فيه كل واحد: «فلأحصل عليها الآن».

«لا يمكنك إتمام عمل أي شيء»، فهذا المشروع ما يزال على الرف- بعد مرور سنتين، وهذه الهواية التي قصدت أن تبدأها لم تجد طريقها بعد لقائمة الأشياء «التي تبعث فيك شيئاً من الاسترخاء والمتعة»، وتلك الليلة التي طلبت منك زوجتك أن تقضيها معها بالخارج لا ولن ترى طريقها إلى النور، والسبب أن الوقت يبدو غير مناسب، لتجيبها بالقول: «عندي مشروع عليّ أن أنهيه يا عزيزتي».

قال (بول ج. ماير) : «إن الاختبار يبرهن على أن معظم الوقت يضيع ليس لساعات ولكن بالدقائق. فالدلو الذي به ثُقب صغير في أسفله يفرغ تماماً كالدلو الذي قُلب رأساً على عقب».

(بيل ماير Bill Meyer) مستشار إداري (مستقل) درس مؤخراً حالة أحد مديري البنوك، والذي كان يعمل ٨٠ ساعة أسبوعياً في عمل متصل في (وول ستريت) ليساعده في كيفية الاستفادة من الوقت بطريقة أفضل، ولا ينسى (ماير) حقيبتيّ اليد التي يمتلكهما هذا الرجل، فقد كانتا «من أكبر الحقائب التي رآها حجماً ومهابة».

فما هي نتائج دراسته؟ «بعد ثلاثة أيام جلس ماير وعميله واستعرضا مئات الأنشطة المدونة في كراسة ماير، فوجد أن ٨٠٪ منها -أي ٨٠٪ من الأشياء التي فعلها المدير الاستثماري خلال ثلاثة أيام- لم تؤد في آخر المطاف لزيادة إنتاجية الرجل رغم العمل المتصل الذي قام به خلال تلك الفترة. فقد كان السجِلّ الذي دونه (ماير) يفيض بمذكرات عن اجتماعات لا لزوم لها، ومكالمات تليفونية متصلة، وحتى الدقائق القليلة التي تضيع كل

يوم في ملء وتفريغ الحوافظ المنتفخة بالأوراق.

وكما يقترح سِجِلّ (ماير) فالسؤال الصحيح ليس هو «ما طول المدة التي أقضيها في العمل؟» بل « ما مدى الكفاءة التي أعمل بها؟»

إن عدم المقدرة على إنهاء أي شيء يضفي تأثيراً سيئاً على كل شيء بدءاً من أهل المنزل حتى مخطط العمل الذي يستغرق عاماً لإنجازه، فالوقت لا ينفد فقط بل إنه يجرى بك إلى أسفل حتى تتهيأ للانهيار التام أرضاً.

«أنت تحتاج للموافقة الدائمة وتشعر أنك مثقل بالعمل» «أخبرني من فضلك كيف أقوم بأداء عملي ولا تنتقدني فيه»، ولسبب ما فالشخص المغلوب على أمره هو غالباً من ذلك النوع من الناس الذي يحب إرضاء الجميع وهو يحتاج لجرعات مستديمة من التشجيع حتى يستطيع الاستمرار، وهذا شيء غير مرفوض، فمن الذي لا يود الاستمرار في مباشرة أعماله في توقيتها المضبوط ويجد أحداً من ورائه يشد من أزره قائلاً:«إنك رائع! إنني أحبك! امض قدماً! إنك تستطيع أداء المهمة!». ولكن المشكلة فيما يتعلق بهذا التشجيع أننا غالباً ما نجد وراءه همساً خفياً يقول:«إذا لم تلبّ مطالبي سوف أكسر عنقك». لقد عبرت عن ذلك (ماري آن دين Mary Ann dean) وهي مدرسة اعتزلت العمل وهي تعيش الآن في ولاية أريزونا بالقول:«لقد كنت أسيرة لمحنة الوقت سنوات عدة، ولكن عن طريق كتاب قرأته بدأت أفهم كيف أنني كنت قد تعلمت أن أعمل وأتطوع لأحظى بالقبول لدى الآخرين، وقد أراني الكتاب كيف أنني كنت أشعر أنني مرغمة على العمل لإرضاء الآخرين، وفهمت أيضاً كيف أنني كنت بحاجة للتحكم

في الآخرين وأسعى لإرضاء الناس، وكل ذلك سلب مني عصارة الوقت والجهد».

كيف هربت من هذه الحالة؟«لقد مرضت لمدة ثلاث سنوات ولم أرجع لحالتي الطبيعية بعد ولكن أشعر بتقدم كبير، وخلال هذه المدة قمت بقراءة كتب كثيرة وإعادة التفكير في حياتي، وبدأت أشعر أن محنة الوقت أكثر من مجرد عدة ساعات قليلة في اليوم، لقد كانت بالنسبة لي تمثل جزءاً من شخصيتي وطريقتي في الحياة، وإذ بدأت أتعلم لماذا كان يجب عليَّ أن أنهمك في العمل بدأت أغير أهدافي وسلوكي، والآن فإنني أجد أنه من الأسهل بكثير أن أقيّم كل جوانب حياتى قبل أن أقول نعم». أحياناً يطرحك الله أرضاً قبل أن تأخذ مهلة وتهدأ وتسمعه!

علقت جيري سويني Jeri Sweany على نفس الموضوع بالقول: إن الآية التي أثّرت فيّ كثيراً موجودة في غلاطية ١ : ١٠ «أفأستعطفت الآن الناس أم الله. أم أطلب أن أرضي الناس»،

ففي أحيان كثيرة أجد نفسي أحاول إرضاء الناس، ومحاولة إرضاء الناس تقودني لعمل أشياء ليس لديَّ وقت لها، ويساعدني التأمل في هذا العدد على التركيز على ما أفعله ولماذا أفعله، ويمكننا أن ننشغل كثيراً في مساعدة الناس عندما يكون ذلك ما يريد الله أن نفعله في وقت معين، وربما لا يريد منا سوى أن نهدأ ونقضي وقتاً معه».

«تحت قناع الهدوء أنت على وشك الانفجار» إن سر العائلة يدفعك للجنون في أي لحظة يتسرب فيها، ولذا فإنك تضع حراسة مشددة على

نفسك، وأنت تشعر أنك محاصر ومحبط، فأنت تريد أن تصرخ بالفعل، فالفتيل قد تم إشعاله، واللهب يتجه نحو هدفه، ولكنك بعصبية تجذب الخيط محاولاً أن تلقيه بعيداً حتى لا ينفجر.

في كتابه الصغير «القوة من خلال الصلاة» يقتبس E.M Bounds قول (وليم ولبرفورس William Wilber): «هذه الهرولة الدائمة في العمل والشركة يحطمني نفسياً إن لم يكن جسدياً. إني أحتاج لمزيد من الوقت أقضيه مع نفسي ومزيد من الساعات التي أصحو فيها مبكراً! لقد كنت معتاداً من قبل لإعطاء القليل من الوقت للتدريبات الدينية، للتعبّد والتأمل الروحي وقراءة الكتاب المقدس .. إلخ. ولذلك فإني ضعيف وبارد وجاف».

ضعيف وبارد وجاف، هذا وصف ينطبق على قلب شخص قد طوقته دوامة الاندفاع والهرولة، فهو - أو هي- قد صار إنساناً آلياً مجرداً من العواطف، ومع هذا فيوجد في أعماق هذا الشخص فوران وغليان في مكان ما كالحمم البركانية، مولدة الضغط ودرجة الحرارة التي تصل به لنقطة الانفجار.

قال C.S Lewis: «ليس هناك شيء كالتوقع والقلق يقف عقبة أمام العقل البشري في مواجهة الشيطان، فهو يريد الناس أن تركز فيما تفعله ومهمتنا أن نجعلهم يفكرون فيما سوف يحدث لهم في المستقبل».

إن الشيطان يريد أن يجعل المسيحيين «قابلين للانفجار» فكل ما يحتاجه ليحقق هذا الانفجار هو أن يضع يده على الزر الصحيح والفتيل الصحيح.

«عليك أن تفوز بأي ثمن، لا يمكن أن تكون سعيداً ما لم تكن ناجحاً»

إن «الأم الخارقة» و«الأب الخارق» و«الأبناء الخارقون» يدوسون بعضهم بعضاً للوصول لهذا الهدف.

وكفرد ينتمي لجيل الستينيات فقد كبرت وعندي اعتقاد راسخ بأني يمكن أن أحصل على كل شيء، فقد قال لنا أحدهم «يمكنك أن تحصل على كل شيء» وإني لا أتذكر من كان ذلك الشخص، وأين قال ذلك ولماذا امتلك علينا كياننا ، ولكني أحب أن أعترضه يوماً ما وأقول له « كاذب، أنت كاذب، أنت تنفخ في النار».

ففي الحقيقة لا يمكنك أن تحصل على كل شيء، وفي الواقع لا يمكنك أن تحصل على شيء كثير من ذلك «الكل»، فالهرولة ليس بمقدورها أن تمنحك ذلك، ولا السباق المحموم ولا الكف عن كل شيء، ولا الاستسلام، ولا الاحتياج الشديد، ولا السعار كذلك.

أشياء لقتل الوقت وأشياء لملء الوقت

إذا كانت مشكلة فقد السيطرة (OOC) وصورة الشخص غير المنظم ونمط الحياة ذو الإيقاع السريع المتعجل كلها أعراض، إذن فما هي مشكلات المسيحي في حياته اليومية؟

هناك أنشطة مرغوب فيها تتطلب اهتمامك

واختيارات كثيرة هامة علينا أن نختار منها

ومعلومات كثيرة تتوارد إلينا

وأصوات عديدة تجذب انتباهك

وهناك أشياء كثيرة أنت تريدها ويمكنك الحصول عليها بالدفع المؤجل

أناس عديدون يخبرونك ما هو هام

وأشياء كثيرة تبعث على التسلية

وأشياء كثيرة نحن نريدها أن تعمل بدقة

وكثير من الإغراءات

وكثير من عقد الذنب

وفوق الكل فنحن لا نعرف بالضبط ما الذي يهم أكثر، وتصبح الحياة طريقاً طويلاً نسلكه وسط الضباب، فأنت لست تعرف فقط أين خط النهاية، ولكنك حتى لا تعرف إن كنت في خط السباق الصحيح أو حتى إذا كان هناك فعلاً سباق من عدمه، أو إذا كان السباق يستحق التسابق فيه أم لا.

ولكن هناك حلاً، فأناس الماضي..

لم يعمروا طويلاً، وكانوا يتمتعون بالقليل من وسائل الراحة، وكان يوم عملهم قصيراً بسبب نقص الإضاءة.

واستغرقوا وقتاً أطول لعمل الأشياء البسيطة كالغسيل والطهي .. ومع ذلك ففي حالات كثيرة ما زال إنتاجهم جيداً، فقد سطروا كتباً قيّمة وما زالوا يظللون الأجيال المتعاقبة بإنتاجهم الوفير، ولدينا نفس الكتاب المقدس الذي كان عندهم.

[٤]

العائلة: الاندفاع اللذيذ

لم يعد أفراد الأسرة يأكلون معاً لأن المواعيد أصبحت متضاربة.

(Woody Price وودي برايس)

عبّر عن ذلك (مايكل جرين) بالقول:« إن المعركة لأجل أسرة مسيحية قد انتهت، فقد ضاعت الأسرة، وأصبح البيت مكاناً لالتقاط الأنفاس، ولتخزين السلع وتناول وجبة من آن لآخر».

فكل واحد يصرح أن الأسرة في محنة، فالجريمة والمخدرات والطلاق والمسكرات، كلها معاول هدم. ولكن ماذا عن مشكلة الوقت؟ قالت (كاثي تورست Cathy Trost) في جريدة (وول ستريت) مع تزايد أعداد النساء العاملات خارج المنزل، يشعر الرجال بضغط متزايد لقضاء وقت أكثر مع أبنائهم وللمساعدة في شئون المنزل، ومع ذلك فالرؤساء في العمل لا يسهلون لهم هذه المهمة، والنتيجة أن الرجال العاملين اليوم يشعرون بنفس المتاعب التي تعاني منها النساء العاملات من عدة سنوات. يقول (برادلي جوجنج Bradley Googins) وهو أستاذ مساعد في مدرسة العمل الاجتماعي الملحقة بجامعة بوسطن:«إن الإجهاد صار يعدل بين الجنسين».

وكتبت مجلة التايم في أحد التقارير «لم يكن أحد يتوقع أزمة الطبقة الوسطى، وهي ما تسميه (بولا رايمان) الباحثة الاجتماعية بكلية (ويلزلي

ستون سنتر): «السقوط للخلف في محاولة اللحاق بالركب». فأسعار المنازل قد ارتفعت بشدة، والتضخم يلتهم الرواتب، والأجور الثابتة، ونفقات العلاج والتعليم مستمرة في التصاعد، ولذا فإن الأمر يتطلب الحصول على راتبين للإنفاق فيما كان يعتقد أنه يمثل حياة الطبقة الوسطى. يقول رايمان Rayman «إن الحلم الأمريكي موجود ولكنه أكثر تكلفة».

إن عمل كل من الأم والأب يجعل الحياة أكثر صعوبة، و٧٥٪ من العائلات في الولايات المتحدة تمر في هذه الظروف، ولكن يجب على شخص ما أن يدير الوقت لعمل الغذاء وأخذ مواعيد من أطباء الأطفال ،والتسوق والطهي، وإصلاح الغسالة والقيام بالغسل والكي، وأخذ الأطفال للتدريب في جوقة الترنيم، والأسر ذات العائل الواحد تعاني أكثر من ذلك».

العائل الواحد

كيف تسير الأمور بالنسبة للعائلات ذات العائل الواحد؟ لقد سجّل مكتب إحصاء ١٩٨٦ أن ٨٨ مليون أم يعشن بدون وجود آباء لأطفالهن، وأن ٢٤٪ من هذا العدد يتلقون فعلاً الدعم الكامل المخصص الذي منح لهن بموجب حكم قضائي، وهذا يلقي بظله الكئيب على الجميع.

التغييرات المستمرة

يتحدث الآباء اليوم عن «عمل متزن».

(لويس ادني Lois Ednie) ربة منزل في هيرشي ببنسلفانيا تعلق على تأثير الأطفال على الزواج واستغلال الزوجين للوقت فتقول: «إن وجود الأطفال نتج عنه مسئوليات أكبر، مما أبعدنا عن بعضنا، فنحن (زوجي وأنا) لم نعد نتناول طعام الغداء معاً في العمل، ولم نعد نشترك في خدمة الشباب معاً، ونجد أننا بحاجة لعمل مشترك يحدث توازناً بين مسئوليات الأسرة والبيت، بين مسئوليات عمل الفطائر وفترة ما قبل الإنجاب، مع متطلبات الحياة المدرسية، ودراسة الكتاب المقدس».

مزيد من العلاقات

يمثل هذا العمل المتوازن نوعاً من الحرج خاصة عندما نتأمل في تعدد وتشابك العلاقات الحادثة في بيت مليء بالأفراد، فعندما تقرر زوجة صغيرة وزوج إنجاب الأطفال فإن عدد العلاقات بين الأشخاص يزداد زيادة رهيبة.

تقول (سوزان اوسبن Susan Osbun) وهي زوجة وأم يعمل زوجها (بوب Bob) مرسلاً في ولاية منيسوتا: «إن عدد العلاقات بين الناس الذين يعيشون في بيت واحد لا تزيد فقط عندما تستقبل شخصاً آخر، بل أنها

تتضاعف، فمثلاً عندما تزوجنا بوب وأنا، كانت هناك علاقة واحدة فقط، ثم عندما ولد ابننا الأول لم تكن هناك ثلاث علاقات بل أربع:

بوب وأنا

روبي وأنا

بوب وروبي وأنا

بوب وروبي

ثم لما جاء (جوي Joey) كان هناك مزيد من العلاقات التي تضاعفت كما يأتي: فمع وجود طفلين يكون هناك أربعة أشخاص، وعدد العلاقات الناتجة عن ذلك هي ٤ مرات مضروبة في ٣ مرات في مرتين في مرة واحدة فيكون الناتج ٢٤. والآن لدينا أربعة أطفال أي ٦ مرات مضروبة في خمس مرات في ٤ مرات في ٣ مرات في مرتين في مرة واحدة أي ٧٢. علاقة مختلفة حادثة بالفعل».

فما هي النتيجة؟ تقول سوزان: «لقد اكتشفت أنني لم أكن (ولن أكون) «أماً خارقة» ، لقد اضطررت لإحداث تغييرات في حياتي الخاصة، وفي زواجي وفي علاقتي كأم من أجل البقاء في حالة متوازنة صحياً وعاطفياً» ويوافق (تيم كيميل) على ذلك بالقول «فمن المضحك أن نجد أنفسنا بسهولة في حركة سريعة للأمام تحدث تغييراً أيضاً في أفكارنا لتكون منضبطة على نحو مختلف لما كانت عليه من قبل، إن ذلك لا يتطلب مجهوداً واعياً، بل أنه في الواقع النتاج المنطقي للقوى المحيطة بنا كل يوم».

«إنني أرى ذلك في عائلتي، فكل أفراد عائلتي قد اكتشفوا أن الاندفاع والسرعة تأتي طبيعياً، بينما حين نكون في حالة من الاسترخاء فإن ذلك يتطلب تقييماً مستمراً للأولويات، فجميعنا حين نكون جادين فيما يتعلق بحياتنا الروحية وحياتنا العائلية يجب أن نواجه القوى التي تهدد قدرتنا على الاحتفاظ بالهدوء النفسي».

حل المشكلة

كيف إذن يمكن للآباء أن يحلوا مشكلة الأفواه الكثيرة التي تنادي على أمهاتها أو آبائها؟ إن الآباء بحاجة للعناية بالأطفال بالنهار، وبحاجة أيضاً لشخص يجلس بجوارهم، وإلى امرأة تعتني بهم.

عند تواجدي في المنزل مع بناتي كنت أؤجر لهم فيلماً سينمائياً أو اثنين ليتسليا بمشاهدتهما بينما أقوم أنا بالكتابة، كنت أعتقد أن الفيلم سواء كان «الكابتن جانيورى» أو «عصور ما قبل التاريخ» أو «سندريلا» يمكن أن يصبح بديلاً للأب أو الأم، ولكن عندما جاءتني ابنتى في الطابق السفلي يوماً ما وقالت« يا بابا لقد مللت من الأفلام» عرفت أنني قد ارتكبت خطأً، وسألتها عما تفضله عندما أكون موجوداً بالبيت فقالت «أفضل أن نلعب لعبة أو تقرأ لي قصة». وعندما حاولت أن أتذكر كم مرة عملت ذلك معها ذهلت وانتابني شعور بالذنب، لقد فاتتني أهم السنوات التي تشكل حياتها وتركتها في رعاية التليفزيون.

أمور شخصية

ومع ذلك فبعض التأثيرات السيئة تكون وخيمة العواقب، فإيلين ميريل والتي اقتبسنا أقوالها من قبل صارعت مع مشكلة الوقت في بيتها لمدة طويلة. «لقد كان لها تأثير سيىء علينا جميعاً إذ كنا نتشاجر ونتشاحن، ولا نستمع للأطفال وننفق كثيراً من المال على الوجبات الجاهزة ثم نتشاحن على المال، ثم نفاجأ بأن الملابس التي نريد أن نرتديها قذرة، ونذهب إلى الكنيسة دون أن نصغي إلى العظة لأن همومنا تثقل كواهلنا».

يقول دكتور جوزيف ورنر Joseph Werner: «إن لي مهنتي وعندي عائلة، ولي خدمة في مجال العمل التأهيلي للشباب وكل ذلك يتطلب وقتاً يزيد على ما يمكن أن أوفره، والمشكلة ليست في الوقت الذي أقدمه في كل ميدان بل في الحاجة لإعطاء المزيد من الوقت لكل مجال، وهذه الحاجة تتقرر لسوء الحظ على يد الآخرين الذين يبدو أنهم لا يقنعون أبداً بالوقت الذي أعطيه».

وهذا قريب الشبه بالطائر الأم التي ترجع للعش وفي فمها دودة لتجد خمسة مناقير مفتوحة على آخرها وهي تصرخ «أعطني إياها».

وقال (دو وايت Dough White) رجل توزيع بريد «في السنوات الأربع الأخيرة من عملي سُمح لي أن أكون في المنزل مع باقي أفراد عائلتي في وقت فراغ لمدة ساعة تقريباً كل يوم، وقد كان صبري ينفد في المناسبات التي أضطر فيها للوقوف في الطابور، أو حينما لا أستطيع الحركة في زحام

المرور، لقد وُلد لي ابن حديثاً وابني يحتاج أن أتواجد معه، وأشعر أن أي تأخير يعتبر عقبة كئوداً في طريق قضاء الوقت معاً».

إن مثل هذا التوتر يلقى بظلال الغضب والإحباط على البيت حتى وإن كان الشخص يتحلى بالمبادىء المسيحية وثمار الروح (الصبر واللطف والوداعة) فإن التأفف يمكن أن يتغلب. إن مشكلة الوقت يمكن أن تجعلك تبدو وكأن هناك غولاً كامناً داخلك.

(وودي رايس Woody Rrice) خبير كمبيوتر وخريج جامعة حديث علّق على ذلك بالقول: «لم يعد أحد يتناول الطعام مع الآخرين لأن لكل واحد فينا جدول مواعيد يختلف عن الآخر».

ولم يعد طعام العشاء كما كان سابقاً في منزل العائلة وقت شركة وتجاذب أطراف الحديث، إن أفراد الأسرة الآن أشبه ما يكون بسفن تمخر عباب الماء في ظلام الليل، كل منها في اتجاه خاص.

الضغــــوط

فما هي إذن الضغوط الأساسية التي تواجه الأسرة؟

هناك الضغط النابع من ثقافتنا: «يمكنك الحصول على كل شيء إذا أعطيت الدنيا كل ما عندك». إن العالم يجعلنا نصدق أننا يمكن أن نحصل على كل شيء، وييسر الوسائل التي يمكن أن يتحقق بها ذلك حتى ولو أدى

بنا ذلك للوقوع تحت تأثير كم هائل من الشعور بالذنب والهموم المالية والخوف، وعن طريق ميكنة البنوك، يمكننا أن نحصل على أموالنا بمجرد الضغط على زرار. وعن طريق فتح الاعتمادات المالية لدى بعض رجال الأعمال لتسويق البضائع يمكننا الحصول على قرض فورى لبيت الأحلام ورحلة العمر أو الجهاز الذي نحلم به بمجرد التوقيع على استمارة، ويمكننا أيضاً الحصول على وجبات جاهزة من لحم الهامبورجر، ووجبات سريعة وساخنة، ويمكننا أن نتناولها في سيارتنا وهي تنهب الأرض بسرعة ستين ميلاً في الساعة متجهين إلى الجهة التي نقصدها .

وضغوط في مقر العمل: «إذا أردت الانطلاق في عملك فعليك بالجري» وهذا يعني خمسين أو ستين أو سبعين ساعة في عملك.

لا تتناول طعام الغداء، تناول بعض الأكلات السريعة، أعط لأطفالك «وقتاً متميزاً، ولا تقلق، كن سعيداً»، خذ زوجتك لتناول الطعام مساء السبت وحتى لو اضطررت لعقد صفقة آنذاك فيمكن الاتصال بل دائماً عن طريق تليفونك الصغير والمتصل بحزام البنطلون.

ضغوط من وسائل الإعلام: «اجعل الهنود دائماً في حالة قلق».

أخبرهم عن طريق الإعلانات التجارية ووسائل الترفيه ما الذي ينبغي طلبه، ثم ساعدهم في الحصول عليه، حتى وإن كان ما تبيعه ليس له قيمة، إن اسم اللعبة في الإعلان هو تقديم المغريات، ثم دعهم يرهنون المزرعة لثالث مرة للحصول على السلعة.

وضغوط من الكنيسة: «لدينا شيء ما لكل واحد كل ليلة من ليالي

الأسبوع»، وتتعدد البرامج، وترتبك العائلة، ويذهب كل واحد من أفرادها في طريقه ولا يجتمعون معاً.

وضغوط نابعة من داخل الإنسان ذاته: «أريدها الآن»، من مظاهر الخطية عدم الرغبة في انتظار الله من أجل عطاياه الصالحة، فبدلاً من ذلك نريدها الآن، فلسان حالنا يقول إن الذين ينتظرون هم الأغبياء، فالحياة تجري بسرعة.

وكما يقول (تيم كيميل)، إن نظام حياتنا المتعجل هو الشيء الذي «تقدره ثقافتنا، ويجد مكافأة من جهة الأعمال التجارية، وهو الشيء الذي تستغله وسائل الإعلام، وهو أيضاً مطمح أنانيتنا».

[٨]
العمل: أربعون ساعة لا تكفي

«لقد قمت بالطيران لمسافة . . . . . ٨٠ ميل العام الماضي، وبعد هذه الرحلة تجد نفسك وقد فقدت صلتك بالأشياء، إن عملي متصل بالبحوث وهي شديدة العلاقة بالتأمل، فإن اندمجت في الحياة بهذه الطريقة التي تجعلك تندفع بهذه السرعة فلن يتبقى لديك وقت للتأمل».

(من أقوال مستشار إداري - واقتباس عن مجلة التايم)

أجرت (كارول هيمووتز Karol Hymowitz) مقابلات مع عدد من الناس لنشرها في جريدة (وول ستريت) اختار هؤلاء الناس نظام الحياة البسيطة التي تتميز بالسرعة الأقل. ومن بين الأشخاص الذين أجرت معهم المقابلة شخص أصاب كبد الحقيقة حين سلط الضوء على الموقف من العمل المهني، واسمه (توم كوزنك Tom Kosnik) وكان إلى عهد قريب أستاذاً بمدرسة هارفارد للأعمال التجارية، قال «إني أشك كثيراً في أن يتمكن شخص ما من الاستمرار في العمل لمدة ٧٠ ساعة أسبوعياً لمدة طويلة».

إنه لشيء رائع! فهذا الرجل يوجه حديثه للعصر الذي نعيش فيه، ولكن ماذا يقول أيضاً .. «ولكن العمل لمدة أربعين ساعة فقط لا يكفي في وظيفة تتطلب الكثير، وبخاصة عندما تواجه منافسة عالمية. ويوافقه نائب مدير المبيعات في شركة للبضائع الاستهلاكية فيقول «إن الوقت من ذهب وإذا لم تعمل حساب الوقت فلن تصمد للمنافسة ولن تسلط عليك الأضواء».

وكنتيجة لذلك، فكثيرون من المسيحيين يجدون أنفسهم يواجهون معضلة مخيفة ومحيرة. التقدم في مجال عملهم المهني دون المساومة مع المبادىء المسيحية التي طالما آمنوا بها ومارسوها.

الأمهات العاملات

في عالم العمل اليوم يوجد عدد من المشاكل الواضحة فيما يختص بأزمة الوقت يشعر بها الناس، وأول هذه المشكلات مشكلة الأمهات العاملات. وقد أظهرت الدراسات، كما اقتبست قبلاً، أن أكثر من ٦٠٪ من الأمهات ذوى الأطفال الأقل من ١٨ عاماً يعملن، مع ما يصحب ذلك من متاعب وقلق للآباء والأطفال الذين يجلسون عند الباب انتظاراً لعودة والدتهم. إن العناية الفائقة بالأطفال تكلف كثيراً من المال، هذا بالإضافة لضآلة الوقت الثمين الممنوح للصغار.

ومع ذلك فقد لا ندرك حقيقة أن نظام الحياة هذا يحمل معه ضغوطاً كبيرة على الأم العاملة، فكثيرات منهن ينتهي بهن المطاف بأن يأخذن نوبة عمل ثانية «بما تعنيه العبارة حرفياً» عندما يرجعن للمنزل. هناك كتاب جديد عنوانه «النوبة الثانية: الأمهات العاملات والثورة في المنزل» بقلم العالم الاجتماعي (آرلى هوشيلد Arlie Hochschild) يوضح فيه المشكلة بتفاصيل مذهلة. يكتب هوشيلد «معظم النساء يعملن وردية عمل في المكتب أو المصنع ووردية ثانية (في البيت) وهذا يضيف ١٥ ساعة إضافية

في الأسبوع لمثل هؤلاء النساء».

وباحث آخر وهو جون روبنسون بجامعة ميريلاند ضمن دراسته ... ٥ رجل وسيدة لعام ١٩٨٥ ووجد أن النساء ذوات الأطفال الأقل من خمس سنوات يتراوح عملهن في المتوسط إلى ٢٢,٥ ساعة من الأعمال المنزلية في الأسبوع، واللاتي عندهن أطفال أكبر من ٥ سنوات يصل متوسط ساعات عملهن إلى ١٩,٩ ساعة، فماذا عن أزواجهن؟ اقسم عدد الساعات على اثنين. ما نتحدث عنه هو الوقت، فالنساء المحسوبات على قوة العمل ليس عندهن فقط وقت أقل للأشياء المهمة في الحياة، ولكن عندهن وقتاً أقل بكثير مما يعتقدن.

وعلى النقيض من ذلك تأمل حالة أستاذ القانون سريع الغضب في أحد البرامج التليفزيونية والذي كان دائماً يغادر مقر عمله الساعة الخامسة بعد الظهر. لماذا؟ لأنه كما قال لتلاميذه، كان عليه أن يقوم بأشياء أخرى هامة جنباً إلى جنب مع أعباء وظيفته، هذا من وجهة نظر برنامج تليفزيوني دتيوي رافض للمسيح.

البيوت المنقسمة

ومع هذا فعدد حالات البيوت المنقسمة في تزايد مستمر، لقد أصبح عدد البيوت والأطفال الذين يعيشون في كنف أحد الآباء فقط في ازدياد مخيف في الحقبة الأخيرة، فقد صدر تقرير عن مكتب الإحصاء حديثاً يقول إن

٥٤٪ من الأطفال السود يعيشون مع أحد الآباء، وأكثر من ١٥,٣ مليون طفل من جميع الأجناس يعيشون في بيوت ذات عائل واحد «وأن ١,٩ مليون طفل آخر لا يعيشون مع أي من الأبوين»، والأسباب واضحة: الطلاق، أو الانفصال.

بل الأكثر مأساوية من ذلك أن عدداً قليلاً من الآباء الغائبين عن أطفالهم هم الذين قد أوفوا بالتزاماتهم المالية، وفي سنة ١٩٨٦ اكتشف مكتب الإحصاء ٨,٨ مليون أم يعشن بدون وجود آباء لأطفالهن، وعندما أقمن دعاوى في المحاكم، فإن ٦١٪ فقط منهن حصلن على نوع من النفقة الزوجية، ولكن ٢٤٪ فقط يستلمن مستحقاتهن بالفعل.

هذا النوع من العبء المالي يسبب فوضى شاملة في مساحة الوقت لكل منهن، إنه يعني عدداً أكبر من الساعات التي تقضى في العمل للمواءمة بين الإيرادات والنفقات لهؤلاء الأمهات الوحيدات، ووقتاً أطول أيضاً يقضى في مساعدتهن ونصحهن وتوجههن في قاعات المحاكم، أما بالنسبة للكنيسة وأعضائها فإنه أيضاً يزيد العبء لأن الطلاق يؤثر على المسيحيين أيضاً.

السباق العالمي

إن عدداً كبيراً من المسيحيين قد لا يجدون أنفسهم متداخلين في مشكلة العائل الواحد، ولكن الجميع يواجهون تأثيرات الاقتصاد العالمي الجديد الذي

تتصارع فيه الشركات على صعيد عالمي، فشركات كبرى أقل يمكنها اليوم البقاء دون الدخول في معركة لأجل احتلال مكانة مرموقة في الاقتصاد الخاص بأوربا واليابان وأفريقيا وأمريكا الجنوبية وحتى في الدول الشيوعية، فمع بزوغ فجر الحرية في شرق أوربا وروسيا والصين، ستكون المنافسة أشد لتفتح أسواقاً جديدة في هذه البلاد.

وبالنسبة للعامل العادي فإن هذا يعني عدداً أكبر من الساعات تقضى في المبيعات وتطور الإنتاج والتسويق بكل الجهود الممكنة.

قال لي أحد المهندسين الذي يعمل بأحد الأقسام الدولية لشركة «متسوبيشي» وهو يعمل في الآلات التي تعيد تشكيل ألواح الحديد: «السفر من أجل العمل هو اللص الكبير الذي يسرق مني الوقت المخصص لبيتي» وهو يتمنى أن يقود فريقاً للكشافة، أو يعمل مدرباً رياضياً للأطفال، ولكن عليه الآن في موقعه الحالي أن يسافركثيراً، فمطلوب منه أن يسافر بمعدل من ليلة إلى ثلاث ليال في الأسبوع في لمح البصر.

اقتبست مجلة (التايم) قول أحد مستشاري إدارة الأعمال حين قال: «لقد قمت بالسفر جواً لمسافة . . . . ,٨٠ ميل العام الماضي، وبعد هذه المدة الطويلة من السفر تفقد ارتباطك بالأشياء، إن عملي يتعلق بالأبحاث التي تتعلق بالتفكير والتأمل، فإن دخلت في دوامة في هذا النمط من الحياة التي تتطلب كل هذا السفر فلا وقت يتبقى عندك للتفكير».

إن هذا الاقتصاد العالمي يعني مزيداً من الوقت والجهد لمجرد صراع

البقاء في معترك العمل، إن المسيحيين وغيرهم مطالبون أن يظلوا دائماً على أهبة الاستعداد على «أطراف أصابع أرجلهم»، والتحرك السريع وإلا فإنهم سوف يجدون أنفسهم ليسوا متخلفين فقط عن الركب بل حاملين حقائبهم بحثاً عن وظيفة أخرى.

التكنولوجيا

ومن بين الانقسامات الغريبة التي حدثت في مكان العمل ما يعرف بالأجهزة التي توفر الوقت والتي اخترعت في السنوات الأخيرة، فقد أطلق أحدهم أمام أحد اللجان الفرعية بمجلس الشيوخ في سنة ١٩٦٧ نبوءة تقول إنه بحلول عام ١٩٨٥ فإن الأمريكيين سوف يعملون لمدة عشرين ساعة فقط في الأسبوع، وأن الناس يمكن أن تعتزل الخدمة في سن الثامنة والثلاثين! فعدد كبير من الأجهزة المذهلة قد أخترعت مثل الكمبيوتر الشخصي وكمبيوتر الجيب وأفران الميكروويف والكثير من الأنظمة المبرمجة التي تعمل بالكمبيوتر في المنزل والسيارة سوف تجعل كل شيء عصرياً، وسوف لا يكون لدينا سوى وقت الفراغ والمتعة والمال.

هذا ليس صحيحاً فالذي سيحدث أن يمتد عملنا من خمسين إلى سبعين ساعة أسبوعياً دون أن يبدو للعمل نهاية، ويقول جيمس ترونزو James Trunzo مهندس معماري بجزيرة مانهاتن:«إن التكنولوجيا تزيد من ضربات قلوبنا، فنحن مغمورون بالمعلومات، والعقل لا يستطيع استيعابها

جميعاً، والخطو قد أصبح سريعاً الآن، لدرجة أني أحياناً أشعر أنني محارب أستخدم البندقية وأحاول تجنب طلقات الرصاص المنهمر من كل ناحية.

وإذا أراد أحد الاتصال بمكتبي من اليابان فيمكنه أن يكلمني عبر الهاتف أو يكتب إليَّ بالفاكس أو يرسل لي صورة على التليفاكس، وإذا لم ينفع ذلك، فإن جهاز الاستدعاء الآلي يستدعيني حيثما وجدت، وإذا لم أستطع إرسال البريد في الموعد المحدد، يقول لي واحد من المساعدين: «أرسله بالبريد المستعجل، أو من الأفضل تشغيل الكمبيوتر لإرسال المقالة عن طريق البريد الإلكتروني»

أين يمكن أن تجد مكاناً لتجلس فيه بهدوء دون ضوضاء؟!

حقائق بسيطة عن المال

لماذا نعمل؟ للحصول على المال؟ لماذا؟ لنعيش؟ لكن المعيشة اليوم مكلفة كثيراً، وجمع المال يستغرق الكثير من الوقت، وأن تحصل على مال أكثر فهذا يستغرق مزيداً من الوقت. قالت لي إيلين ميريل: «في وقت ما كنا أنا وزوجي في ضائقة مالية بسبب البطالة، وقد تطلب ذلك سنوات عديدة للتغلب عليها مادياً، وحتى بعد أن وجد زوجي عملاً بعد شهور قليلة، اضطررنا لشراء الكثير من السلع بالأجل، لقد كنا محطمين مادياً ونفسياً».

أين تذهب كل النقود؟ إن مكتب الإحصاء يعرف الإجابة مرة أخرى. في عام ١٩٨٧ كان المواطن الأمريكي العادي ينفق هو وأسرته ٢٤,٤١٤ دولاراً سنوياً. لماذا؟ فالقدر الأعظم من هذا المبلغ وهو ٧,٥٦٩ دولاراً كان ينفق على السكن، و٤,٦٠٠ دولار نفقات السيارة، والطعام يلتهم ٣,٦٦٤ دولاراً، و٢,١٧٥ دولاراً للتأمين الشخصي والمعاشات، والملابس ١,٤٤٦ دولاراً، و١,١٩٣ دولاراً لنفقات التسلية، و١,١٣٥ دولاراً تنفق على كل أنواع العناية بالصحة من أطباء ومستشفيات. ولكن كل ذلك يبدو بلا معنى ما لم تقارنه بإمكانيات الإنفاق لجيل مضى.

كتب رتشارد ريفز Richard Reeves في أحد المقالات في الـ (بلتيمورسن Baltimore sun) بعنوان «الأجيال الماضية»: «إن الضغوط شديدة اليوم بالنسبة للشباب، فكل ما يحيط بهم من مال أو رونق أو وسائل التسلية الحديثة يقدم لهم الكثير من المغريات .. هناك اثنتان من الثوابت الاقتصادية قد تغيرتا منذ أن كبرت، فالجيل الذي أنتمي إليه كان يمكنه أن يتولى زمام حياته في سن مبكرة لأنه (١) كان في إمكانك أن تشق طريقك في الكلية. (٢) كان بإمكانك شراء منزل، وكانت نفقات تعليمي في السنة تصل لـ ٨٠٠ دولار، وحتى في عام ١٩٦٠ كان بإمكاني أن أربح مبلغاً أكبر من ذلك قليلاً بالعمل في إجازة الصيف والعمل لبعض الوقت، أما أولادي اليوم فلا يمكنهم أن يكسبوا ٨,٧٣٧ دولاراً في العام وهو متوسط المبلغ الذي يدفع لنفقات التعليم هذه الأيام.

والدفعة الأولى لأول منزل اشتريته عام ١٩٦٥ هي ٦٠٠ دولار، وهو مبلغ كان في الإمكان تدبيره خاصة بعد تقديم شيء من المساعدة من

الوالدين.

«ولكن لم تعد المنازل تُبنى الآن بهذه الطريقة، فأفضل طريقة لكثير من الأبناء بما فيهم أبنائي أن ينتظروا الكبار حتى يموتوا للحصول على منزل، ولكننا نعيش لسنين أطول الآن، ولم يعد الكبار يموتون بسرعة كما كان الحال من قبل» .

ولمعلوماتك فإن ما يسمى بالحياة الطيبة لأسرة واحدة طبقاً لمكتب الإحصاء تتكلف مبالغ تصل قيمتها إلى ٥٦,٦.٥ دولاراً لمواجهة أعباء المعيشة الأساسية وليتبقى شيء آخر يكفي لبعض الكماليات.

مثل هذه الأرقام كفيلة بأن تجعل معظم الشباب الذي يبلغ أقل من أربعين سنة في حالة من التوتر والقلق، وهم يرون أنفسهم بين شقي الرحى.

المستقبـــل

ولو كنت قد قرأت ذلك من قبل ووجدت فيه ما يدفعك لأن تقول «سوف تتحسن الأمور في المستقبل» فلربما وجب عليك أن تعيد التفكير في ذلك الأمر، فقد وجدت أن مقالات عديدة تستطلع المستقبل قد دونت الحقائق التالية بشأن المستقبل:

سوف يمكنك أن تطلب طعام الغداء بالفاكس من مضجعك، ولكن سوف يتعين عليك أن تدفع أكثر لوصول الطلب للمنزل.

سوف يتكفل الإنسان الآلي الخاص بمنزلك بمراجعة محتويات ثلاجتك

ويطلب أي شيء عن طريق الكمبيوتر من الأسواق، ولكن «السوبر ماركت» سوف يخصم آلياً ما أنفقته من رصيدك في البنك.

إن عائلتك في الأغلب سوف تبحث عن الطعام عندما تأكل عدداً أقل من الوجبات، ولكن فلتطمئن فإنها سوف تكتشف مكانك في أي وقت تحتاج فيه إليك. وقد تؤدي عملك في منزلك، ولكن رئيسك في العمل سوف يكون أقرب ما يكون إليك عن طريق التليفون الذي سوف يوضع في الحزام حول وسطك.

وسوف يطلب منك أداء عمل أكثر بكثير مما تفعله الآن يومياً، ولكن سوف يكون أمامك ٢٤ ساعة في اليوم لأداء العمل.

إحدى المقالات اختتمت بهذه الكلمات بعد سرد الروتين اليومي لمدير من الطراز الأول يدعى (بيتر سميث Peter Smith) وهو يعمل مديراً لشركة للأدوات المنزلية: «الساعة السادسة بعد الظهر، قبل التوجه إلى المطار فإن مستر سميث يستخدم تليفون الفيديو ليعطي بناته قُبلة ما قبل النوم وليتحدث عن برنامج اليوم التالي مع زوجته ، ولعلمه أن عليها أن تقوم برحلة على غير المتوقع في مساء اليوم التالي فإنه يعدها بأن يلحق بالطائرة السوبر كونكورد عائداً لمنزله في وقت مناسب ليشرف بنفسه على ذهاب أطفاله للفراش.

ما العمـــل..

اقرع أجراسك، لقد كنت أعتقد قبلاً أن يوم الأحد هو يوم الراحة، ولكني

تلقيّت اليوم عدة مكالمات تليفونية غير متوقعة، اثنتان منها من منظمات للأطباء البيطريين تطلب إعانات، ومكالمة من امرأة تطلب أن تتحدث مع زوجتي عن العناية بالمهام المنزلية اليومية، ومكالمة رابعة من جريدة المدينة المحلية- وكنت قد أرجأتها لما يزيد عن شهر - تسأل عما إذا كنت راضياً عن مستوى الخدمة التي تقدمها للجمهور.

المفاجأة المذهلة

ولذا فهناك مشكلة على شكل مفاجأة، ففي الفصول الخمسة الأخيرة توجهنا بأبصارنا إلى خمس جهات علينا مخاطبتها: الله والكنيسة والنفس والعائلة وجهات العمل، وهذه الجهات تتعلق بوضعنا سواء كنا متزوجين أوعزّاب مطلّقين أو أرامل،عاملين أو اعتزلنا العمل، والإجابة على هذه الأسئلة سوف تؤثر على عملنا ولهونا وعبادتنا. ومع ذلك فلربما حتى عند هذه النقطة فأنت تفكر في عبارات شمولية - شيء ما مثل «ماران آرثا - تعال أيها الرب يسوع!».

ولأكثر من سبب. أرجو أن تنطلق، فبقية هذا الكتاب سوف يعينك على إيجاد مخرج ليس فقط للتعامل مع المشكلات بل للتعلق بالرجاء الحقيقي.

القسم الثاني

الإجابات:

الخطّة الإلهية تتم في موعدها

[٦]

اختاروا لكم اليوم من تعبدون

«إن كان يسوع المسيح هو الإله الذي مات لأجلي، فلا يصح أن أبخل عليه بأي تقدمة مهما عظم شأنها». *(س.ت ستود C.T. Studd)*

من تعبدون...

الله أم المال (نمط الحياة التي يحركها المال)؟

ابن الله أم الذات (نمط الحياة الذي يتركز حول الذات)؟

توجيهات الكتاب المقدس أم الآراء العالمية؟

المسيح الطريق الوحيد أم العالم؟

الرب أم .. (أي شيء آخر)؟

رسم يشوع خطاً فاصلاً منذ زمن طويل في السفر المسمى باسمه، لقد وصل لنهاية مسيرته وعلم أنه على وشك الموت، ولكنه أراد أن يترك لشعبه دعوة نهائية للاختيار، دعوة للتحدي.

كلا، لقد كانت أكثر من مجرد تحد، لقد قرر أن يضع أمامهم الاختيار النهائي الذي يتخذه كل منا مرة في هذه الحياة: الاختيار أن نتبع أو لا نتبع الله في يسوع المسيح، ومع ذلك فهو يأتي إلينا موجهاً هذا السؤال "هل تتبعني؟". والقرار الذي نتخذه يؤثر على كل لحظة في حياتنا، وسوف يحدد هذا القرار مصير كل المدة المحددة لنا لنعيشها على سطح الأرض، وإن كنا

سوف نحسن استغلالها أو نسيء استخدامها.

لقد وجه يشوع نداءه بهذه الطريقة: "وإن ساء في أعينكم أن تعبدوا الرب فاختاروا لأنفسكم من تعبدون إن كان الآلهة الذين عبدهم آباؤكم الذين في عبر النهر وإن كان آلهة الأموريين الذين أنتم ساكنون في أرضهم، وأما أنا وبيتي فنعبد الرب" (يشوع ٢٤:١٥).

لقد رسم يشوع خطاً محدداً واضحاً ونهائياً "اختاروا... من تعبدون" وبمعنى آخر، بحكمة من ستتخذون قراراتكم في الحياة؟ بحكمة الله أم بحكمة العالم؟ ملكوت من سوف تعمل على بنائه؟ ملكوت الله أم ملكوتك؟ مجد من تطلب؟ مجد الله أم شخص آخر؟ من ستعبد؟ الله أم جسدك؟ لقد واجه الناس عبر التاريخ نفس هذا الاختيار. إنه طريق ضيق، ولكن الوقت حقيقة مؤكدة، فليس لدينا سوى "الآن" لنقوم بعملنا. وفي الرسالة إلى أهل رومية -الأصحاح الثالث عشر وفي عدد ١٢- نجد القول "قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور".

إن الوقت متأخر ومقصر، ويمكننا أن نعمل الكثير ولكن ما نفعله الآن سوف يؤثر على مستقبلنا إلى الأبد.

المسيحي المكرّس

أنت مسيحي متمسك بالتعاليم المسيحية غالباً، وقد تكون قد عرفت المسيح طيلة سنوات عديدة أو ربما منذ عدة سنوات قليلة، ولكن لا بد أنك

اتخذت قراراً أن تتبع يسوع عند منعطف معين في تاريخ حياتك.

أحييك على اتخاذ هذا القرار، وأريد أن أشجعك على التمسك بتعهداتك نحو الرب: تقدم للأمام (دون ما عجلة).

وبنفس الطريقة قد تكون في حاجة لتأكيد ذلك التعهد في كيفية استغلال وقتك أو ربما لم تكن قد تعهدت بشيء ما.

على أية حال، فهذا الفصل لك.

حساب النفقة

إنه ليس قراراً يُتخذ دون ما رجاء ومجد عظيمين.

إن (روبرت ليدلو Robert Laidlow) عندما كان في الثامنة عشر من عمره في نيوزيلاند قرر أن يعطي ١٠٪ من دخله للرب، فكتب في مفكرته اليومية في سن العشرين: "قبل أن تسيطر على قلبي محبة المال فإني بنعمة الله أتخذ التعهد التالي نحو الرب، إني سأقدم ١٠٪ من كل ما أكتسب إلى:

"إذا باركني الرب بكذا.. سوف أعطي ١٥٪ من كل ما أكسب.

"إذا باركني الرب بكذا.. سوف أعطي ٢٠٪ من كل ما أكسب.

" إذا باركني الرب بكذا.. سوف أقدم للرب ٢٥٪ من كل ما أكسب.

"وأطلب من الرب أن يساعدني لأفي بوعدي لأجل المسيح الذي قدم كل

شيء لأجلي".

وعندما بلغ (ليدلو) الخامسة والعشرين كتب: "لقد قررت أن أغير التعهد المتدرج وأبدأ الآن بإعطاء (٥٠٪) من كل ما أكسب. وفي كل يوم كان (ليدلو) يقرر أن يخدم الرب، وليس الآلهة الأخرى - المال، والحياة السريعة الإيقاع واللذة أو أي شيء آخر.

وفي سن السبعين انتهى به المطاف بأن أصبح واحداً من أنجح رجال الأعمال في نيوزلاند، وكتب قائلاً: «أريد أن أشهد قائلاً بأن الله قد باركني مئة ضعف سواء في الأمور الروحية أو الأشياء المادية، وقد أقامني على وكالته بأكثر مما كنت أتوقع عندما بدأت كصبي في الثامنة عشرة أقدم لله نسبة معينة من أجرَي».

وس.ت ستود Studd(١٨٦٢ - ١٩٣١) لاعب الكريكيت الشهير في إيتون Eton قد أصبح واحداً من السبعة العظماء في كمبردج وقد كرس حياته لخدمة الإرساليات في أوائل القرن التاسع عشر، لقد تخلى عن ميراثه وأبحر للصين مع إرسالية (هدسن تايلورHudson Taylor) للصين في ١٨٨٥، وبعد أن أقعده المرض عن العمل أنشأ ما يعرف باسم الحركة التطوعية الطلابية (والتي كانت تمثل نواة عدة هيئآت مثل «الجامعة المفتوحة»، و«الحياة الجامعية»، و«الشباب لأجل المسيح» وعدة منظمات طلابية أخرى) في أواخر القرن التاسع عشر، ثم ذهب إلى الهند وأصبح راعياً من ١٩٠٠-١٩٠٦ في الكنيسة المتحدة في أوتاكيوموند بجنوب الهند، وبعد ذلك بشّر في انجلترا لعدة سنوات. وأخيراً ذهب إلى أفريقيا رغماً عن نصيحة طبيبه الخاص مؤسساً «إرسالية قلب أفريقيا» في سنة ١٩١٢ والتي أصبحت فيما بعد حملة الكرازة بالإنجيل للعالم أجمع والقائمة حتى اليوم، ثم مات في

أواسط أفريقيا في سنة ١٩٣١. أما الباعث لـ (س.ت. ستود Studd).. فقد كتب قائلاً عنه «إن كان يسوع هو الله وقد مات لأجلي فإن أية تضحية لأجله ليست بالشيء الكثير».

ونفس الاتجاه الذي سلكه روبرت ليدلو وس. ت. ستود يجب أن يكون مسلك كل واحد فينا. إن تذليل عقبة الوقت لا يعتبر مجرد مبادىء حسنة، أو حكمة نيرة، أو تنظيم شخصي، أو شيئاً من قبيل النفحات الوقتية، إن ذلك يتطلب قوة غير عادية وتدخّل إلهي، فلا يمكن لأحد منا أن يكسب معركة هرمجدون الشخصية مع الوقت بدون معونة يسوع.

لا تحجب شيئاً ما

إن مثل هذا التعهد ليس سهلاً بالنسبة للكثيرين منّا، ولكن إذا كنت جاداً فيما يتعلق باكتساب معنى جديد لحياتك فليس هناك أفضل من أن تسلم الكل «للرب».

ما هي الأشياء التي يخدمها الناس اليوم؟ يوجد ثلاثة أسياد أخرى بخلاف ذاك الذي هو رب الكل: العالم، والجسد، والشيطان. وكل منها يمكن أن يتخذ أشكالاً عديدة، فأفكار العالم ومبادئه وقادته وأصنامه ونجومه يمكن أن تكون أوثاناً لنا، وعندما نعيش لنأكل فنحن وثنيون تماماً كالشخص الذي يعيش لأجل المال والشهرة، أو الفوز باليانصيب، فإذا لم يجعلنا العالم ننحرف فالجسد سوف يفعل ذلك، فالانغماس في الشهوات الحسية واللذة والكبرياء والشهوة كلها تعمل داخلنا لتقودنا نحو تركيز محبتنا على أشياء مثل الجنس والطعام والنوم والتسلية والموسيقى والمتع الجسدية.

وإذا توافقنا مع أنفسنا لنغلب الجسد والعالم، فالشيطان يقف على جناح الهيكل ليجعلنا ضمن أتباعه ومريديه، فكل شكل من أشكال التدين (بعيداً عن المسيح) يعتبر حيلة من حيله لإلقاء الناس في جهنم النار، وكل تجربة وإغراء بأن نتخذ طريقنا الخاص (أو طريق الشيطان) بدلاً من الطريق الإلهي هي محاولة لابتلاعنا إلى الأبد.

وكل هذه الأنماط في الحياة تؤثر على كيفية استخدامنا للوقت، وبدون أن نسلك وفقاً لمطاليب الكتاب المقدس ونسلم حياتنا لمن أوجد الوقت، فسوف نضل باقتفاء أثر الملاهي التي تمضي بلا نهاية في البحث عن تسلية تافهة عديمة الجدوى.

سمعت مرة راعي إحدى الكنائس يتحدث عن دعوته للتحدث لطلبة الفلسفة عن موضوع وجهة النظر المسيحية بخصوص الجنس،وقد كان يعلم أن عليه أن يستعد جيداً للمواجهة، ولذلك فعندما وقف أمام فريق من الطلبة أخبرهم قائلاً: «ما سوف أخبركم به اليوم سوف يكون مخالفاً لكل ما تؤمنون به وترغبون فيه، إنكم لن تقبلوه ولن تريدوه بل وإنكم سوف تحتقرونه»، فرفع أحد الطلبة يده متسائلاً: لماذا؟ فقال الراعي:«لأنكم لم تقبلوا وجهة النظر الكتابية كمنهاج سلوك في الحياة، ولم تعرفوا وتحبوا الرب يسوع المسيح، وبهذين الشيئين فقط يمكنكم أن تتأهبوا لقبول كلماتي».

بعدئذ تساءل الطالب مرة أخرى «إذن قد تحتاج أن تخبرنا كيف نعرف ونحب يسوع المسيح».

وهذا السؤال أعطى الفرصة الكاملة ليقدم لهؤلاء الطلبة رسالة الإنجيل. ولذلك فعليّ أن أقول الآن: إن هذا الكتاب سوف يكون بلا معنى إذا لم تكن في وئام مع الكتاب المقدس ورب الكتاب، إنك ستهزأ به وترفضه وسوف تنسب له الحماقة، ولكنني أؤكد أيضاً أنه إذا كان منطلقك مؤيد لحياة المسيح وموته لأجل خطية البشر، ولاهوته وربوبيته الدائمة، فسوف تجد في هذه الصفحات أملاً واتجاهاً جديداً، فهو بإمكانه أن يقودك إلى ما هو أكثر من الصفحات المكتوبة هنا.

التعهـــد

ما هو التعهد المطلوب؟ لقد قدم أحد الرعاة من هاييتي إيضاحاً بهذه الطريقة، فقال: إن رجلاً قرر أن يبيع منزله بمبلغ ٢٠٠٠ دولار، وأراد رجل فقير أن يشتريه، ولكنه لم يستطع أن يدفع المبلغ كله، فتساوم الاثنان وأخيراً توصلا إلى اتفاق بأن ثمن البيت يساوي ١٠٠٠ دولار بشرط واحد أن يحتفظ المالك الأصلي بملكية مسمار صغير واحد كان بارزاً في الباب الأمامي. ومضى كل شيء بحسب الاتفاق لبعض الوقت، ولكن المالك الأصلي أراد بعدئذ أن يستعيد شراء المنزل فرفض المالك الحالي، وهنا ظهرت أهمية المسمار فجأة، فوجد المالك السابق المتذمر كلباً ميتاً وعلّقه على المسمار الذي كان ما يزال يملكه، وسرعان ما أصبح المنزل مكاناً لا يمكن العيش فيه حتى اضطر المالك الجديد لبيعه.

إن التسليم للمسيح يجب أن يكون بالكامل، فلا يصح أن نترك مسماراً واحداً للخطية لكي تعلّق عليه جيفة نتنة، وإذا أتينا له مع الاحتفاظ بعدد قليل من المسامير، فلا شك أن الشيطان سوف يجد بالتأكيد شيئاً ما ليعلقه عليها. إنه سوف يملأ وقتنا بملذاته ومغرياته وسرعان ما نصبح في نطاق حياة تعاني من أزمة الوقت وكربته، حياة محطمة عديمة النفع لله.

ومع ذلك فتسليم الحياة للمسيح عمل يتم يوماً بعد الآخر وليس دفعة واحدة، ولا يمكن لأي واحد في أي مكان أن يدّعي أنه قدم «كل شيء» للمسيح مرة وإلى الأبد، فهو يواجه مواقف جديدة كل يوم ومشاكل تتطلب خضوعه وتسليمه لله من جديد، وسوف تدفعه النكسات والخطية والأخطاء للخلف ليعود لمعتقداته القديمة، وأحياناً يبتعد لبعض الوقت عن الطريق القويم ليضل في متاهات الخطية ويؤخذ في شراك العالم. ولكن الرب يمنح الغفران، فهو يعيدنا من جديد كل يوم، ووعده يقول «إن الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح» (فيلبي١:٦). لقد اكتشفت أن كل يوم جديد ومختلف، وكل يوم يتطلب إيماناً، والغلبة بقوة المسيح ليست شيئاً جامداً، فأنت لا تغلب يوماً وتصبح حراً طليقاً بعد ذلك طيلة حياتك، كلا، فكل يوم يحمل في ثناياه كفاحاً جديداً ومعارك جديدة. ولهذا السبب فحياة الإيمان هي «مسيرة»، إنها تعني التقدم خطوة خطوة، وهي أيضاً السير معه، وهو سيقود كل منا للمجد، والشيء المهم هو وجهة نظرنا وموقفنا الذي يعبر عن نفسه بالقول «أريد أن أتبعك يا سيد، قدني يا مخلصي اللطيف».

تجنّب هذا الاتجاه

يضرب لنا (ولبور ريس Wilbur Rees) مثلاً لهذا الموقف الذي علينا أن نتجنبه حين يقول «أريد أن أشتري بما يعادل ٣ دولارات من الله، بحيث لا يؤدي ذلك إلى حدوث انفجار في كياني أو يقلق نومي ولكن بما يكفي فقط للحصول علي كوب من اللبن الدافيء أو غفوة في ضوء الشمس، لا أريد أن أحصل من الله على ما يجعلني أحب رجلاً أسود، أو أجمع محصول البنجر مع أحد المهاجرين، أبغي الحصول على النشوة وليس التغيير الشامل، أطمع فقط في دفء الرحم وليس في ميلاد من جديد، أريد بما يعادل جنيهاً من الأمور السماوية في علبة من الورق، أريد أن أشتري بما يعادل ثلاثة دولارات من الله من فضلك». ولكن الله لايريد أن يبيعنا بما يساوي ثلاثة دولارات، إنه يريد أن يمنحنا ذاته كلها مجاناً والآن و إلى الأبد، كل ما علينا أن نفعله أن نقبل قيادته ومحبته بالإيمان بالمسيح ، ثم نبدأ في اتّباعه يومياً في طاعة كاملة.

ومثل هذه الطاعة ليست بالأمر الهين ، ونحن نعتقد في أغلب الأحيان أن الله يريد منا أن نحبه أكثر مما نطيعه، في بعض الأحيان هذا صحيح، ولكن الطاعة هي جوهر المحبة.

يقدم لنا (ج. جرانت هوارد Howard) فكرة صائبة في هذا الصدد إذ يقول: «المحبة هي معرفة ما يتوقعه الله منا ،والعمل على إتمامه». «وهذا ينطبق على ما يحدث داخل العائلة البشرية، فأنا وزوجتي لدينا أربعة

أطفال، وهم يحبوننا، وهم يعبّرون عن حبهم لنا بمرور الأيام بطرق عديدة، كأن يقدموا لنا بطاقات لأعياد ميلادنا من عمل أيديهم، أو باقة من الزهور، أو صورة، أو هدية، أو مجرد كلمات تلقائية تعبيراً عن الحب والتقدير، ولكني أخبركم أن شيئاً ما هو الذي يرضينا أكثر من أي شيء آخر. وذلك عندما يفعلون ما نطلب منهم أن يعملوا! وصدقوني أن كل شيء ينقلب إلى روتين عندما يقولون إنهم يحبوننا في حين أنهم لا يطيعوننا. فنحن نرغب في كلا الأمرين معاً العاطفة والطاعة من قبل أولادنا، ولكن إذا كان لابد لسبب ما أن خُيّرنا بين أحد الأمرين، فنحن نختار الطاعة، وفي الختام فالطاعة الجامدة مفضلة على العصيان مع شيء من دفء العاطفة. وكأب سماوي فالله يريد من أولاده كلاً من العاطفة والطاعة. ولكنه لن يسمح لنا بأن نستبدل بعاطفة خيالية طاعة جوهرية». لا تخلط بين «المشاعر الغامضة» و«الشعور الحقيقي»، فالمحبة الحقيقية تقود للطاعة، والطاعة تضرم ناراً في الحب الحقيقي وتذكيه، هذا النوع من الحب والطاعة سوف يكون له تأثير واضح على كل جوانب مشكلة الوقت.

كيـــــف؟

كيف يمكن تقديم هذا النوع من التعهد؟ يتضح ذلك مما جاء في (رومية ١٢:١-٢) «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية، ولا تشاكلوا هذا الدهر بل

تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة». فقدموا أجسادكم الآن كذبيحة حية والله سوف يملأ حياتكم بالحكمة والقوة للتحكم في وقتكم حسب مشيئته، وليس حسب مشيئة العالم والجسد والشيطان.

إني أستحثكم الآن ألا تعتقدوا أنه بإمكانكم السيطرة على وقتكم وحياتكم بدون قوة الروح القدس، فمئات الكتب قد كُتبت فيما يختص بالتحكم في الوقت، ولو كانت الإجابة بسيطة كلائحة من القواعد والمباديء وبعض الإرشادات والتوجيهات للنجاح، لما واجه واحد منا أية مشكلة. ولكن الله قد جعلنا نعتمد عليه، وهذا الاعتماد يعني ثقة يومية واتكال واستناد عليه، إنه لا يريد أن نكون أيتاماً في بيته بل أبناء وبنات له، وهو يشتاق أن يكون لنا أباً وناصحاً وقائداً وصديقاً ، ونحن نذهب إليه بحثاً عن المشورة والتوجيه فنجد رباً مبدعاً قادراً على إعطائنا الأفكار والمباديء التي نحتاجها في أي مشكلة تتعلق بمشاكل العصر، ولو سلمناه كل شيء لوجدناه سيداً رقيقاً «نيره هين وحمله خفيف» .

فكرة مفيدة

من تخدم أو ماذا تخدم؟ كن أميناً في الإجابة هل تبغي إرضاء الآخرين؟ أم تخدم المال أم الله؟ أو تسعى نحو الصيت مكرساً حياتك لذلك؟

خذ بضع دقائق لمناقشة إجابتك مع الرب، ثم قرر ما الذي يمكن تغييره في حياتك .

[٧]
الأيام شريرة

«معظم الناس لايدركون ما يشغل وقتهم فعلاً، ومع ذلك فليس من المعقول أن تحاول حل مشكلة دون إدراك طبيعتها وتأثيرها، وكما قال أحد الحكماء القدامى فالمشكلة المصاغة بأسلوب جيد توصلنا إلى نصف الحل وهكذا بالنسبة للوقت، فعندما نكتشف ما نفعله حقاً فيه نكون قد أنجزنا نصف المهمة».

(تيد انجستروم وأليك ماكنزي « Ted Engstrom and Alec Mackenzie» «حسن استغلال وقتك»).

واجه (وندل براون Wendell Brown) من تاكوما واشنطن مشكلة في مكتب مستشار جامع الضرائب في إقليم (بيرس)، فهناك الكثير من الوقت الضائع في شرب القهوة، والمكتب يعاني من ضعف الإنتاج، وكم هائل من أوراق العمل، وليس هناك وقت للتخطيط لجعل المكتب يعمل بصورة أفضل.

فماذا فعل؟ لقد خصص وقتاً للهدوء لا يستقبل فيه الزوار، ولا يتم فيه التخاطب مع الزملاء، أو التحرك في المكتب.

وكم يستغرق هذا؟ أول ساعتين من اليوم، وماذا يفعل الواحد إذن في هاتين الساعتين؟ يمكنك إنجاز العمل المنزلي، واستبعاد المعوقات والتخطيط

ليومك. لقد وضع مستر براون لافتة على الباب تقول:

«ممنوع الإزعاج» وكان يتم فصل خط التليفون باستثناء حالات الطوارىء.

وماذا كان رد الفعل؟

قال أحد الخدم «لقد كان المكتب أشبه ما يكون بدار حضانة، وقال آخر: إنه تحطيم للمعنويات، إن كل شخص يشعر بالإحباط، إني أشعر بالأسى الحقيقي لدافعي الضرائب».

إن (مستر براون) يحاول أن يحل مشكلة في مكتبه. فما المشكلة؟ هل هي الإنتاجية، أو الروح المعنوية؟ أو إنجاز ورقة العمل؟ هذا جزء من المشكلة، ولكنه يواجه مشكلة أكبر قد لا يعرف عنها شيئاً، وهي موجودة في أفسس ٥:١٥-١٦ «فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة». في حالة مستر براون كان يواجه ما هو أكثر من مجرد الحاجة للهدوء والإنتاجية، لقد واجه مشكلة فساد الطبيعة البشرية ومقدرة الشيطان على الإغواء، والعالم على الخداع والغش والجسد على الشهوة، وكان يمكن لبرنامجه أن ينجح في حالة نجاحه في التعامل مع تلك الحقائق بطريقة صريحة ومقنعة. فماذا إذن يعني تعبير «الأيام شريرة؟» هل هذا يعني أن الوقت نفسه شرير ؟ لا أعتقد ذلك، ولكنه واحد من أول المباديء التي علينا أن نركز عليها تفكيرنا إذا أردنا الهروب من محنة العصر.

نتائج السقوط

عندما اختار آدم وحواء أن يأكلا من الثمرة المحرمة، تأثر كل شيء في الحياة بما فيه الوقت، فوقعت أيامنا وساعاتنا ودقائقنا وثوانينا تحت سلطان الشرير ألا وهو الشيطان، وتحت سلطان الاتجاه الدنيوي الرافض لله، والرغبة في إرضاء ذواتنا، وفجأة لم يعد الوقت للمحبة والفرح والسلام في شركة مع القدير بل أصبح يُغتصب اغتصاباً من قِبل كل من يتاجر بالخطية راغباً في أن ينهل منها، لقد أصبحنا عملاء لدى سوق الخطية ننتقل من مائدة لأخرى بحثاً عن عمل أي شيء سوى ما هو صائب وصالح ومرضي لله. فتعبير «الأيام الشريرة» يعني أنه قد نالها الأذى مراراً وتكراراً، وأنها قد لُوثت بنتائج واهتمامات رئيس كل شر وهو الشيطان. إن يومي ويومك يبدأ حرفياً وكأنه محكوم عليه بالإعدام بسبب مطالب الشرير، أرجوك أن تفهم، فنحن لا نذهب فقط لسوق الخطية بقصد الزيارة بل نحن مولودون فيها، ولا نعرف شيئاً آخر حتى نتقابل مع يسوع المسيح، وكل ما يُقدم في سوق الخطية شرير وعديم النفع والفائدة، وليس أمامنا في الواقع أي اختيار آخر، هذا ما لم يبدأ أحد في المطالبة - «مفتدين الوقت» كما نادى بولس بذلك في أفسس ٥:١٦- بجزء من ذلك الوقت للملكوت. وسواء راقنا ذلك أم لا، فالحقيقة أنه عندما كنا غير مؤمنين، فكل لحظة في يومنا كانت تحت تأثير الشرير، مهما كنا لطفاء أو مهذبين، فالوقت كان يعتبر ضائعاً في نظر الله.

وعندما أصبحنا مؤمنين واجهنا نفس المشكلة، فقد أعد الشيطان برنامجه، وكان هذا البرنامج الشيطاني أمامنا- على مكاتبنا وفي مكتباتنا وفي المطبخ، وفي أجهزة التليفزيون أو معلقاً على الستائر الخلفية لسياراتنا،

ومع التواجد الهادي ء للروح القدس، ورغم كوننا مسيحيين لكننا قد نقع في التخطيط لأجل غرض شرير.

حاول أن لا تكون كئيباً

إني لا أحاول أن أكون كئيباً لدرجة معقولة فيما يختص بهذا الموضوع، ولكن مشكلتنا مع الوقت والهرولة واضح أنه نتيجة للسقوط، وحقيقة أن «الأيام الشريرة»، وبرامجنا اليومية يمكن بسهولة أن تزدحم بما هو «شرير» وليس بما هو صالح ومرضي.

أنا لا أقصد «الشر» بمعنى الجريمة والاغتصاب والسطو والنهب والسرقة. كلا، فالشر يأتي تحت مسميات كثيرة، فهو يتفاوت ما بين بضع دقائق لقراءة عمود الدردشة الصحفية إلى صرف ساعتين من ساعات الصباح في خمول وكسل دون النهوض من الفراش. إنه يشمل أردأ الأشياء: شرب المسكر، وتناول المخدرات، والأعمال غير المشروعة، والجريمة والسرقة، والأشياء التي تبدو ظاهرياً أنها غير ضارة كالسير في المنتزه والتقليب في مجلة عند الطبيب أو قضاء أمسية رومانسية في أحد الأندية المحلية.

إن هذه الأشياء ليست شراً في حد ذاتها، ففي بعض الحالات قد يكون ضمن خطة الله ومشيئته أن نقوم بهذه الأنشطة. فالسير في المنتزه قد يحقق شيئاً من الترويح المطلوب، ووقتاً يختلي فيه الإنسان بنفسه وفرصة لشراء بعض الحاجات الهامة، والمجلة عند الطبيب قد تكون وسيلة إلهية لإبعاد

عقولنا عن مشكلة ما، والأمسية الرومانسية في أحد الأندية المحلية قد تكون فرصة مناسبة لإنعاش علاقة زوجية.

والسؤال هو: لماذا نفعل هذه الأشياء وكيف أنها تؤثر على ارتباطنا وتعهدنا ببناء ملكوت الله ومحبته ومحبة القريب كأنفسنا؟

معركة لكسب الوقت

كون الأيام شريرة يعني أن رغبتك في «أقصى استفادة من المناسبة» واستغلال وقتك لأجل مشيئة الله وعمله سوف يصبح معركة دائمة، فحيثما أردت المجاهرة بالملكوت وجدت الشر يزحف فوراً متصدياً لتلك المجاهرة بقصد أن يصرفك في اتجاه آخر. وبالإضافة لذلك، فلن يكون لتلك المعركة نهاية، فالشيطان لا يلين فهو عنيد، وما اكتشفناه في التسعينات ليس في الواقع مشكلة حديثة، فالأيام كانت شريرة بالنسبة لموسى وإيليا ويسوع وبولس وبطرس كما هي بالنسبة لنا، وتذكر كيف أن يثرون حما موسى نصحه في سفر الخروج أصحاح ١٨ ألا يضيّع وقته للبت في كل قضية شرعية بين شعبه، لقد أخبره يثرون أن يعيّن قضاة على عدة مجموعات من الشعب وإلا فإنه سوف يتعب.

هذا مَثَل واضح لنظام الحياة المتعجل الذي نحياه، وإنني متأكد أن موسى كان يشعر بنفس الإحساس الذي يواجهه أي واحد من أبناء القرن العشرين، لقد كان «مضغوطاً بسبب الوقت»، لقد شعر أنه في صراع مع الوقت، فقد

كان عليه أن يعمل الكثير جداً في وقت ضيق جداً، ولو استمر موسى في أداء الأعمال بالطريقة التي كان يعملها بها لانهار بالتأكيد، فما المنفعة التي كانت ستعود عليه حينئذ؟ ولكن الله عن طريق يثرون لفت نظر رجله إلى الحق، وكان يستطيع بعدئذ أن يؤدي أعمالاً أخرى للملكوت فيما أتيح له من الوقت.

وحتى يسوع واجه هذه المشكلة، ففي مرقس ١:٣٥-٣٩ نجد يسوع ينهض ليصلي في الصباح الباكر بعد قضاء يوم وليلة بكاملها في الشفاء وإخراج الشياطين والتبشير والتوجيه، وجرى سمعان والتلاميذ محاولين أن يجدوا يسوع، وعندما وجدوه قال سمعان «الجميع يطلبونك». لقد كان لهؤلاء الناس احتياجات وأرادوا أن يروا يسوع، ولو سمح لهم لقضى شهوراً في مكان واحد يعلّم ويشفي كل واحد، لكن يسوع علم أن «الأيام شريرة» وأن منطق سمعان ليس سوى حيلة أخرى من حيل الشيطان، فرد على سمعان بالقول «لنذهب إلى القري المجاورة لأكرز هناك أيضاً لأني لهذا خرجت» (مرقس ١:٣٨).

لقد كانت المنطقة تخضع بالفعل لسلطان الشيطان، ولكن يسوع انتزع فقرات زمنية هنا وهناك ليتفقد أهل تلك البقعة حتى يدخلوا في دائرة ملكوته، ولم يسمح لحقيقة أن «الأيام شريرة» أن تعوق رسالته.

في مكان العمل

إني أرى أن مقدرة الشيطان على إعاقة المهمة الملقاة على عاتقنا تمثل

ضغوطاً دائمة في مكان العمل، أنا مستمر في أداء العمل وأؤدي المهام التي أعلم أنني يجب أن أنتهي منها، وفجأة أنظر إلى فنجال القهوة، ويرن صوت داخلي قائلاً: «لماذا لا تحصل على قسط من الراحة؟ أنت بحاجة لأن تريح ذهنك قليلاً» وأجد نفسي حتى قبل أن أعيد التفكير آخذ طريقي لحجرة القهوة، وبعد نصف ساعة أعود مترنحاً لمكتبي غارقاً في العرق لأني قد تخلّفت عن اللحاق بركاب البرنامج الذي رضيته لنفسي.

الكثير من الحيل

للشيطان حيل كثيرة، فما هي بعض حيله المفضلة؟ انظر لهذه القائمة:

عدم وضوح الهدف والقصد في حياتنا المسيحية:

إذا لم يكن لديك هدف تسعى إليه، هدف أسمى تحاول جاهداً الوصول إليه، فأنت سوف لن تصل لشيء أبداً، وليس ذلك فقط بل أن ما سوف تنتهي إليه سوف يكون مخيباً للآمال لا يعطي أي درجة من الإشباع. تكتب كلوديا موران Claudia Moroin في كتابها (الضغوط الناجمة عن مطامعنا التي بلا حدود): «أنت تملك الوظيفة والسيارات والزوجة والمنتجع والمنزل والنادي الصحي والأولاد والملابس، لكن المشكلة أنك شديد الاهتياج، ومرهق عصبياً، ومحمّل فوق الطاقة، ومشتّت لدرجة أنه لا وقت عندك للاستمتاع بأي شيء مما تملك».

وبالرغم من أن هذه السيدة لا تتحدث من منطلق فكر الكتاب المقدس، إلا أنها تستطيع أن تعبّر أفضل من كثيرين منا نحن الذين من خلفية كتابية.

لقد أخبرني (بل تامولونيس Bill Tamulonis) أحد أصحاب البنوك الشبّان في بالتيمور بولاية ميريلاند قائلاً: «لقد أدركت أن الأشياء التي كنت أقدّرها وأنظر إليها باحترام كانت تشغل نسبة ضئيلة من وقتي وطاقتي، لقد قضيت وقتي في الأمور الأرضية المادية والتي ليست لها قيمة حقيقية باقية».

وقال (ريش تاكر Rich Tucker) أحد رجال الأعمال الشبان أيضاً في بلتيمور: «لقد تخرجت في الكلية منذ ١٥ سنة مضت، وكنت منهمكاً تماماً في عملي، وأحرزت نجاحاً في شركتي، وكنت أقضي ٧٠ ساعة أسبوعياً في عملي بالإضافة إلى السفر المتكرر، وكان لي ابن لا يتجاوز التاسعة من عمره، ولكنه كان يعاني من هذا الوضع، فمما يسبّب الضغوط النفسية أن توّفق بين الحاجات الأسرية ومتطلبات العمل في آن واحد».

وكلا الرجلين قررا إعادة توجيه حياتهما بمساعدة راعيهما عن طريق اكتشاف هدف جديد في خدمة الله، وفي البحث عن الأمور الأبدية.

عدم وجود الفرح في خدمة الله:

عندما لا تجد فرحاً فيما تفعل فأنت تفضّل عدم الاستمرار في قضاء وقتك لأداء هذا العمل وأنت تشعر بالغضب وأنك مهان من قبل الآخرين. لقد عبر عن ذلك (راندي شلر Randy Schiller) المستشار في الآلات الحاسبة بالقول: « قد تندمج في حل مشكلة خطيرة في الكنيسة، ولكن ما يحدث هو

أن هذه المشكلة تبدأ في الاستحواذ على كل شيء آخر، وأنت تشعر بعقدة الذنب، إنها تستقطع وقتك المخصص لأعمال أخرى، وتبدأ في كراهية الكنيسة، وسرعان ما تريد أن تبتعد وأن تقطع صلتك بالمشكلة، لقد ولّت الفرحة».

الملـــل:

هناك نوعان من الملل: الملل نتيجة لعدم الاستمتاع بما تعمل، والملل نتيجة لعدم وجود ما تعمله، فأنت تضيع وقتك، وبعد ذلك تقضي وقتاً أكثر شاعراً بالذنب وعدم الارتياح والتفاهة.

التخطيط السيىء:

يقول البعض إنك إذا فشلت في التخطيط فإنك تخطط للفشل، فالتخطيط يوفر الوقت وبذلك فإنك لا تضطر لعمل الشيء مراراً وتكراراً عن طريق المحاولة والخطأ، لأنك تفعل الصواب في المرة الأولي بالتفكير العميق مسبقاً.

والتخطيط يمتد لكل نواحي الحياة بما فيه التخطيط «للوقت الضائع» قال (وودي برايس Woody Price) أحد الخريجين الجدد من كلية جنيف في بنسلفانيا: « إنني أجد نفسي أضيع الوقت هباءً بدلاً من التخطيط المثمر لفترات الراحة».

يقول (تشارلس همل Charles Hummel) في كتابه «طغيان الأمور العاجلة»: «إن رجل الأعمال العصري يعرف مبدأ تقييم الوقت، فعندما كان (جرين ولت Green Walt) رئيساً لدوبونت Dupont قال «إن الدقيقة التي

تقضى في التخطيط توفر ثلاث أو أربع دقائق في التنفيذ».

فإذا كانت الأهداف والأولويات والاستمتاع بما تعمل هي مفاتيح تذليل مشكلة الوقت، فتقييم الوقت بمثابة مزلاج الباب وهو لب المشكلة. يقول (تيد انجستروم وإليك ماكنزي) في كتابهما «كيف تشغل وقتك»: «إن معظم الناس لا يدركون ما الذي يشغل وقتهم، ومع هذا فلا معنى أن تحاول حل مشكلة دون تقييم طبيعتها ومداها، وكما قال أحد الحكماء القدامى: «إن المشكلة التي يتم التعبير عنها جيداً تعتبر نصف محلولة، وهكذا بالنسبة للوقت فعندما نكتشف ما نفعله به حقاً فإن مهمتنا قد وصلت لنصف الطريق إلى الحل».

التطلع للحياة بأسلوب يفوق قدراتنا:

كما قالت لي (إيلين ميريل) إنه إذا أضفنا وقتاً أكثر من اللازم فعلينا أن نصرف وقتاً أكثر لتعويضه، وبالمثل إذا حملنا برنامجنا اليومي بأكثر مما يحتمل فإن شخصاً ما سوف يجعلنا ندفع الثمن. قال (برنت بروكس) المشرف على الحديقة الملحقة بالكنيسة والذي ذكرته من قبل قال «لقد كان عليَّ أن أتعلم درساً قاسياً وهو أنني لست كلي القدرة ولست مخلداً» ولكن الكثيرين منا يتصرفون كما لو كانوا كذلك. وعبّرت (ماري آن دين Mary Ann Dean) عن ذلك بهذه الطريقة: «لقد تعلمت أن أعمل وأتطوع لأجد قبولاً، لقد شعرت أنني مجبرة على إرضاء الآخرين»، ثم قرأت كتاباً يدعى «فرصة أخرى» بقلم شارون ويجسكيدر Sharon Wegscheider (من سلسلة كتب العلم والسلوك ١٩٨١)، وقد غيّر الكتاب من نظرتها للحياة إذ تقول

«لقد أدركت أنني أكبر طفلة وأحسست أنه يقع على عاتقي حمل مشاكل الأسرة، وذلك الأمر استنزف الوقت فكل فرد من أفراد الأسرة مسئول عن حياته أو حياتها ومشاكله أو مشاكلها، ولا يمكن لشخص واحد أن يحمل مشاكل الجميع».

المتع والتسليات الغبية:

«إن عالمنا مليء بها، هناك مشهد حي في كل ركن فيه، وتسلية ممتازة في نوادي الفيديو. وهناك شيء ما لكل شخص في الأسواق المحلية، لا شك أنها العصرية التي يصعب مقاومتها ، ولكن سرعان ما تستهلك الساعات وتجري بسرعة البرق.

إهمال وضع الأولويات:

قال واطسن بيندل Watson Pindell وعمره يزيد عن الثمانين وكان يعمل مديراً لمدرسة ورئيساً لكلية: «إن مشكلاتي هي أساساً مشاكل كسل وليست مشكلات تتعلق بالوقت».

وقال لي «لا يوجد إنسان على قيد الحياة لديه وقت كاف، ومن الناحية الأخرى فنحن نضيع الوقت الذي نمتلكه ونبدده، ونحن نقضي وقتاً أكثر من اللازم في الانتهاء من مهام نعرف أنها غير هامة». فالأمور غير الهامة والعاجلة غالباً ما تأخذ الوقت من الأمور الهامة وغير العاجلة، فنحن بحاجة أن نتعلم كيف نفرق بين الأمور وكيف نستغل وقتنا.

توقعات كبيرة/ عائد قليل:

إن أكثر ما يضيّع الوقت هو الإحباط، فأنت تقع في هوّة الإحباط طالما أنك لا تستطيع أن تنهض وتواصل المسيرة، ولكن الإحباط غالباً يأتي نتيجة توقعات كبيرة لم تتحقق، فنحن لا نتلقّى توقعاتنا من كلمة الله، بل من ثقافاتنا، وجشعنا، وكبريائنا، ودائماً ينتهي الأمر بنا إلى هوة بلا قرار، ويمكن تسمية هذا الموقف بالانهماك التام، ففي مقالة في جريدة (وول ستريت Wall Street) عنوانها «الخطو في الطريق السريع» يقول كارل هيموورتزCarol Hymowitz «إن علماء النفس يقولون إنهم يرون ازدياد عدد الشباب الذين يعانون من الانهاك التام...». «فهم يأتون بأعراض تشبه وسواس المرض، والاضطرابات في النوم والاكتئاب»، هكذا تقول سوزان برايس Susan Price طبيبة الأمراض النفسية بنيويورك «وفي بداية حديثهم يقرّون بأن اهتمامهم الذي كان منصباً على النجاح والحصول على مبلغ طائل من المال لم يجعلهم سعداء بما فيه الكفاية».

المماطلة:

بتأجيل عمل ما يمكن أن نقوم به اليوم فإننا في الحقيقة نخلق حالة من «قتل» الوقت بأكثر مما كنا نعتقد، فلو أجّلت فحص البنزين في سيارتك يمكن أن يحترق موتور سيارتك، ولو أجّلت عمل هذا التقرير لرئيسك في العمل لاضطررت في النهاية أن تعمله في وقت قصير جداً، وبذلك فإنك سوف تُعد تقريراً سيئاً وغير صحيح، وهذا يعني أن تعيد كتابته من جديد وفي هذا ضياع أكثر للوقت.

الفوضى وعدم النظام:

كلما ازداد الركام كلما سعد الشيطان، فأنت لا تستطيع أن ترى الأشياء، وعليك أن تقضي ساعات طويلة في البحث عنها وسط الركام لأنك غير منظم. قالت لي زوجة أحد الرعاة «ليس لديّ وقت كاف بحكم طبيعتي وشخصيتي، فأنا أميل لعدم النظام، وعليّ أن أبذل مجهوداً لكي أكون منظمة». وما يحدث هو أن البيت لا يتم تنظيفه بالطريقة التي ينبغي أن يكون عليها، ويصعب أن تجد الأشياء وسط الركام، وعليك أن تبحث طويلاً في الملفات غير المنظمة لتجد ما تريد من الأوراق.

وأجد أن هذا ينطبق عليّ في مكان عملي، فلو تخلّينا عن عمل ملفات لمدة أسبوع واحد،وتركنا الأوراق تتراكم فوق بعضها البعض، فعلى شخص ما أن يقضي ساعة إضافية يقلّب في الأوراق ليجد وثيقة هامة. وقد حدث ذلك مع شيء بسيط كسلسلة مفاتيحي، فقد كانت غير منظمة، فلم تكن المفاتيح موضوعة بنظام معين، ونتيجة لذلك كان عليّ أن أقضي بضع دقائق في الظلام محاولاً أن أجد مفتاح منزلي أو سيارتي. وما فعلته هو أني أعدت ترتيب المفاتيح فوضعت مفاتيح معينة عند الأطراف، وتم وضع كل مفتاح بطريقة تسهّل الحصول عليه بسرعة، وقد عاد ذلك عليّ بنتيجة رائعة، إن الفوضى تسرق الوقت، والتنظيم دائماً مفيد.

الوصول لمرتبة الكمال:

عليك أن تجعل كل شيء كاملاً لدرجة أنك لا تزعج وتنهك نفسك فقط، بل الآخرين أيضاً.

علّقت على ذلك (إيلين ميريل) بالقول: «إن الحقيقة الأساسية المتعلقة بمشكلة وقتي أنني كنت أحاول أن أعمل كل شيء، لقد حاولت أن أبدو مسيطرة تماماً على نفسي لدرجة أنني لم أكن أطلب المساعدة من زوجي، ومع ذلك كنت أغضب حين لا يقدم المساعدة (كيف يعرف؟ إنه لم يستطع أن يقرأ ما يدور في فكري). وبعد أن طلبت منه ذلك فإن استجابته المُحبة كانت رائعة».

هذا نوع من ابتغاء الكمال التام، فالشخص يعيد النظر في الشيء مراراً وتكراراً- كتقرير أو خطاب أو حديث- حتى يظن أنه صار كاملاً ثم يكتشف فيه خطأ آخر! ومع أن ما يتوصل إليه هو شيء جيد جداً إلا أن العودة إليه مراراً وتكراراً لا تضيف إلى عمله شيئاً ذا قيمة، فالتوصل إلى حد معين من الإنجاز، والتوقف عند هذه النقطة جانب هام في التغلب على مشكلة الوقت.

الفشل في اختيار العمل المناسب:

أنت لست دائماً أفضل شخص لهذا العمل،ولكن يمكنك البحث عن العمل الذي تتفوق فيه. يقول جوردون مكدونالد: «أعرف كثيرين من القادة المسيحيين يعترفون بصراحة أنهم يقضون ما يمكن أن يصل إلى ٨٠٪ من وقتهم في عمل أشياء لا يتفوقون فيها، فعلى سبيل المثال فإن أفضل مواهبي هي في مجال الكرازة والتعليم، كما أن استعدادي الإداري جيد إلى حد ما، وبالتأكيد فالنواحي الإدارية ليست السهم الأفضل في جعبتي الرعوية. «فلماذا إذن قضيت ٧٥٪ تقريباً من وقتي محاولاً القيام بأعمال إدارية حتى أنه لم يتبق من وقتي سوى القليل لأقوم بالدراسة الضرورية

والإعداد لعظات جيدة عندما كنت أصغر سناً؟».

ولكن عندما تعلّم أن يختار ويعطي الآخرين مكاناً في خدمته وجد مكدونالد شيئاً من الحرية الحقة والتوازن.

سوء التصرف في الوقت المتاح لنا:

مع أن الوقت ليس سلعة نتصرف فيها بالبيع أو الشراء بل هو بيئة نعيش فيها إلا أننا ما زلنا بحاجة ماسّة لتنظيم أنفسنا واستعمالنا للوقت. لقد أمرنا الرب أن نعمل كل الأشياء «بترتيب ونظام» (١كورنثوس ١٤:٤)، وهذا ينطبق على الفرد وعلى الكنيسة على حد سواء. أخبرني (وودي برايس) أنه يحب أن يستعمل «عداداً للوقت» وهو واحد من الآلات الثمينة التي يستغني عنها الكثيرون، ولكنهم لا يقدرون في الحقيقة. فهو يقول «إن التخطيط العقلي لا يصلح» لماذا؟ «فأنت تنسى أشياء وتنحرف عن تفكيرك في موضوع ما إلى شيء آخر». ودراسته عن نظم تشغيل الكمبيوتر قد ساعده في استغلال وقته بكفاءة أكبر. وهو يشعر أنه لولا هذه الآلات فإنه يمكننا بسهولة أن نخصص أوقاتنا لأشياء لا يجب أن نخصص لها هذا الوقت، أو أنه على المدى الطويل يثبت أن هذه الأشياء ليست قيّمة أو ذات فائدة تذكر.

عدم الانتباه للإجراءات الوقائية:

اتخاذ الإجراء الوقائي أمر يوفر كثيراً من الوقت، وأي شخص قد نفد منه الوقود على الطريق السريع يعرف مشكلة عدم الانتباه لاتخاذ الحيطة، فهو يسير على الطريق ويتلفت بحثاً عن وقود ومحطة بنزين، وهذا يجعلنا

نفكر متسائلين «هل يمكن أن أوفر على نفسي مشكلة حدوث ذلك بشيء من التفكير المسبق والتخطيط أم لا ؟».

ذهبت صديقة لي مؤخراً عند الطبيب تشكو من ظهور بثور ملتهبة التهاباً حاداً في قدميها، فألقى الطبيب نظرة واحدة ثم قال: «لماذا لم تأتيني أسرع من ذلك؟» وكان ردها «لقد كنت آمل أن تختفي»، فهز رأسه قائلاً: «لو أتيت أسرع من ذلك لأمكن تلافي الأمر، أما الآن فأمامنا صراع طويل وشاق». إن الكثير من النفقات يتم دفعها للأطباء والكثير من الوقت يمضي عندهم.

وشيء بسيط كإعداد جارف الثلج أو الشمسية قبل نزول الثلج أو المطر يوفر الوقت الذي نقف فيه أمام المتجر مع مئات آخرين الذين فشلوا في التخطيط مقدماً ولم يتخذوا إجراءات وقائية. وكثير من الأشياء في الحياة، بدءاً من الذهاب المنتظم للطبيب وطبيب الأسنان لإجراء الكشف الدوري وحتى غلق صنبور المياه قبل الخروج، هي إجراءات احتياطية توفر الوقت على المدى الطويل.

القلق:

يا له من قاتل للوقت، ومع ذلك فكثير من المسيحيين يقضون حياتهم خلف أسوار القلق، والبعض تُشل حركتهم تماماً بالتفكير المستمر في إمكانياتهم.

هناك نكتة قديمة تصور أحد صانعي المعاطف يدعى (ليبرمان Lieber-man) وكان يعاني من أرق شديد فنصحه شريكه أن يعدّ الأغنام وقال

له: «إن ذلك أفضل علاج» فرد ليبرمان «وما الذي سوف أخسره؟» وقرر أن يفعل ذلك تلك الليلة.

وفي صباح اليوم التالي كان يبدو أكثر هزالاً عن أي يوم مضى، فسأله شريكه «ما الذي حدث؟» فأجاب ليبرمان «حسناً لقد كنت أعدّ الغنم، ووصلت حتى رقم خمسين ألفاً ثم قصصت صوف الغنم، وصنعت خمسين ألفاً من المعاطف الجميلة، ثم جاءت المشكلة التي أقلقتني طوال الليل: من أين كنت سأحصل على الخمسين ألف بطانة لها؟».

هذه نكتة ومع ذلك فهي لا تبعد كثيراً عن الحقيقة، وكما قال (مارك توين Mark Twain): «إنني رجل عجوز عرفت كثيراً من المتاعب ولكن أغلبها لم يحدث أبداً».

الجهل بالطرق الفنية الأساسية لتوفير الوقت:

قال (مايكل جرين): «يمكن أن أدلّك على كيفية تنظيم وقتك في ثلاثين دقيقة». ولكن الكثيرين لا يتعلمون المباديء الأساسية أبداً، وهناك العديد من الكتب عن الخطوات البسيطة التي بها ننظم ونتصرف في وقتنا، ولكننا لا نستفيد منها مما يضاعف من إحباطنا وخسارتنا.

وأخبرتني (ليلا وليامسون Lila Williamson) ربة منزل وعاملة في أنابوليس بولاية ميريلاند «عانيت بشدة من مشكلة الوقت وأثرت عليّ لأني قبلت طيلة عشرة أشهر وظيفة في مشروع خاص بمنطقة واشنطن العاصمة، حيث كنت أسافر يومياً ٧٠ ميلاً في اليوم، فكنت أسافر في الصباح الباكر وأعود للمنزل في السابعة مساءً، وفي أيام الأربعاء في السابعة والنصف

مساءً، ولم يكن لديَّ وقت لنفسي، فكنت أتناول العشاء وأغسل الأطباق وأتمشى بالكلب ثم يأتي وقت الاستعداد للذهاب إلى الفراش للنهوض في اليوم التالي، واستمرت العجلة هكذا تدور. كان الوقت شيئاً نفيساً». كان من الممكن أن يتطرق اليأس إليها ما لم تكن قد تعودت على بعض العادات الممتازة لتوفير الوقت «لقد كنت أستغل الوقت في القراءة والصلاة عندما كنت أركب الأتوبيس، وكنت أقرأ الكثير خلال الرحلة، وكل ما يمكن قوله إن الله عندما يعيد تنظيم حياتنا فنحن بحاجة لأن نبحث عن مشيئته في ذلك الموقف، وأن نستغل ذلك بأفضل ما يمكننا».

لقد تعلمت مؤخراً قوة الفعل «يفعل» في القائمة التي تظهر على شاشة الكمبيوتر، فلدينا برنامج في الشبكة عنوانه «البرامج الإنتاجية لهيجينز» وأول شيء يظهر على الشاشة في هذا البرنامج - آلياً- هو برنامجنا المقترح، فنحن لسنا بحاجة لتضييع الوقت في الإسراع بدوران التروس أو التساؤل عن أية وظيفة نجريها أولاً، فكل شيء جاهز.

الجهل بالخطة الإلهية في موعدها:

وذلك من أهم الأسباب التي تقتل الوقت، فنحن نقضي وقتاً في أنشطة عديمة الجدوى لا تتصل بالملكوت، فقد يبدو كما لو كنا ننجز شيئاً في الوقت المناسب، ولكننا في النهاية نقول إنه كان عديم الجدوى. قال لي (وودي برايس): «أجد نفسي أعمل أشياء أرى أنها هامة في وقتها ولكنها في الحقيقة ليست كذلك، وهذا راجع لأني أرغب في عمل تلك الأشياء وليس لأن تلك الأشياء هامة حقاً ..»

هنا جدول قد يساعدك على تحديد بعض أنشطة الملكوت وبعض الأنشطة التي لا تتصل بملكوت الله:

أنشطة الملكوت	أنشطة لا تمت للملكوت بصلة
١- زيارة المرضى.	- زيارة المركز التجاري .
٢- مساعدة صديق في ترتيب حجرته التي يستجم فيها.	- مشاهدة مباراة كرة قدم .
٣- الترتيل في جوقة الترنيم	- الغناء في فرقة دنيوية.
٤- الذهاب إلى الكنيسة. والتقدمة والتعليم وهكذا.	- الذهاب للإقامة في بيت مؤقت في موسم صيد حيوان (الموظا)
٥- قضاء الوقت مع أطفالك وزوجتك وعائلتك وأقاربك.	-قضاء الوقت في مشاهدة الفيديو
٦- الشهادة للمسيح.	- سرد (النكات) والقصص.
٧- دراسة الكتاب المقدس.	- قراءة الروايات الرومانسية.
٨- الصلاة في السيارة.	- الاستماع لأشرطة الموسيقى الدنيوية في السيارة.
٩- قراءة الكتب القيمة التي تمجد الله.	- قراءة الروايات الجنسية المطولة.
١٠- الاستماع للموسيقى المجدة لله والأشرطة الدينية .	- الاستماع للأشرطة الدنيوية.

وبالطبع فأي من تلك الأنشطة التي لا تمت بصلة للملكوت يمكن أن تتحول بسهولة إلى أنشطة تتعلق بالملكوت إذا تم ربطها بما يخدم الملكوت وذلك عندما تقيم علاقات تؤدي للمحبة والعطاء والشهادة، ولكن الفكرة أن معظم الأنشطة التي لا تتصل بالملكوت والمذكورة عاليه يمكن إدراجها بسهولة تحت بند الوقت الضائع حتى وإن أُستخدمت للاستجمام، فهناك طرق للبحث عن أنشطة ملكوت يمكن أن تكون أيضاً للاسترخاء والاستجمام.

الخطايا القديمة المحيطة بنا كل يوم:

أطلق عليها ما تشاء من الأسماء، بدءاً من الروايات المثيرة وانتهاءً بالقصص الكوميدية والبوليسية، فالكثير منها ليست سوى خطية سافرة، فنحن محاطون بالعالم من كل الجهات ولا توجد لدينا رغبة كافية أن نخرج منه.

لقد قدمنا صورة واضحة المعالم للأيام الشريرة التي يكرهنا الشيطان على قبولها بالخداع، ولكن هذه هي الحقيقة التي يجب أن نتصدى لها.

ولكن هل هناك أي أمل؟ بالطبع يوجد أمل، فمع أن الشيطان شرير وقوي فهو ليس الحاكم المطلق أو كلي القوة، بل يوجد شخص آخر يقف إلى جانبنا وهو يتصف بهاتين الصفتين.

فكرة مفيدة:

فكر في اليوم الذي انقضى لتوه، ما الأجزاء التي يمكن أن تقول عنها إنها تأثرت بالشر؟ ولماذا تعتقد أن الشر قد انتصر فيها؟ وما الذي كان يمكن أن تعمله بخلاف ذلك؟

[٨]

لكل شيء تحت السماء وقت

«مع أني مسرع دائماً فلست في عجلة من أمري أبداً لأني لا أقبل أبداً أن أقوم بعمل أكثر مما أستطيع إنجازه بروح هادئة وادعة».   (جون وسلي)

وأنا أعدّ نفسي لكتابة هذا الكتاب قمت بإرسال أكثر من ١٥٠ استفتاء، عاد منها حوالي أربعين، واتصالاتي الشخصية قدمت لي العديد من الإجابات الشيّقة الموضحة للعديد من أسئلتي، ولكن اثنتين منها كانتا أبرز الإجابات.

إحداهما كانت من مُحرّرة لصقت استمارة صفراء أمام استفتائي، وكتبت قائلة «إنني أكـره أن أقول ما سأقوله يـا مـارك، ولكـن ليس لديَّ وقت لملء هذه الاستمارة!».

والثانية كانت من هادون روبنسون Hadon Robinson رئيس مدرسة اللاهوت المعمدانية المحافظة في دينيفر بكلورادو، فقد كتب قائلاً: «إني متأكد أن ما تعلمته موجود في عشرين كتاباً عن التصرف في الوقت، ومع ذلك فقد اكتشفت أنك إذا كنت ممن يستيقظون مبكراً فلا توجد أزمة تستحق هذا الاسم تحدث قبل الحادية عشر صباحاً!».

وبمعنى آخر فكثير من الأشياء التي تلقي بظلها الكئيب «كمحن» ليست كذلك، والناس ببساطة يدعونها كوارث أو أزمات لأنهم يريدون أن يحصلوا

على ما يرغبون فيه في الوقت الذي يريدونه فيه. ومع ذلك فيمكن أن نلجأ لمثل قديم عن الموضوع يقول «يوجد وقت لكل شيء ولكل شيء وقته»، إني لا أمقت حقيقة أن أياً من هذين الشخصين لم يكن لديه وقت لملء استفتائي، بل أنني سعيد أنهما قد أعاداه، ولا يمكنني أن أتوقع أن تكون اهتماماتي لها الأولوية عندهم لمجرد أني أرسلت لهما خطاباً به استمارة قد كُتبت على الحاسب الآلي (الكمبيوتر) بأسرع من الوقت الذي استغرقاه في كتابة إجابتهما المختصرة!

مبدأ هام

ولكنني أرى وراء ذلك مبدأ هاماً عن الوقت يتعلق بالله المسيطر على كل الأزمنة، وهو موجود في سفر الجامعة ٣:١و١١ «لكل شيء زمان ولكل أمر تحت السموات وقت... صنع الكل حسناً في وقته وأيضاً جعل الأبدية في قلبهم التي بلاها لا يدرك الإنسان العمل الذي يعمله الله من البداية إلى النهاية».

عندما استعمل سليمان كلمة (وقت) في عدد (١) استخدم كلمة تعني «وقتاً معيناً، وقتاً سبق تخطيطه لنشاط ما»، وهذا يعني أن هناك هدفاً لكل شيء يحدث، فهو ليس (معيناً) بمعنى (محدداً) ولكنه مؤيد بحكمة ومحبة وصلاح الله ذاته، لقد عيَّن كل الأوقات لغرض، وكذلك كل الأشياء التي تحدث، وعدد (١١) يكشف شيئاً أكثر غرابة في الكلمة (حسناً)،

فالاصطلاح العبري الحرفي يعني (حسن) ولكنه أيضاً يعني (ممتاز)، فالله قد جعل كل شيء «حسناً وممتازاً في وقته» .

وهناك شيء يوضح ذلك أكثر، فعمل الله في الخليقة والتاريخ كامل، برغم أن الشر يتغلغل في كل زاوية وركن في الكون- وأن الله بطريقة ما- يجعل كل شيء حسناً ومواتياً لأولئك الذين يحبونه ويتبعونه.

إني مقتنع أنه عند نهاية التاريخ وبداية الأبدية سوف يرى كل المفديين من كل عصر حكمة وكمال خطّة الله في الأحداث البشرية، وسوف يندهشون من أنه حتى الأحداث الرديئة قد اتضح أنها كانت وسيلة الهدف منها جذبنا إليه في ألفة ومحبة.

وهذا لا يعني أن الشرور هي خير، كلا البتة، ولكن ذلك يعني أن الله قد رتّب حياتنا حتى يصبح كل شيء مناسباً في وقته، فالفرص والظروف والمشاكل والمواقف في الحياة تتوارد إلينا حيثما كنا في اللحظة المناسبة، ليس بأسرع من اللازم ولا بأبطأ من اللازم.

رؤية سلطان الله

عند التعامل مع موضوع الوقت والعجلة ونظام الحياة المتعجل الذي اعتدنا عليه، علينا أن نتعامل مع حقيقة سلطان الله، فكل شيء يحدث هو في النهاية تحت سيطرته، وهو جزء من التصميم الكبير الذي سوف يكمل خطته الأزلية، فمهما يحدث في حياتنا الآن، ومهما كنا مكروبين أو نعاني

من الأزمات فإن كل شيء يمكن أن يتحول للخير إذا خضعنا للرب المسيطر على كل الأزمنة.

لقد عرف جون وسلي هذه الحقيقة جيداً، وكتب أكثر من ٤٠,٠٠٠ عظة في حياته، وسافر ٢٥٠,٠٠٠ ميلٍ على ظهر الخيل، أي بمعدل عظتين و١٢,٥ ميلاً على ظهر الخيل كل يوم منذ وقت تجديده في (الدرزجيت Aldersgate) في ٢٤ مايو ١٧٣٨ حتى وفاته في عام ١٧٩١، وهذا إنجاز يصعب تصديقه، ومع ذلك فنادراً ما كان يبدو في عجلة من أمره، كتب قائلاً:

«مع أني مسرع دائماً فلست في عجلة من أمري أبداً لأني لا أقبل أبداً أن أقوم بعمل أكثر مما أستطيع إنجازه بروح هادئة وادعة».

وإذ نكتسب هذه الرؤية لسلطان الله، فإننا نتحرر من عقالنا، فلم تعد هناك ضرورة للاندفاع، فالله الذي يسيطر على الوقت ويحبنا هو إله الراحة الذي صنع كل شيء «حسناً» في وقته، والجمال الحقيقي لا يمكن أن ننهل منه في نظرة، إننا يجب أن نتذوق طعمه ونستمتع به، ونختبره إلى التمام، وفي صياغة أخرى لأحدهم قال: «إن الله قد أعطانا وقتاً لنتوقف ونشم الورد، ولنا مطلق الحرية أن نتوقف ونشمها».

جمال سلطان الله

إن سلطان الله من أهم تعاليم الكتاب المقدس البانية للرجاء، عندما يتعلق الأمر بمشكلتنا مع الوقت، فهو يعني أن :

١- كل الأحداث تحت سيطرته (مزمور٣٣: ١١-١٢، إشعياء ٤٥: ٥-٧).

٢- لقد سمح بهذه الأحداث على أساس وجوده الدائم وحكمته الكاملة ومحبته غير المتغيرة وقداسته المطلقة (مزمور ١٠٣: ٨، بطرس الأولى ١: ١٦-١٧).

٣- أي أحداث تتم فلله غرض من حدوثها (أفسس١: ١١-١٢).

٤- إنه يستطيع أن يجعل كل الأشياء تعمل معاً للخير (رومية٨: ٢٨) (انظر طبعة الملك جيمس).

ولهذا السبب قال سليمان إن كل شيء «حسن» في وقته، وحتى أزمة الوقت التي نعاني منها حالياً «حسنة»، كيف يكون ذلك؟ ربما لإجبارنا على تعلم مبادئه وحقه فيما يختص بالوقت حتى نتغير ونستخدم الوقت لملكوته.

السلبي قبل الإيجابي

ألا تجد أن الله غالباً ما يسمح لنا أن نختبر الأمور السلبية قبل أن نتمكن من معرفة الأمور الإيجابية؟ فهو يجعلنا نأكل النبات الذابل على الجانب المظلم من السور قبل أن يسمح لنا بأن نشبّ لنطالب بالعناقيد المثمرة، إن ذلك جزء من خطته لدفعنا لاختيار الصالح، فبعد أن نجرب الشر سرعان ما نكتشف كم هو كريه ومثير للاشمئزاز، وهكذا فعندما نختار الخير في النهاية لا نميل بعدئذ للارتداد للشر.

الموازنة بين عنصرين

أن نتعلم العيش في حدود وقت الله الحسن يتطلب الموازنة بين عنصرين هامين: التوقيت والجدولة.

فكلنا على دراية جيدة بالجدولة، فهذه هي العملية التي نقوم بها عندما نضرب موعداً أو نحدد وقتاً وتاريخاً لشيء نريده أن يحدث، يقول (مارك بورتر) في كتابه «زمن حياتك»: «إن الجدولة جزء هام من مهمة القرن العشرين، فوضع الجداول والمواعيد النهائية يعطي أهمية للأنشطة التي يمكن أن تتأخر توقيتاتها بدون ذلك الجدول.

ولكن إذا لم تكن حريصاً بما فيه الكفاية فإن جدولك سرعان ما يصبح معبوداً لك، فتصبح غير مرن، صلباً ومنعزلاً منقاداً لأولوياتك. فماذا إذا كانت خطة الله تتطلب فرصة لكي يغزو الملكوت جدولك، ربما تعتبر «عطيته» نوعاً من التدخل غير المرغوب فيه.

التوقيت

وهذا يأتي بنا لموضوع التوقيت، فوليم ت. مككونيل Macconnell يرى أن التوقيت ذو أهمية بالغة في كتابه «عطية الوقت».

«التوقيت يعني ترتيب الأشياء أي وضعها بنظام، أو ورود الأحداث معاً بتوافق، فهو «الوقت الصحيح» أو «الموسم المناسب» المألوف في الكتاب المقدس، والجدولة هي أيضاً طريقة لوضع الأشياء في ترتيب معين، ولكن مع الإبقاء عليها منفصلة دون ارتباطها معاً «فالجدولة تجعل لنا حدوداً لكل شيء، وهذا يمكننا من التركيز على شيء واحد في وقت واحد، ولكنه أيضاً يحرمنا من التجاوب مع السياق».

عندما نرتب الجدول، أي عندما نضع النظام الخطي للأحداث بمحازاة الحياة ذاتها، فإن رؤيتنا للحقيقة تنكمش، وفكرتنا نفسها تصبح مقسّمة إلى أقسام منفصلة. فالفرق بين التوقيت الكتابي والتخطيط العالمي هو الفرق بين أفكارنا وهي طليقة وبين أفكارنا من وراء القضبان والحواجز، وهو فارق يشبه تماماً ما يحدث للحيوانات الطليقة بعد أن يتم وضعها في أقفاص داخل حدائق الحيوان، فالأفكار داخل الأقفاص يسهل دراستها وتنظيمها كثيراً، ولكنها تفقد قوتها وإثارتها.

فالتخطيط والجدولة هي التي تساعدنا لتأدية أعمالنا في الميعاد المضبوط، والتوقيت الإلهي هو الذي يجلب لنا الأشياء الجميلة في الحياة والتي تجعلنا نؤدي عملنا بفرح وبإنجاز ومعنى، ففي توقيته فقط توجد إمكانية الحياة الحقيقية، وكما قال (ادلاي ستيفنسون): «على المدى الطويل ليس المهم هو عدد سني حياتك بل الحياة التي في سني حياتك».

فهم أفضل

توضح ليلى وليامسون الفكرة فتقول «نحن في الحقيقة لا ننظم وقتنا

ونحن بين يدي الله، ولكنه هو الذي يدبر الوقت في حياتنا ، فهو في الأغلب يأخذ وقتنا لأنه يريد أن يستخدمنا في حياة شخص آخر، فإذا كانت جداول حياتنا مزدحمة جداً لدرجة لا تسمح بوجود الله فيها فبإمكان الله أن يستخدم أشخاصاً غيرنا ».

إن توقيت الله يعني أن الفرص وحاجيات الناس التي تتعارض وتتصادم مع جداولنا يُفضل أن تكون لها الأسبقية، والقلوب الخبيرة فقط هي التي يمكن أن تحدد إذا كانت الحاجة الحاضرة يجب أن يكون لها الأسبقية على الأفعال والأحداث التي سبق التخطيط لها أم لا، والطريقة الوحيدة التي يمكن بها أن نصل لهذا القرار تكون من خلال الاعتماد على الله من خلال دراسة كلمته ومن خلال الصلاة.

صــــورة حيـــة

رامونا تكر Ramona Tucher المحررة بمؤسسة النشر المسماة (هارولد شور) بولاية اللينيويز، أعطتني مثلاً حياً على التفاعل بين التخطيط البشري وتوقيت الله، فقالت «إن بيتنا مفتوح على الدوام لاستضافة المراهقين وغير المتزوجين حتى الثلاثين من العمر، فقد استضفنا مراهقين لديهم مشاكل (من بينها مشاكل الاعتداءات الجنسية)، وقد اكتشفت ما

تشعر به الأم العاملة عندما يكون لديها مراهق يحتاج إليها في البيت، وقد كنا مع أولادنا أثناء نظر قضاياهم في المحاكم واختبرنا اليسر والعسر، ونحن نكتب الآن كتابنا الثاني معاً عن هذا الموضوع، ثم (كتابي الثالث) ﴿ هذا توقيت الله».

فكيف أمكنهما إذن التجاوب معه؟ «نحن نفصل التليفون الساعة العاشرة مساءً كل ليلة ، فلدينا جهاز الرد على المكالمات التليفونية، وبإمكاننا أن نسمع الرسالة، ولذا يمكننا أن نعرف إذا كانت عاجلة أم لا، فبفضل التكنولوجيا لسنا مضطرين أن ندمن الرد على المكالمات التليفونية (تليفوننا يرن باستمرار). فبعد العاشرة مساء كل ليلة هو الوقت المخصص لنا سوياً للراحة، ونحن نستيقظ أيضاً في الخامسة والنصف صباحاً، وهو وقت نقضيه سوياً أيضاً ثم نتناول الإفطار معاً.

«وبعد أن يخرج زوجي أنهمك في قراءة الكتاب المقدس ثم أحفظ شذرة عن ظهر قلب أثناء تمشيتي في المنطقة المجاورة لمنزلي لمدة ١٥ دقيقة، وبعد ذلك أمارس العزف على البيانو لأهدأ بعد فترة التمشية. وأخيراً آخذ حماماً وأكون موجودة في العمل في الثامنة صباحاً، وهكذا يسير برنامجي بصورة مدهشة».

فأنت ترى هنا التوقيت الإلهي والتخطيط البشري يعملان جنباً إلى جنب، ومع أن برنامجها اليومي مزدحم تماماً إلا أنه يوجد به مكان للطوارىء و«الفرص» التي يتيحها الله ويضعها في طريقها.

مناشـــدة

لو وجدت ما يعيق برنامجك اليومي، ووجدت حاجات الناس تعترض وقتك، فأول خطوة أن تلجأ لله كلي السلطان، فهل يمكن أن يكون الله في محبته وحكمته قد أرسل هؤلاء الناس بحاجاتهم إليك لأنه يريدك أن تخدمهم؟ أم أن هذا التعارض راجع لتدخل «الشرير»، ولذلك فعليك أن ترفض أن تعطيهم وقتك وطاقتك؟.

إن انتظار الرب وطلب الله السير والدائم معه هو الذي سوف يساعدك لتعرف الفرق، فلو أجلنا كل شيء بدلاً من السير بموجب برنامجنا المفضل قد نفقد أوقاته« الحسنة»، ومن الناحية الأخرى إذا لم نخطط لأي شيء فقد لا ننجز أي عمل.

جاء في إحدى الكلمات القديمة المنقوشة على أحد شواهد القبور ما يأتي:

لقد سار تحت القمر

ونام تحت الشمس

وعاش حياة لسان حالها يقول إنني سوف أعمل كذا وكذا

ومات دون أن يفعل أي شيء.

ســــؤال

ولكن عند هذه النقطة علينا أن نتساءل: إلى أين نحن سائرون؟

أين سيأخذنا الله؟

هذا الموضوع من أهداف الله للتاريخ، كما هو للأفراد، وسوف نتأمل فيه فيما بعد.

فكرة مفيدة

كيف ترى سلطان الله فيما يختص بمشكلاتك مع الوقت؟ هل تجد راحة فيه؟ لِمَ لا؟ فكّر للحظة وتكلم مع الرب عما يمكن أن يفعله ليساعدك لتجد «الجمال» في أيامك.

[4]

أهداف الله

«هلم ورائي فأجعلكما تصيران صيادي الناس» (مرقس ١: ١٧).

يضع وليم ت. مككونيل النقاط فوق الحروف فيما يختص بالمشكلة الأساسية للوقت بهذه الكلمات الفاحصة: «لأول وهلة تبدو كلمات آلان لاكين -مؤلف الكتاب الأكثر مبيعاً (كيف تسيطر على وقتك وحياتك) وآخرين من الكارزين بالإنجيل صحيحة تماماً، فوسائلهم الفنية تحقق نتائج طيبة، فيها تستطيع تحقيق كم هائل من الإنجاز، وتبعد عنك ما يضيع وقتك، وتجد وقتاً للعديد من الأشياء التي كنت تريد أن تنجزها...

ومع ذلك فإن عاجلاً أو آجلاً إذا كنا مولعين بالتفكير والتأمل قليلاً قد نتساءل إذا كنا مقبلين على الهدف الصحيح أم لا، وهل أهدافنا حقاً ذات أهمية في الحياة؟ إنها لحظة مواجهة مؤلمة، قد نكتشف فيها أن الأهداف القصيرة المدى التي وضعناها نصب أعيننا ليست أهدافنا حقاً، ولكنها مجرد انعكاس لقيم المجتمع السطحية الجذور، وأن كل ما عملناه كان لإرضاء ذواتنا فقط. وقد يثبت أن أهدافنا ليست أكثر من مجرد «خطّة للعبة» قد عُملت دون معرفة حقة بهدف اللعبة.

أهداف الله

إن المسيحي المنظم له أهداف، فهو ذاهب إلى مكان ما لقصد ما، ولكن

لم ولماذا؟ وماذا عن أهداف الله؟

وسوف نواجه السؤال إن عاجلاً أو آجلاً: ما الذي يريده الله مني حقاً ؟

ما هي خططه؟ وهدفه وأهدافه لحياتي ولحياتنا؟

يقول مككونيل «إنها لحظة قاسية».

حلــــم

قبل أن أصير مسيحياً أتذكر أني كنت في مواجهة قوية مع ضميري، ولعدد من الشهور كنت أقرأ الكتاب المقدس وأصلّي مع أني لم أكن قد عرفت الرب يسوع المسيح شخصياً.

ويوماً ما كنت راقداً على سريري في مقر إحدي الجمعيات، وأنا أفكر في الأحداث التي مرت بي في يومي، وتواردت إلى ذهني أشياء معينة وحركت فيّ شعوراً غامضاً بالذنب، إنه إحساس تعايشت معه لمدة طويلة ولم أصل فيه إلي قرار بعد.

وإذا كان عقلي يمعن التفكير في الحقائق التي مرّت بحياتي أدركت فجأة بإحساس مؤلم بالتبكيت على عدد من الخطايا الشخصية، ودار التفكير في عقلي على هذا النحو:

ماذا يحدث لو أن هناك حقاً إلهاً قد رآني أفعل ذلك؟ ما الذي سوف يحدث لي؟

في تلك الدقائق القليلة توارد إلى ذهني شريط يحكي ماضي حياتي على الرغم من أني لم أفعل شيئاً شائناً كما لم أنجز شيئاً ذا قيمة أيضاً. وامتلأ عقلي بصورة حية لشخص حياته عبث في عبث، كشيء ملقى فوق كومة من القمامة النتنة لا يصلح إلا لأن يُلقى به في قلب قمامة.

وطيلة حياتي حتى تلك اللحظة كنت أصارع للإجابة على هذه الأسئلة: ما الذي يهم في حياتي؟ وماذا يحدث لو أني مُتّ؟ وهل أواجه الله؟ وماذا سيفعل بكل أخطائي وخطاياي؟ وأهم سؤال هو ما الذي كان مفروضاً أن أعمله في حياتي؟

وبعد ذلك بشهور قليلة اختبرت مقابلة مع يسوع وكان فيها التطهير والتحرير، وكانت نقطة تحول أدت لتغيير شامل، وكل شيء في حياتي أصبح فجأة ينتمي ليسوع وبرنامجه وهدفه وحقيقته، فعكفت على قراءة الكتاب المقدس مثل خبير في مكتب المباحث الفيدرالي يفحص بصمات أحد المجرمين، وذهبت إلى الخدمات التعبدية، ودراسات الكتاب المقدس والشركة المسيحية وعملت ذلك كرجل وقع في الحب، كنت أعيش لهدف معرفة شخص يسوع والسير معه، واختباره عملياً، ولم يكن يهمني شيء آخر.

ولكن تلك الأيام كانت أسهل بكثير من هذه الأيام، فقد كنت غير متزوج وكنت في بداية حياتي العملية، وكنت متفرغاً أكثر للدراسة والتعلم، وكان وقتي ملكي، والمسئوليات والمهام الموكلة إليّ كانت قليلة.

التغييرات

أما الآن فكزوج وأب، ومدير في شركة، وكاتب وعضو في الكنيسة، لا تبدو الأشياء بهذه البساطة بأن «أعرف شخص يسوع وأمشي معه وأختبره»، فهناك الأمور الكثيرة في الحياة وعن الحياة تستحوذ على انتباهي، وهناك العديد من الناس يطالبونني بوقتي ومجهودي ومواردي. وعلينا أن نواجه هذا السؤال: إلى أين يأخذني الله أنا وأنت؟

يسوع حدد لنا هدفاً منذ البداية

عندما نادى يسوع أندراوس وبطرس ويعقوب ويوحنا ليتبعوه، أخبرهم بواحد من أهدافه ليضعوه نصب أعينهم في الحياة:

«هلم ورائي ... فأجعلكما صيادي الناس» (مرقس ١:١٧).

كانت تلك رؤية كافية واتجاهاً للرجال الأربعة لترك كل شيء خلفهم واتّباع يسوع. وخبراء إدارة الأعمال دائماً يكلموننا عن الحاجة لوضع أهداف مماثلة لحياتنا «إلى أين أنت ذاهب؟ ما الذي تحاول عمله؟». كان أحد أساتذتي يقول دائماً «إذا لم تعرف إلى أين أنت ذاهب فإنك سوف تصطدم بشيء ما في كل مرة!».

ولكن أهدافنا الشخصية عديمة الجدوى إذا لم تكن مرتبطة بكيفية ما

بأهداف الله وأغراضه تجاه خليقته، لأن أهدافه سوف تكتمل وتتحقق في النهاية، وأهداف كل شخص آخر سوف تندثر في التراب.

مرة كنت أقوم بعمل ما، وكانت أهدافي منه تتعارض مع أهداف الشخص الذي أعمل لديه، وكنا نناقش هذا الأمر مراراً وتكراراً، وكنت على اقتناع أنني على صواب، وكنت أرى أنني أصل لأهدافي بشكل أفضل وأسهل عندما تتوافق مع الحق، ولكنه كان هو صاحب العمل، ويوماً ما طلب مني أن أبحث عن وظيفة أخرى.

وبنفس الطريقة فإن الشيطان وقواته يحاربون الله وملائكته للسيطرة على العالم. يقول الشيطان: «إن أهدافي أفضل. اتبعني وسوف تفوز» وهناك مرتبة أدنى من الشيطان نراها في كل شخص في هذا العالم وهو يهز قبضته في وجه الله ويصيح قائلاً: «سوف أفعل ما أريد». وفي نفس الوقت يضحك الله عليهم (مزمور٢:٤)، لقد نصب ملكه على صهيون وهو ينصحنا قائلاً «قبّلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق لأنه عن قليل يتقد غضبه، طوبى لجميع المتكلين عليه»(مزمور٢:١٢).

فمهما كانت أهدافنا عظيمة وسامية وأكيدة في هذا العالم، فإن لم تكن متفقة مع غرض الله النهائي فهي محكوم عليها بالفناء.

فما هي إذن أهداف الله؟

ثلاثة أهداف أساسية

توجد على الأقل ثلاثة أهداف أساسية في الكتاب،

الأول هو اعلان مجد الله.

«فالله لا يعطي مجده لآخر (إشعياء ٤٢:٨) «ولكن حي أنا فتملأ كل الأرض من مجد الرب» (عدد١٤:٢١أ).

إن مجد الله يمثل ماهية الله، وكل ما يجعله جديراً بالعبادة والحب والاحترام والطاعة. إن مجد الله يمثل كل ما خلقه (الملائكة، والكون وكل شيء) وماهية الله (طبيعته وشخصه) وكل ما يفعله (خلاص الإنسان، وأعمال سامية وتقديس للإنسان).

لماذا يريد الله أن يعلن عن مجده؟

١- حتى تعرف كل الخليقة مجده (عدد١٤:٢١).

٢- حتى تحبه كل الخليقة وتستمتع به (يوحنا ٤:٢٢-٢٤).

٣- حتى تقبل كل الخليقة عطاياه وهباته (يوحنا ١٠:١٠)

إن هدف الله الأول جعل مجده معروفاً لكل الخليقة

ولذا فأي شيء نعمله في الحياة يجب أن يتجاوب مع هذا الهدف، وعلينا أن نخصص وقتاً لنعرفه ونتمتع به ونتقبل عطاياه الصالحة، وعندما نصلي في الصلاة الربانية «ليتقدس اسمك» فنحن نعلن موافقتنا على أن الله

يجب أن يمجده كل البشر.

والهدف الثاني هو تأسيس ملكوته في خليقته

لقد أخبر الملاك جبرائيل مريم أن ملكوت يسوع لن تكون له نهاية (لوقا ١:٣٣). ولقد أخبر يسوع تلاميذه أنه «قد دفع إليه كل سلطان في السماء وعلى الأرض» (متى ٢٨:١٨). وكان بولس واثقاً أن الرب سوف ينقذه ويخلصه لملكوته السماوي (تيموثاوس الثانية ٤:١٨)، فمنذ أن عصى الشيطان الله، والرب القدير يؤسس ملكوته على الخليقة، فما الذي يتضمنه إنشاء ملكوته؟ توجد ستة أنشطة على الأقل:

١- التبشير بالإنجيل لكل واحد (متى ٢٨:١٨-٢٠)

٢- خلاص الخطاة (لوقا ١٩:١٠)

٣- تقديس القديسين (رومية ٨:٢٩)

٤- نهاية تاريخ العالم (كورنثوس الأولي ١٥:٢٣-٢٩)

٥- إزالة الشر (رؤيا ٢٠:١١-١٥)

٦- بداية الأبدية في عالم كامل (بطرس الثانية ٣:١٣، رؤيا ٢١-٢٢).

مرة ثانية هذا ما يريده الله، عندما نصلي في الصلاة الربانية «ليأت ملكوتك» فنحن نعلن موافقتنا على كل هذه النقاط، فهدف الله هو هدفنا. وهكذا فمهما كان لدينا من أهداف شخصية فإنها يجب أن تتوافق بكيفية ما مع بعض أو كل أهداف الله.

هدف الله الثالث أن ينفذ خطته الإلهية نحو خليقته

فقبل أن يوجد أي شيء، فقد عمل الله خطة يفعل بها شيئين:

١- يعلن مجده ٢- يؤسس ملكوته

فكل شيء يعمل في هذه الحياة يعمل لهذا الهدف، وهذه الخطة تشمل كل ما يحدث الخير والشر وكل ما هو ليس بخير أو شر، والله لا يسبب الشر، ولكن خطته تشمله وتلتف حوله عندما يحدث.

وعندما نصلّي «لتكن مشيئتك» في الصلاة الربانية، فنحن نتفق بحق مع هدفه لتنفيذ خطته الأزلية، فنحن بذلك نقول :«نريد أن نكون طرفاً فيما خطّطته وأردته، نريد أن نكون في اتفاق مع إرادتك».

أهدافنا أم أهداف الله؟

نحن نقرر أن نتبع خطتنا أو خطة الله، إن عاجلاً أم آجلاً، فإذا اخترنا إنجاز أهدافنا فإننا نخطط ونضع برنامجاً لوقتنا وفقاً لهذه الأهداف، ولكن إذا وحّدنا أهدافنا مع الله وسرنا في طريقه، فإن نظرة أخرى تحل محل الاتجاه الأول.

وهكذا فبتحديد أهداف شخصية علينا أن نقرر إذا كانت هذه الأهداف تتفق مع أهداف الله، فإذا كانت لا تمت إليها بصلة، فلماذا نضع هذه الأهداف نصب أعيننا لنبدأ بداية خاطئة؟

فكـرة مفيـــدة

إذ نتأمل الأهداف التي جعلها الله لخليقته فأي الأهداف هي الأكثر أهمية بالنسبة إليك؟ ولماذا؟ ما الذي تراه يحدث في حياتك الآن ويتفق مع إنجاز تلك الأهداف؟

[١٠]

نحن عمله

«ويبدو أن الله لا يفعل شيئاً بنفسه يمكن أن يكلف به خليقته، فهو يأمرنا أن نعمل، حتى لو عملنا باضطراب وببطء ما يستطيع أن يعمله هو بالتمام وفي لمح البصر، ويبدو أن الخليقة مفوضة للقيام بذلك العمل. إني أفترض هذا لأن الله هو الواهب». (س. إس. لويس C.S.Lewis).

عندما ظهرت مقالة مجلة (التايم) التي تقول «كيف نفد الوقت من أمريكا» في أبريل ١٩٨٩، أسرع الكثيرون بالموافقة وتأييد ما قالته (التايم)، ولكن ليس كل الناس وافقوا على ذلك.

فقد كان (لروبرت ج ساموليسون Robert J. Samuelsn) رأي مختلف تماماً فهو يقول «يعتقد الجميع تقريباً أن الأمريكيين في عجلة من أمرهم، وليس لديهم الوقت الكافي أكثر من ذي قبل». ولكني أقول «حسناً. نحن لسنا كذلك، هذه حقيقة سيكلوجية (نفسية)، نشعر بها، ولذلك فهي يجب أن تكون كذلك، فالشعور والحقيقة من المفترض أنهما واحد. فإذا كان اعتقاد الأمريكيين أنهم متضايقون ومنهكون بنوع خاص فهم كذلك».

ومضى ساموليسون يقول «إنها أسطورة، فالوقت لم يكن كافياً أبداً فيما مضى ولن يكون في المستقبل، وثقافتنا لا تتفق مع الكسل ولا تتفق كذلك مع الشعور بعدم الارتياح، وكما ذكر (دي توكوفيل De Tocqueville) قديماً «نحن الأمريكيين نعيش في خوف دائم من أن شيئاً خيّراً سوف

يتخطانا، تأمل في شكوى (دونالد ترمب Donald Trump) فهو يذهب للحفلات أو موائد العشاء أربع أو خمس ليالٍ في الأسبوع، ولكن أسمعه يتذمر قائلاً: «إني أكره الخروج أيام الآحاد». وفي إحدى المرات قال «لا أحب الخروج في ليالي الاثنين .. ولست متأكداً إن كنت أحب الخروج في أية ليلة».

فهل يتعاطف ساموليسون مع هّذه الحالة؟ كلا على الإطلاق فهو يقول: «إذن فلتستقر في البيت يا دونالد، فبإمكانك أن تسترخي دوناً عن سائر الناس، فما الذي سوف يفوتك؟

الضغوط حقيقية

ومع ذلك يعترف ساموليسون أن ضغوط الوقت حقيقية، فهناك ازدحام المرور، ويعاني الآباء العاملون من هذا الإزدحام، والناس يشعرون بأنهم مطحونون ومنهكون ومرهقون.

ولكن الحقائق هي الحقائق، وهنا يذكر ساموليسون قليلاً منها:

الحقيقة رقم (١):

إن طول يوم العمل عندنا أقصر بالفعل عن ذي قبل. يقول ساموليسون: « في مطلع القرن كان متوسط طول يوم العمل في المنطقة المجاورة لنا يبلغ عشر ساعات بواقع ستة أيام في الأسبوع. وكان يمكن أن يستغرق غسيل

الملابس يوماً بأكمله لأنك كنت مضطراً أن تستخدم الأحواض وألواح الغسيل. واعتزال الناس للعمل بصورة جماعية لم يحدث حتى فترة الستينيات، ففي ١٩٤٧ كان نصف عدد الرجال تقريباً يعملون وهم فوق سن الـ٦٥. وفي عام ١٩٦٠ وصلت النسبة إلى الثلث، وقبل عام ١٩٨٧ كان ١٥٪ فقط منهم يعملون (١١٪ من كل الكبار)».

الحقيقة رقم (٢)

لقد ازداد وقت فراغنا، فهناك دراسة قام بها الباحث الاجتماعي (جيمس ب. روبنسون Jams Robinson) من جامعة ميريلاند يقول فيها «إنه منذ عام ١٩٦٥ نجد أن وقت النوم (حوالي ٨ ساعات) ووقت الأكل (ساعة وثلث) ظلا ثابتين «وبالإضافة لذلك فوقت الفراغ .. يصل عند حوالي ١٠٪ من عدد الناس إلى ٥,٥ ساعة يومياً».

الحقيقة رقم (٣)

وقتنا في العمل قد نقص فعلاً، وهناك عدد أكبر من النساء في الوظائف ولكن «منذ عام ١٩٦٥ تناقص عدد ساعات عمل الرجال الأسبوعي من ٤٩ إلى ٤٢ ساعة عمل، وتناقص عدد ساعات عمل النساء من ٣٩ إلى ٣١ ساعة عمل».

الحقيقة رقم (٤)

يقوم الرجال بعمل أكثر في البيت عن ذي قبل. في عام ١٩٦٥ كان النساء يقمن تقريباً بستة أضعاف ما يقوم به الرجال من عمل في البيت (٢٧ ساعة مقابل ٤,٦ ساعة أسبوعياً للرجال)، وبحلول عام ١٩٨٥ وصلت

النسبة ٢ إلى ١ (١٩,٥ إلى ٩,٨ ساعة عمل)». ويستنتج ساموليسون من ذلك قوله «هل كل هذا الاندفاع مفيد لنا؟ من يعلم؟ ولكنه طابع أمريكي تماماً، وما يحدث يعتبر اليوم تعبيراً جديداً عن حالة قديمة، فالصراع والنضال جزء من ثقافتنا، فنحن مجتمع النشاط البالغ، وقد يعني هذا أننا متوترون وليس لدينا فرصة للتأمل وإعادة التفكير، وأن الوقت لا يجري، ولكننا نحن كذلك.

لم يتغير شيء

كما قال سليمان الحكيم: «لا جديد تحت الشمس»، فقد تكون مشكلة الوقت التي نعاني منها ليست شيئاً يختلف عما كان يعانيه آباؤنا وآباؤهم، ولا شك أن آدم كان يقول أحياناً لحواء عندما كانت تطلب منه أن يرفع القمامة «آسف ليس لديّ وقت الآن يا عزيزتي» ومع ذلك فقد عاش ٩٣٠ سنة!

كيف نقضي وقتنا؟

ولكن سواء كنت تعاني من مشكلة الوقت أم لا فالموضوع هو كيف تستغل الوقت الذي عندك فقد تندهش كيف يضيع الوقت على المدى الطويل، يقدم لنا (مارك بورتر) في كتابه (وقت حياتك) قائمة محتملة الحدوث، فلو عشنا ٧٥ سنة فنحن عادة نقضيها بالطريقة الآتية:

السنوات	النشاط	النسبة المئوية من وقتك
٢٣ سنة	تُقضى في النوم	٣١٪
١٩ سنة	تُقضى في العمل	٢٥٪
٩ سنوات	نشاهد فيها التليفزيون أو نمارس أشياء أخرى للتسلية	١٢٪
٥, ٧ سنة	لارتداء الملابس وللعناية الشخصية	. ١٪
٦ سنوات	تنقضي في الأكل	٨٪
٦ سنوات	تنقضي في السفر	٨٪
٥, من السنة	تنقضي في العبادة والصلاة	٧, . ٪

هذه القائمة يمكن أن تخلف بعض التجاعيد تحت أعيننا، وبعض العجلة في خطواتنا، إنها حقاً مروعة. فما الذي يكافئني الله عليه؟ ثلاثة وعشرين سنة نوماً؟ سبع سنوات ونصف في الملبس؟ يا له من شيء يدعو للأسى!

كلمة طيبة

هنا نجد كلمة طيبة أخرى من الكتاب المقدس تقدم لنا عوناً، وهي موجودة في رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٢: ١٠ «لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك

فيها ».

هذا العدد يجمع ثلاث أفكار هامة عن الإله الذي نحيا في وقته، كيف ينوي الله أن يحقق أهدافه في حياتنا ؟ فلنتأمل في عدة أفكار.

نحن عمله

الكلمة الإنجليزية «عمله» هي الترجمة للكلمة اليونانية Poema التي أخذنا منها كلمة Poem أي قصيدة شعرية، فنحن إذن قصيدة الله.

ولكن ما هي القصيدة؟ إنها صورة منطوقة تصف فكرة أو حقيقة قوية بارعة، وبمعنى آخر فنحن صورة مجسدة وتحفة فنية من أعمال الله، وأرجو أن ذلك يفتح أمام مخيلتنا آفاقاً جديدة في كوننا مخلوقين على صورة الله. فنحن لسنا فقط مخلوقين على صورته بشكل عام وبمعنى عام، ولكن بمعنى آخر فكل واحد خليقة الله بشكل خاص وفردي بقصد أن نظهر وجه خاص لطبيعة الله.

فكّر في ذلك بهذه الطريقة، كتب (والاس ستيفن Wallace Steven) الشاعر الأمريكي في أوائل الستينيات مرة قصيدة أسماها «ثلاث عشرة طريقة للتطلع إلى طائر أسود » وتحتوي هذه القصيدة على ثلاث عشرة صورة ذات نقش بارز كما لو كانت على حجر كريم، كلها موجهة لموضوع «الطائر الأسود » وبنفس الطريقة فحياة كل منا مُصممة بحيث تبرز وتظهر العديد إن

لم يكن الكثير من مظاهر الطبيعة الإلهية، فالرياضي يمكن أن يمثل قوة ضبط النفس والمواظبة، والممرضة يمكن أن تشخص الرحمة، والكاتب يمكن أن يظهر عمق المشاعر الإلهية، والتفكير المتعمق الرصين. وكل منا بطريقة أو بأخرى يصور عنصراً في طبيعة الله، أي عمله وصنعته في الخليقة.

لا يمكن الاستغناء عنه

ولكن هناك شيئاً آخر، فلا يمكن لفرد منا أن يعلن تماماً عن كل عناصر الكيان الإلهي، وهكذا فالله يعمل في كل واحد فينا لينحت فيه صورة خاصة لكيانه لا يمكن أن تتكرر مع شخص آخر بطول التاريخ كله، وبمعنى آخر فنحن لسنا فقط مهمين وفريدين، ولكننا من زاوية أو أخرى لا يمكن أن يتم الاستغناء عنا. لقد اختارنا الله لمهمة خاصة نستطيع نحن أن نقوم بها. وهذا يعني أنه عندما يتعلق الأمر بمشكلة الوقت فنحن لسنا بحاجة لأن نحاول أن نفعل كل شيء بل بالأحرى أن نركز على تلك الأشياء التي صنعنا الله لأجلها وننسى ما عداها، فقد خصص لها الله شخصاً آخر ليقوم بها.

عملـــــه!

لاحظ أيضاً أننا عمله. من هو؟ الإله ذو السلطان المطلق القدوس الحكيم

المحب العطوف، وكونه صاحب السلطان المطلق يعني أن كل لحظة في حياتنا خاضعة لسلطانه وتحت تصرفه، فلا شيء يمكن أن يمس حياتنا، لا موقف ولا مشكلة زمنية أو غيرها لم يأذن لها أن توجد في حياتنا، فكل شيء مرتب حسب خطّته وغرضه، ولذا يمكننا أن نثق أنه قادر على قيادتنا وإخراجنا من أزمة الوقت إلى موقف يمكن السيطرة فيه على الوقت- إذا سمحنا له بذلك.

وكونه قدوساً يعني أن ما يعمله فينا سوف يكون مقدساً، فهو سوف يرشدنا لكي نستغل وقتنا استغلالاً مقدساً وباراً وتقوياً إذا أخضعنا أنفسنا له، وهذا يضمن أنه من الممكن أن نخضع وقتنا لسيطرة الروح القدس ليستخدمه لمجده.

وكونه حكيماً يعني أن الموقف الذي نجد أنفسنا فيه جزءاً من خطة شخص ليس لحكمته نهاية، فلربما سمح لنا بأن نجتاز مشكلة الوقت في حياتنا ليقودنا لنضوج أعظم، لقد خطّط لكل لحظة في حياتنا بحكمة مترفقة لا تلين. وكل شيء يحدث يمكن أن يثيرنا وينمينا كبشر.

زد على ذلك فإن هذا يعني أنه يمكن أن يمنحنا تلك الحكمة، وبحكمته يمكننا أن نتعلم كيف نستخدم الوقت المتاح لنا بطريقة حكيمة وماهرة.

وكونه محباً يعني أن ظروفنا ومشاكل الوقت قد لا يسمح لنا بأن نجتازها من قبل قلب محب، فالهدف منها فائدتنا، ومشكلة الوقت يمكن أن تصبح مصدر فرح لأنها سوف تبني شخصيتنا وتزرع الاستقامة في حياتنا كما أنها ترينا طريق الخروج.

وأخيراً فكونه عطوفاً يعني أنه ليس فقط لديه الموارد الكافية لمساعدتنا

في تخطي أزمة الوقت، بل أنه أيضاً مستعد أن يهبنا تلك الموارد دون مقابل، ومهما احتجنا لإخضاع حياتنا والتحكم فيها فهو أيضاً على استعداد أن يهبنا إياه. وكوننا نحن عمله فهذا يعني في النهاية أنه وضعنا حيث نحن لأسباب حكيمة وصالحة ومقدسة ولمحبته وعطفه علينا، وكما سمح لنا بأن نجتاز فيها لأسباب معروفة له وحده، فهو أيضاً يعرف كيف يخرجنا منها. وبذلك يجعلنا كمسيحيين أكثر قوة ونضجاً. وأعتقد أن هذا يخفف من وقع حقيقة أن كلاً منا سوف يقضي سبع سنوات ونصف في الملبس وقضاء الحاجات الشخصية، وهذا يعني أن الله قد خطط لذلك، وأننا نتعاون معه في تنفيذ خطته فقط عندما ننهمك في تلك الأنشطة، وكوننا ننام ثلاث وعشرين سنة، فهذا لا يقلق فهذه هي الراحة التي أرادها لنا، إنها طريقة الله لاستعادة نشاطنا حتى تصبح بقية الأوقات مثمرة، وفوق الكل فإن مزمور ١٢٧ يعلن قائلاً «يعطي حبيبه نوماً»، فعندما يكون البيت من صنع الله فلا شيء يدعو للخوف، فهو آمن وسوف يظل قائماً إلى الأبد.

وقد فهم ك.س لويس هذه الفكرة جيداً عندما قال: « يبدو أن الله لا يفعل شيئاً يمكن لأحد خلائقه القيام به، فهو يأمرنا أن نعمل حتى لو عملنا باضطراب وبطء ما يستطيع أن يفعله هو بالتمام في لمح البصر.

«ويبدو أن الخليقة مسئولة عن القيام بأعمال كثيرة، وقد رتب الله هذا لأنه هو الواهب».

كان أحد أساتذتي معتاداً أن يقول إن الحياة أشبه ما تكون بلعبة

(البوكر)، فالبعض قد وُهب أيدي ماهرة ولكنهم لا يجيدون اللعب ولذلك يخسرون، وآخرون قد وُهبوا أيدي غير ماهرة، ولكنهم يلعبون بمهارة ويكسبون.

وكوننا نحن عمله يعني أنه مهما كان نوع الأيدي التي وهبنا إياها فإنه يمكننا برغم ذلك أن نكسب اللعبة بالخضوع له، هنا قوة عمله - أن يعمل فينا وبنا وليس فوقنا أو بطريقة غير مفهومة.

الأعمال الصالحة هدفه

ويمضي بولس في القول إننا «مخلوقون في المسيح يسوع لأعمال صالحة» ما هي الأعمال الصالحة؟ فرص الشفاء والبناء والخلق والمساعدة والمحبة والابتهاج، أن نكون مسالمين ودعاء مخلصين منضبطين، فأي شيء يُعمل لأجل اسمه وباسمه هو عمل صالح، سواء كان ذلك الاستمتاع بخليقته أو إطعام رجل أبرص في كلكتا، فالحياة مليئة بالأعمال الصالحة، فلو تساءلت «ما الذي يجب أن أفعله الآن»، فهناك دائماً إجابة بسيطة: أفعل شيئاً صالحاً.

الكلمة المفتاح هي «الفرصة»، يتحدث الناس أحياناً عن الحظ والقدر وعن «ضياع الأموال»، ولكن الحقيقة تبقى أن الله قد رصّع حياة كل كائن بالفرص التي خطّط لها مسبقاً، فلو كان لنا وجهة نظر متضعة تتحين الفرص وتترقبها لما أصبحت حياتنا رتيبة مملّة أو متعجلة لا تهدف إلى

شيء، بل أن شخصاً كهذا تراه مترقباً ينهض لتحية كل فرصة يضعها الله في طريقه بحيوية وهمة وإيمان.

فحينما نرغب أن نفعل مثل هذه الأعمال فالله يمنحنا الوقت، فهذا جزء من خطته، ولا يوجد مخطط حكيم يدرج القيام بعدد كبير من الأشياء في وقت قصير جداً.

وبالطبع فإن السؤال يصبح هكذا: إن كان الأمر كذلك فلماذا أشعر بأزمة وقت؟ هناك سبب واحد: إنك منهمك في القيام بأعمال خطّطها لك «الشرير» وليس الله الصالح!

قد يقول البعض إن هذا تسطيح للأمور، ولكن في آخر المطاف فكيفية استغلالك لوقتك أمر اختياري (وهذا ما سوف نناقشه في الفصل القادم). فلو كان اختيارنا خطأ فلابد أن نجد أنفسنا متسرعين منهكين ومتضايقين ولا نستطيع أن نستقبل الفرص التي يمنحنا إياها الله بأي شيء يدل على الفرح أو الغبطة.

الصراع والانتصار

كافح دكتور (جوزيف ورنر) الذي اقتبست له بعض الأقوال في الفصول السابقة ليجد وقتاً أطول للخدمة من خلال برنامجه المزدحم كاختصاصي لعلاج الأقدام، فكيف نجح في ذلك؟ لقد اتجه إلى الله الذي خلقه لأعمال

صالحة.

وقال لي «منذ عدة سنوات صلّيت أن يمنحني الله وقتاً أكثر للقيام بعمله، وكان ذلك ممكناً فقط لو أمكن الإقلال من التزامات العمل، ولو منحت بعض الامتيازات في المستشفي وممارسة الجراحة.

واستجاب الله بفتح الباب لبعض الامتيازات في مستشفى محلي وبإتاحة الفرصة للممارسة في مجال جراحة القدم، وأتاح لي ذلك وقتاً أقل لأقضيه في المكتب، وقد استجاب الله لرغباتي، وهذا بدوره مكنّني من الحصول على وقت أكبر للقيام بالخدمة الشخصية.

تخطيط الله لكل شيء مقدماً

لقد أعد الله هذه الأعمال الصالحة «مقدماً» هكذا قال الرسول بولس. فقد تم التخطيط لكل ذلك حسب سلطان الله منذ الأزل، لقد تطلب ذلك من الله مجهوداً للتخطيط وإعداد البرنامج، وكل شيء يحقق جزءاً من خطته، لقد أعد ذلك بدقة ليكون برنامج حياة لكل واحد ثانية بثانية.

هذه حقيقة مذهلة، ولكنها الحقيقة العظمى في إيماننا المسيحي، فإلهنا ليس هو الإله الذي يقول «اذهب واحصل عليها يا ابني» ثم يتركنا لذكائنا لنتصرف، وليس إلهنا هو الذي يقول «أرجو أن تسير الأمور على ما يرام».

كلا، لقد خطّط لما سوف يحدث كما خطّط لوقت ومكان حدوث كل

شيء، لقدتأكد أننا سوف نحصل علي فرص عظيمة تجعل حياتنا تستحق أن نحياها، وبطريقة ما، فالله كالمهندس المعماري الذي خطط كل خطوة في بناء المنزل، ومع ذلك فهو لم يخطط فقط للطوب الذي سوف يوضع في الواجهة، ولكنه خطط أيضاً لليد التي سوف تقوم بوضعها واللحظة التي ستقوم بوضعها فيها، ومن الذي يمسك بالملاط (الاسمنت) أثناء وضع الطوب، إنه تصميم رباعي الأبعاد يأخذ في الاعتبار المكان والزمان.

إن هذا يبعث فيَّ راحة عظمى إذ أشعر بوطأة الوقت، إنه يعني أنه إذا كان بإمكاني أن أفحص حياتي وأتخلص من إغراءات ولهو الأيام الشريرة فهناك احتمال كبير أن أختبر الحياة كمغامرة من إبداع السيد الأعظم بدلاً من أن تكون شيئاً كئيباً يتحكم فيه المخادع الأكبر.

الهدف النهائي

ما هو الهدف النهائي حتى نسلك في هذه الأعمال الصالحة؟

فالله لم يخطط فقط للحدث، ولكنه أيضاً حدّد الموعد وألبسنا وجهزنا ووضعنا في السيارة وهدانا لنقطة اللقاء، فالحياة تعني القيادة في طريق المغامرات السريع، وعند كل منعطف أعد لنا فرصاً لعمل صالح، قد تكون لنا برامجنا الخاصة، ولكن كلما سرنا معه بأكثر قرباً، كلما رأينا عمله يحدث في حياتنا طوال النهار.

ولذا دع الفرص تأتي، وعملنا الوحيد أن نكون مستعدين عندما تلوح في الأفق.

فكرة أخرى

ومع ذلك فهناك فكرة أخرى، فحقيقة أننا عمله تعني في نهاية المطاف أننا يمكن أن نسترخي ولا نكون متسرعين، فالأشياء سوف تحدث في الوقت الصالح الذي يراه الله، فنحن لسنا مجبرين دائماً أن نجعلها تحدث بالكيفية التي نريد أن نتحدث بها .

ويمكننا أيضاً أن نسترخي لإدراك أن الله هو المتحكم في كل شيء، وكوننا لا نفعل كل ما خطّتنا لتحقيقه فهذا لا يعني الفشل.

قال (دافيد فورد David Ford) المعلم والأستاذ في الكنيسة الأرثوذكسية: «عندما أبدأ في التساؤل عما إذا كنت أفعل كل ما ينبغي عمله وعما إذا كنت بالصورة التي يجب أن أكون عليها فسوف أصلي أن يقيم الله شخصاً آخر ليفعل كل ما لم أتمّه وكان يجب عليَّ عمله».

ثم أضاف «أرجو ألا يكون ذلك نوعاً من التزمت». بصراحة إنه ليس كذلك، فنحن عمله، والله في نهاية المطاف مسئول أيضاً، فإن كنا نثق فيه فلنا كل الحق أن نطلب منه أن يتولى شيئاً لا نقدر عليه، فقد نظن أننا يمكن أن نصبح آلهة، ولكنه هو الله، وهو يفضل أن يجعلنا نعمل كأبنائه الأحباء

المتكلين عليه من أن نكون أي شيء آخر.

فكرة مفيدة

فكّر في الغد وابحث بنشاط عن الفرص التي يمكن فيها أن تعمل أعمالاً صالحة، كأن تقدم كلمة تشجيع، وأن تخبر شخصاً ما كم تهتم به وتحبه، وأن تقدم له يد المعونة وأن تتعلم شيئاً جديداً عن الحياة والرب، وأن تقدم النصيحة من كلمة الله، وأن تقرأ فكرة بانية، صلِّ أن يجعلك الله متأهباً للفرص التي خططّها لك أن تعثر عليها ثم افتح عينيك!

[11]
الأولويات التي في السماء

«الفرق بين الشخص غير المنظم والشخص الهادىء الرزين نجده حين نكتشف أن الثاني قد اتخذ قراراً فيما يختص بما هو أكثر أهمية».

(مارك بورتر «وقت حياتك The time of your life)

هناك كاتدرائية في ميلانو بإيطاليا بها مدخل من طراز فريد تمر فيه من ثلاثة أبواب على التوالي، ولكل باب قوس عليه كلام منقوش، وعلى قوس الباب الأول المصنوع من الحجر ،والمزيّن بالورد نجد هذه الكلمات: «كل ما يبهج ما هو إلا للحظة عابرة»، والثاني عليه صورة صليب محفور عليه هذه الكلمات: «كل ما يتعب ما هو إلا للحظة»، ويمثل الباب الثالث والمؤدي إلى الهيكل المقدس الذروة، حيث نجد الكلمات المنقوشة عليه تقول: «الأشياء الهامة فقط هي الخالدة». كيف يمكننا أن نوثّق الصلة« بما هو خالد» ؟ كيف نبدأ التركيز علي ما هو هام ونلتصق به؟

يقدم ج جرانت هوارد J. Grant Howard فكرة صائبة في كتابه «موازنة مطالب الحياة» فهو يقول: «إننا محاطون باختيارات عديدة» «فحول كل منا تتجمع مساحة عريضة من البدائل، بعضها واجب التنفيذ فوراً والبعض الآخر يمكن تأجيله، البعض رديء والآخر جيد، البعض يخدعنا والبعض الآخر يحاول أن يحركنا، والضغوط تزداد شيئاً فشيئاً حتى تكاد تبتلعنا، وهذا يتسبب في إثارتنا فنحن نواجه تحديات أكثر من اللازم، ونتعرض لأكثر مما

يجب أن نتعرض له، وإذا لم نأخذ حذرنا يمكننا أن نتعهد بعمل أشياء لا قبل لنا بها قد تصل لدرجة التورط».

إن هذا صحيح فكل وسائلنا لتوفير الوقت لا يبدو أنها توفر أي شيء، لا الوقت ولا (المال)، والمعلومات لا تأتي إلينا في شكل كلمات وعبارات بل على شكل تقارير اجتماعات ومؤتمرات يصل عدد صفحاتها إلى ثمانمئة صفحة، وأفلام الفيديو لا تقدم لنا «أبطالاً حقيقيين»، فقد يستغرق الاطلاع على أحد الرفوف عدة أيام لمجرد معرفة العناوين، أما المكتبة المسيحية فقد لا نعرف أي شيء عن تصنيف كتبها، فالكتب والآلات والأدوات والمعلومات والمواد ترد إلينا في موجات متلاحقة، تكتب (نانسي جيبز Nancy Gibbs) في مجلة «التايم» «إن الآلآت الحاسبة تعمل والأقمار الصناعية تدور وآلات الطهي تئز تماماً حسب الخطّة الموضوعة، ومع ذلك فنحن دوماً نلهث متقطعي الأنفاس».

كيف نختار ما تثبت عينيك عليه؟ دع عنك أن تقرر ما تفعله أو تشتريه.

يقول (ج جرانت هوار): إن الإجابة في كلمة واحدة هي الأولويات، إن علاج خططنا وبرامجنا التي اتسمت بالفصام العقلي هو أن نقرر وضع أولويات، فإذا كان لابد لنا أن نخرج من سباق الحياة المحموم، وأن نعيش مسترخين مستمتعين بحياة طبيعية، إذن فعلينا أن نضع هذه الأولويات نصب أعيننا».

نعم ولكن أية أولويات؟

السؤال

ما نحتاج أن نسأله هو: ما الذي يعتبره الله من الأولويات؟ لقد تطلّعنا إلى أهدافه، ورأينا أنه قادر من خلال عمله وسلطانه أن يشغلنا لتحقيق هذه الأهداف، ولكن الهدف هو المرمى والأولويات تنتمي إلى تلك الأنشطة الضرورية لتحقيق الأهداف، إن هناك مفاضلة دائمة بين ما هو عاجل وما هو هام.

يفرق (تشارلس هومل) بين «العاجل» و«الهام» في (طغيان العاجل): «نحن نعيش في توتر دائم بين العاجل والهام، والمشكلة أن العمل الهام نادراً ما يعمل اليوم أو حتى هذا الأسبوع، فقضاء عدد من الساعات في الصلاة ودراسة الكتاب المقدس والزيارة مع ذلك الصديق غير المسيحي، والدراسة المتأنية لكتاب هام: هذه الأمور يمكنها أن تنتظر، ولكن الأعمال العاجلة تتطلب تدّخلاً فورياً. إن مطالب لا تنتهي تضغط علينا كل ساعة وكل يوم». ويضيف مارك بورتر قائلاً: «إن مفتاح الحرية يتواجد في التفرقة بين المهم حقاً وبين ما هو مجرد أمر عاجل.. أن نختار بين الصواب والخطأ ليس صعباً ، ولكن أن تختار بين أحد أمرين كلاهما خيِّر ليس دائماً بالأمر الهيّن، يمكننا أن نقضي وقتاً كثيراً لعمل بعض الأشياء ووقتاً أقل كثيراً في عمل أشياء أخرى، والفرق بين الشخص غير المنظم والشخص الهادئ الرزين نجده حين نكتشف أن الثاني قد اتخذ قراراً فيما يختص بما هو أكثر أهمية، فهو لا يضيع الوقت أو الطاقة ولا ينتابه القلق فيما يعتبره غير مهم».

والجملة الأخيرة هي المفتاح ، دعني أكرر أنه «لا يضيع الوقت أو الطاقة ولا ينتابه القلق فيما يعتبره غير مهم».

إن المفاضلة بين ما هو مهم وما هو غير مهم هي مفتاح التحكم في الوقت والحياة ذاتها. أتذكر (هندركس هوارد Hendricks Howard) في حديثه لتلاميذه في أحد الفصول « يا سادة إن الموضوع هو ليس المفاضلة بين ما هو صالح وبين ما هو شرير، إن المفاضلة بين ما هو حسن وما هو أحسن، وبين ما هو أحسن وما هو الأحسن»، ولربما كانت أمام دكتور هندركس مئة فرصة في كل شهر، ولكن كان عليه أن يختار من بينها ، وكان عليه أن يقرر ما هو مهم بالنسبة له وبالنسبة لربه حتى يتخذ قراراته.

الإجابـــة

ومع ذلك فبالرغم من أن وسائل التحكم في الوقت التي استخدمتها قادرة على التمييز بين العاجل والمهم، إلا أنها لا تأخذ في الاعتبار دائماً المهم بالنسبة لله. منذ عدة سنوات مضت كان هناك الكثير من الجدل عن «ترتيب الأولويات» فعندما يسأل الطالب عادة فإنه يضعها في ترتيب متتابع هكذا:

الله أولاً، والعائلة ثانياً، والعمل ثالثاً، والكنيسة رابعاً.

وماذا عن «الذات»؟ إنها نادراً ما كانت تُناقش، فيبدو كما لو كنا

محرجين من مناقشة الموضوع، فإن نجعل لأنفسنا أولوية فإن هذا يعد شيئاً أنانياً، إنه يعني الجسد.

ومع ذلك ففي واقع الأمر فنحن جميعاً نضع أنفسنا على قمة الأولويات «فلمن نعد السندوتش الجيد» ونلفه حتى نتناوله وقت الغداء؟ وأسنان من ننظف؟ وسيارة من ننظف ونلمع بعد ظهر السبت؟

ما هو أكثر إدراكاً؟

منذ عدة سنوات مضت، أعطاني أحدهم كلمة مركبة من أوائل حروف الكلمات التي تساعد في اختيار الأشياء الصحيحة في الحياة، وكانت الكلمة مكونة من ثلاثة حروف وهي الـ J- O- Y «يسوع أولاً، والآخرون ثانية، وأنت أخيراً» Jesus First, Others Second, You Last إنها تبدو رائعة! ولكن عندما فكرت فيها أدركت «أنها مستحيلة التحقيق، إنها تبدو فكرة تَقَوية ولكنها سخيفة! ولا يمكن لأحد أن يرتقي لمستواها» فما هي الإجابة؟

إن تحليل ج جرانت هوارد للأولويات عظيم الفائدة، إنه يرى الأولويات ليست كأشياء متتابعة الواحدة تتلوها الأخرى بل كعدد من المسئوليات المتزامنة المفروضة على كل واحد منا، فهو يكتب قائلاً:

* الله يريد أن يكون محور حياتي، وهذا يجعل معرفته على قمة الأولويات، فهو كلّي الأهمية.

* الله يريد أن يكون واضحاً في حياتي، وهذا يعني أن تطبيق حقه على كل صغيرة وكبيرة على قمة الأولويات، فأنا مهم.

* الله يريدني أن أعرف وأتمم إرادته في كل علاقاتي وعلى ما يدور حولي، وهذا يجعل من مسئوليتي في كل هذه النواحي تجاه (العالم والعائلة والعمل والحكومة والكنيسة) على قمة الأولويات، فكلها مهمة.

* كل هذه تتضافر معاً كمسئوليات في نفس الوقت وليست كأولويات متعاقبة تسبق الواحدة منها الأخرى.

(ودوج شيرمان)، (ووليم هندركس) أيضاً يقدمان فكرة جيدة في كيفية الموازنة بين مطاليب الوقت الملحة. ويضربان مثلاً لتوضيح الفكرة عن طريق مسابقة الألعاب الخماسية، ويطلب فيها من الرياضي أن يظهر تفوّقه في خمس لعبات مختلفة وصعبة: السباق الحر والسباحة لمسافة ٣٠٠ متر، والفروسية والرماية بالمسدس والمبارزة، وأي واحد يمكنه أن يتفوق في كل هذه المجالات الخمسة يعتبر متفوقاً في المسابقة الرياضية.

ويقترح شيرمان وهندركس كذلك أن الحياة المسيحية كالألعاب الخماسية تتطلب منا أن تُؤدى جيداً في خمسة مجالات مختلفة: الحياة الشخصية والحياة العائلية والعمل والكنيسة والحياة في المجتمع، وينادي المؤلفان بأن السير مع الرب يتطلب أداءً متوازياً وماهراً في كل هذه الميادين، وليس في واحد أو اثنين فقط.

وخلاصة الكتاب عبارة عن شرح لوصفه شخصية يطلقون عليها الحروف الأولى من عدة كلمات وهي (A-p-p-l-y)، وهي تشير للخطوات التي نتخذها

في عملية موازنة حياتنا. فحرف الـ(A) يشير لتحليل الكتب المقدسة Analyzing The Scriptures. والـ (P) يمثّل عمل بيان تفصيلي الصفات والاهتمامات والقدرات الشخصية Personal inventory. والـ (P) الأخرى تتحدث عن تخطيط لخطوات العمل Planning Steps of action. والـ (L) تعني أن تجعل نفسك عرضة لانتقاد الآخرين making yourself vulnerable to others والـ (Y) تضع الكل في لغة واحدة مع مقياس معياري، أو محك لقياس تقدمك wraps it all up with yardsticks to measure your own progress

والكتاب مفيد للغاية خاصة بالنسبة لأولئك الذين يكافحون للتوفيق بين عملهم والعناصر الأربعة الأخرى المكونة لسلوك المسيحي.

الله ثانيةً

ويقدم ج جرانت هوارد معالجة إضافية للموضوع وهي ذات فائدة عظمى، ولكني أعود ثانية للسؤال: ما الذي يعتبره الله مهماً؟ هل يمكن إيضاح الأمر وجعله قريباً للأذهان؟

المشكلة أنه لا توجد أية فقرة في الكتاب المقدس تقدم لنا قائمة بالأولويات، وعبارات بولس الرسول في الرسالة إلى أهل فيلبي الأصحاح الثالث تقدم لنا شيئاً من هذا القبيل، وصلاة يسوع في إنجيل يوحنا الأصحاح ١٧ تكشف لنا فكرِ الله، ولكنني أعتقد أنه في نهاية المطاف علينا أن نأخذ فحوى كل ما كُتب في الكتاب المقدس لكي نستخلص منه

موضوعات قليلة واضحة عما يعتبره الله شيئاً في غاية الأهمية.

تذكّر أن أهداف الله هي:

إعلان مجده، وتأسيس ملكوته، وتنفيذ خطته. فما هي إذن أولوياته لإتمام هذه الأهداف؟

إني أرى على الأقل خمس أولويات في حياة يسوع، وتعليم بولس، وباقي أجزاء الكتاب المقدس.

العبادة

يرى جون ماك آرثر John Mac Arthur أن العبادة على «قمة الأولويات» في كتابه المسمى باسم (مودي ١٩٨٣)، «والوصية العظمى» أن تحب الرب بكل قلبك ونفسك وفكرك وقدرتك هي دعوة للعبادة، وقد أخبر يسوع المرأة عند البئر أن الله يطلب الساجدين الذين يسجدون له «بالروح والحق» (يوحنا ٤:٢٢-٢٤) لأن «عيني الرب تجولان في كل الأرض ليتشدّد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه» (أخبار الأيام الثاني ٩:١٦)، وهو يرغب في تقديم المعونة لهم.

فواضح إذن أن العبادة في قمة الأولويات ، ولكن عندما ننظر إلى الوقت في لوحة مارك بورتر في الفصل السابق، نجد أن نصف سنة فقط من حياة تصل إلى ٧٥ سنة، تُقضى في العبادة والصلاة. ولكن ليس من الضروري أن نحسب الأمر كذلك، فمن الممكن أن نجعل كل شيء في الحياة تقريباً عملاً من أعمال العبادة- بدءاً من لعب الكرة ومروراً بالاستمتاع بشريحة لحم في

نيويورك، وانتهاء بوقفة في مترو الأنفاق لتقديم الشكر، فلو أخذنا كلمات الرسول بولس في الرسالة الأولى إلى تسالونيكي ٥: ١٦-١٨ مأخذ الجد فإننا سوف نفرح كل حين، ونصلي بلا انقطاع ونشكر في كل شيء.

الطاعة جزء من العبادة وهي جوهر العبادة أيضاً، ويجب أن تكون نمطاً للحياة، وعندما نطيع الله بوعي على أساس كلمته فذلك يُعد عملاً من أعمال العبادة، وهذا يتراوح بين أداء عمل صالح في العمل، حتى موقفك وأنت تضع الصحون في غسالة الصحون. فلو كان لنا الموقف الصحيح والذهن المعدّ يمكننا أن نعبد الله طول النهار، وحتى النوم يمكن أن يعد عبادة إذ «نستريح في الرب». وبالطبع فكل تلك العادات المكتسبة التي يذكرها الكتاب المقدس كدراسة الكتاب والصلاة وقضاء وقت هادىء والدراسة الخاصة، وإقامة المذبح العائلي إلى آخره تضيف دقائق من يومنا لممارسة هذه الأولوية، وتصبح معرفة الله والتعلم منه شيئاً نمارسه بطريقة طبيعية كالتنفس تماماً .

إنني لا أبالغ هنا ، ولكن الحقيقة أنه إذا كانت العبادة من الأولويات التي أوصى بها الله، فيمكنها أن تصبح من أولوياتنا كذلك، إنه موقف نتخذه ومجهود نبذله.

تطور الشخصية

إن تطور الشخصية يرجع للتقديس ونمو القداسة في حياتنا ، كما قال بولس إلى أهل تسالونيكي «إرادة الله قداستكم» (تسالونيكي

الأولى٤ :٣)، فالله يرتّب كل أحداث حياتنا لنمونا في القداسة وتطوير شخصياتنا، وهو يعطينا فرصاً لنخدمه ونعمل الأعمال الصالحة، وهو يجيزنا في تجارب وضيقات، لنكون «مشابهين صورة ابنه» (رومية ٨:٢٩).

وفيما يتعلق بالوقت، فأهم شيء هو أن الخضوع لخطّة الله يجعلنا قديسين، وعندما نفهم أن «الذي ابتدأ عملاً صالحاً» فينا يكمله في المسيح (فيلبي ١:٦) فإننا نستريح ونهدأ، بأن نعرف كيف نسلك ونعيش أهم من الكم الذي نفعله، وأن تربح مليون دولار قبل سن الأربعين ليس بالشيء الهام، ولكن كيف تتصرف في العشرة ملايين التي عندك هو الشيء المهم، والوصول إلى قمة السلم في الصحبة مع الله يهم قليلاً، ولكن الأمانة التي بها نمارس أعمالنا تقرّبنا أكثر من الله، وأن تلهث في المنزل وأنت تقوم بالتنظيف والغسيل والكي لمدة ست ساعات في شقتك فهذا لا يجعلك تلامس السماء ما لم تكن «مترنماً ومرتلاً في قلبك للرب وشاكراً على كل شيء» (انظر أفسس ٥:١٩-٢٠).

التلمذة

كانت وصية يسوع الأخيرة للمئة والعشرين أن يذهبوا و«يتلمذوا» (متى ٢٨:١٩). ومع ذلك فكم عدد المسيحيين الذين ينجحون في أن يتلمذوا شخصاً واحداً فقط، دع عنك عدة أشخاص؟

ومع هذا، فهذا شيء في قمة الأولويات من البرنامج الإلهي، وهذا

الشيء يتضمن كل العناصر الأخرى للتبشير بالكلمة وقيادة الناس للمسيح.

إن مشكلة الوقت في هذا المجال أمر مثير للدهشة. يقضي المسيحيون وقتهم في دوامات كبرى: مراسم اجتماعية كبرى، ومؤتمرات كبرى، ومحافل كبرى، وفصول كبرى لمدارس الأحد، ولكن هذه الضخامة ليست بالشيء المفضل، فيسوع لم يقض معظم وقته مع الخمسة آلاف رجل الذين أطعمهم، ولا حتى مع الـ ٧٢ الذين ذهبوا ليكرزوا بل فضّل الاثنى عشر، ومن داخل الاثنى عشر كان هناك ثلاثة هم يعقوب ويوحنا وبطرس- الأثيرون لقلبه، وقد أفضى لهم بكل مكنوناته، ولكن بهؤلاء الثلاثة استطاع يسوع أن يقلب الدنيا رأساً على عقب.

فإذا كانت إدارة الوقت تعني «تحقيق أفضل النتائج في أقل وقت ممكن» كما قال (تيد انجستروم) في كتابه «مصيدة العمل» إذن فالتلمذة تفوق النتائج. فأنت تحصل على نتائج أعظم بالتركيز على الأقل، فيمكنك أن تحدث العديد من الثقوب الصغيرة ببندقية رش، ولكن رصاصة واحدة من بندقية آلية تنجح في اصطياد حيوان كبير.

وهذا يبرز حقيقة المبدأ القديم القائل بأن تفعل إرادة الله، وأن تترك النتائج بين يديه، والشخص الذي يطبق مبدأ تفضيل التلمذة على استفادته من الوقت قد لا يرى نتائج فورية، وعندما مات يسوع تخلّى عنه عشرة من تلاميذه، وواحد منهم كان خائناً وانتحر، وبقى واحد فقط عند الصليب (يوحنا)، ولكن الله يعلم النهاية منذ البدء، وكل مسيحي يقضي وقته في التلمذة واقتياد النفوس للمسيح سوف يحصد بالتأكيد على أكبر الثمار في الأبدية.

مواجهة الحاجات الحقيقية

إن مواجهة الحاجات الحقيقية كأولوية، يبدو غريباً لأول وهلة. إن المقصود بمواجهة الحاجات الحقيقية هو خدمة الآخرين ومحبة القريب كالنفس، فأن تهتم بالحاجات الحقيقية لما يسميه ج. جرانت هوارد «بجيرانك الأساسيين» وهم عائلتك، وكنيستك، وجيرانك في المنزل، وزملاؤك في العمل، فهذا شيء هام في نظر الله. وهذا يعني مساعدة الناس حيثما يكونون. أقول الحاجات الحقيقية لأنه يوجد أناس كثيرون لهم حاجات هي ببساطة رغبات وأفضليات ومطالب، فهي ليست في واقع الأمر أموراً تتعلق بالنمو الروحي، والصحة الشخصية أو البقاء على قيد الحياة. إن مواجهة الحاجات الحقيقية تتطلب منتهى اليقظة الروحية.

واحد من الذين استجابوا لاستفتائي (وقد طلب عدم ذكر اسمه) قال لي: «إن مساحة الخدمة (الدراسة والوقت المخصص للناس) كان يعدّ دائماً تحدياً بالنسبة لي يدفعني حتى أتعلم تجنّب أن أبتلع تماماً في هذه الدوامة، وإنني أتعلم أن أخصص وقتاً معيناً (في برنامجي) كل أسبوع للدراسة، وأن أخصص وقتاً آخر لأكون مع المحتاجين أو لتكوين صلات جديدة، وفي الستة شهور الأخيرة قامت إحدى السيدات بعمل تطوعي لخدمة المحتاجين كي أتفرغ أنا لخدمة الخطاة».

وقد تصادف أن نفس هذه السيدة قد وجدت وقتاً لاقتيادي للمسيح يوم أن كنت أحد شبان الهيبز منذ ١٧ عاماً مضت، وتأثير عملها واضح فيّ

الآن.

ولكن بالإضافة لاقتياد الناس للمسيح كانت دائماً على استعداد أن تكون مصدر عون ونصيحة وصداقة ومحبة، وأتذكر أنني كنت أذهب لمقابلتها في بيتها مرّات كثيرة لمجرد حديث قصير في أي وقت من أوقات النهار، وكان صدرها دائماً يتسع لي.

نوع العمل

ثم إن أسبقية هذا العمل لم تأت من فراغ، ولكنني تعلمت مؤخراً ككاتب قيمة العمل كنوعية وليس ككم، فالنوعية تدوم ولكن الأشياء التي تنتج بكميات كبيرة يُلقى بها في ركن أحد الجراچات. عندما قال الله «حسن» بعد كل يوم من أيام الخليقة السبعة كان يعلّق على نوعية العمل، ولكن لا تدع كلمة «حسن» تخدعك، ففي عصرنا هذا فإن كلمة «حسن» لا تعني الكثير، ولكن حسب اللفظ العبري فإن كلمة حسن هي قمة الإنجاز الأدبي.

إننا يجب أن نعمل أعمالاً حسنة، وأن نتحدث بكلمات حسنة، وأن نفكر أفكاراً حسنة، إن النوعية في غاية الأهمية، والادعاء الزائف هو الطريق السهل، والإهمال واللامبالاة أمر وارد، ولكن أن تنتج شيئاً يدوم وله قيمة حقيقية خالدة فهذا إنجاز مضاعف.

الأولويات التي يريد الله أن نتبعها

هذه الأولويات الخمس يمكن أن تكون مرشداً قوياً لنا في السير في الحياة اليومية. فما هي ثانيةً؟

العبادة

تطور الشخصية

التلمذة

مواجهة الحاجات الحقيقية

نوعية العمل

لا شك أن هناك أشياء أخرى يمكن إضافتها للقائمة، وهي لكي

تعلن مجده

وتؤسس ملكوته

وتنفذ خطّته

فهذه هي الأشياء التي يجب أن نقدم ذواتنا لها.

فكرة مفيدة

فكّر في أولوياتك، ما هي الأشياء المهمة بالنسبة لك؟ ولماذا تعتبر هامة؟

وكيف يمكن مقارنتها بالأولويات الإلهية التي ذكرناها؟ هل أنت في توافق مع أولويات الله أم تختلف معه؟ ولماذا؟

[١٢]

مفتدين الوقت

«يمكنك أن تشارك في اجتماعات نافعة وبذلك تستغل وقتك استغلالاً جيداً، ولكن هل كان من الواجب عليك المشاركة في الاجتماع أصلاً؟ وهل كانت هناك ضرورة ملّحة للاجتماع في المقام الأول؟ إن الإجابة على هذين السؤالين يحدد وضع خطة استراتيجية لتنظيم الوقت».

(دون جوين، من فريق تيلسس للمحيط الهادي

(Don Gwinn, Pacific Telesis Group

كتب ديوي جيل Dewey Gill قائلاً:« كانت الأيام كثيرة ومتوافرة وليست مكلفة عندما كنت صغيراً في السن، كانت الأيام مثل الحلوى التي تباع الواحدة منها ببنس، وكانت جيوبي دائماً مليئة بها. وكنت أضيّع من الأيام كيفما اتفق، والآن فإن مؤونتي منها قد تضاءلت، وقيمتها ارتفعت، وكل يوم منها يساوي وزنه ذهباً، وفجأة وجدتني أقتّر وأقدّر الساعات بنفس الطريقة التي بها يقدّر العشاق اللحظات خوفاً من فرارها، وحتى عندما كان الأسبوع ينتهي فيبدو أنني قد أضفت ثروة كبيرة، فاليوم لم يعد يطير كما كان من قبل». وفكرة جيل تعود بنا للحقيقة الكتابية القائلة «مفتدين الوقت» باعتباره شيئاً أشبه بماسة ذات خلفية من خشب الأبنوس الثمين، والفكرة نادى بها بولس وهي موجودة في (أفسس ٥: ١٥-١٧) في فقرة مألوفة لنا جميعاً، وهي تردد القول «انظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا

كجهلاء بل كحكماء مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة. من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هي مشيئة الرب».

فالاندفاع والقلق هما من سمات ثقافة أمريكا اليوم التي يبدو أن الوقت ينفد من بين يديها، وذلك منذ أن وُلدنا. وقد لا نعلم كم هو الوقت المتاح لنا ولكن من المؤكد أن ما تبقى منه أقل مما كان عندنا بالأمس.

فعلينا أن ندفع الثمن الآن، ونخصص بعضاً من وقتنا الحالي لملكوت الله وإلا فإن الوقت نفسه سوف ينزلق من بين أصابعنا دون معنى أو قيمة أو إنجاز.

ما هو؟

ما معنى أن «نفتدي الوقت؟» هناك عدة صور ترد إلى الذهن فوراً، إحداها تلك الصورة القديمة قِدم الدهر عن الأم التي تخبر ابنها الكسول أن يفعل «شيئاً بنّاءً ونافعاً في الوقت المتاح له». إن كلمة «بنّاء» كلمة غير محددة فهي تعني شيئاً ذا قيمة يمكن أن يندرج تحت أي مُسمى بدءاً من رسم لوحة حتى بناء ناطحة سحاب، ولكن الأم تريد أن تتأكد أن ابنها لا يقضي يومه في تبرّم وملل وشكوى، فيكون مصدر إزعاج للآخرين.

الإنتاجية

وعندما نكبر يتغير الشعار قليلاً، فبدلاً من أن يكون «افعل شيئاً بنّاءً»

يصبح «افعل شيئاً منتجاً (نافعاً)»، فما هو الشيء المنتج؟ إنه أي شيء يجلب المال ويصلح لسداد الفواتير والأقساط ويساعد الآخرين، ويؤدي مهمة مطلوبة وما شابه ذلك، وليس بالضرورة أن يأتي بمكافأة فورية كالمال، ولكنه يجب أن «ينتج» شيئاً ذا قيمة.

الكفاءة

إن خبراء الإدارة والوقت أحياناً يشبّهون افتداء الوقت «بالكفاءة». فعن طريقها يمكنك أن تؤدي المهمة بأقل جهد وتحصل على أفضل النتائج. قال (تشارلس سكواب) Charles M. Schwab والذي كان في يوم ما رئيساً لإحدى شركات الصلب وواحد من أغنى وأقوى أصحاب المصانع: «أرني طريقاً لأداء أعمال ومهام أكثر، فإذا صلح فإنني مستعد لدفع أي مبلغ في حدود المعقول».

والمشكلة التي تعوق هذه الفكرة -مع أنها جيدة- أن مجرد كفاءة الإنتاج تعني القليل إذا كان ما تنتجه عديم القيمة. إن مصنعاً يمكن أن يصمم ويعمل آلات لينتج أفضل السلع الممكنة بأقل الجهود والتكاليف، ولكن إذا لم تكن هذه السلعة مطلوبة فما فائدة الكفاءة؟ وبالمثل قد يكتشف المسيحي طريقة في غاية الكفاءة لتسجيل وطبع أشرطة تبشيرية، فأنا أعرف حادثة مماثلة حدثت في كنيسة كانت تقوم بخدمة الشريط المسجل على نطاق واسع، وقد حذفوا لحظات التوقّف أثناء الخدمة للرعاة، وبذلك

تصبح العظات أقصر، فنظرياً يمكن للمستمع أن يحصل على نفس محتوى العظات في وقت أسرع، ولكن كان من المستحيل سماع الأشرطة أو الاستمتاع بها، فما الفائدة إذن إذا لم يرغب أي واحد أن يستعمل تلك الأشرطة؟ وما هو أدهى من ذلك أن يعتبرها الله خدمة عديمة الجدوى.

الملء بالحشو

وإحدى الطرق أيضاً التي ينظر بها بعض الناس لمبدأ «افتداء الوقت» يتضمن حشو كل دقيقة في الحياة بمادة «قيّمة خالدة»، فعلينا أن «نستغل كل ساعة أحسن استغلال»، وهكذا يمتليء يومنا بقراءة الكتاب المقدس والخدمة، وحفظ آيات الكتاب المقدس عن ظهر قلب، والصلاة، والشهادة والعمل، والمناشدة، والتشجيع مع بنود أخرى تعتبر ذات قيمة في الملكوت.

إنها فكرة جيدة ، ولكنها تضع عبئاً ثقيلاً على كل واحد منا ، فنحن لم نُخلق ببساطة لكي نملأ كل دقيقة أو نحوّل كل ساعة في اليوم إلى حدث روحي، فلا يستطيع أي مخلوق عادي أن يفعل ذلك،وحتى يسوع أتهم بأنه سمح للآخرين بضياع الوقت أو أنه هو نفسه أضاعه (انظر متى ١٩:١٣-١٥، لوقا ١٠:٣٨-٤٢).

الفاعلية

هناك عنصر آخر في أقوال (آلان لاكين Alan lakein) ينادي بمبدأ «الكفاءة ضد الفاعلية»، ويكتب في أول صفحة من كتابه الشهير عن إدارة الوقت «من فضلك لا تدعني خبيراً كفؤاً، إنني خبير ذو فاعلية، فالفاعلية تعني اختيار أفضل عمل لأدائه من بين الإمكانيات المتاحة، ثم أداء هذا العمل بأحسن طريقة ممكنة، فالاختيار الصحيح لكيفية استغلالك لوقتك أهم من أدائك لأي عمل تعمله بكفاءة». ثم إن هذه الفكرة ممتازة أيضاً حيثما وجدت، فالمشكلة تبرز في اختيار الأعمال التي سوف تؤدى، فما هو أفضل عمل وعلى أي أساس نقوم بالمفاضلة؟ يركّز (لاكين) على أشياء مثل أهدافك الشخصية وأولوياتك، ولكن مثل هذه النظرة تتمركز حول الذات، وتهدف إلى تمجيد الذات وتعظيمها، والمسيحي يسعى لوضع أهدافه وأولوياته لتتفق مع خطّة الله وبرنامجه وليس خطّته أو برنامجه هو.

الاستراتيجي والتكتيكي

وأخيراً فالناس في عالم العمل يتحدثون عن استغلال الوقت استراتيجياً وتكتيكياً. و(دون جوين) من فريق تيليسس للمحيط الهادي يخبرنا في مقالة في مجلة (fortune) عن الفرق بين استغلال الوقت التكتيكي والاستراتيجي فيقول: «إن استغلال الوقت تكتيكياً يعني توظيف كل

الوسائل الفنية العديدة التي تساعدك في الاستفادة من كل ساعة». فعلى سبيل المثال «يمكنك المشاركة في اجتماعات ناجحة، ولذلك فإنك تستفيد من وقتك تكتيكياً» «ولكن هل كان من المفروض أن تشارك في الاجتماع بداءة؟ وهل كان يجب عقد الاجتماع نفسه؟ والبحث في ذلك يتم من الناحية الاستراتيجية».

إن (جوين) يعبّر في عبارات مختلفة، باختلاف بسيط عن أفكار مشابهة لأفكار (آلان لاكين) وآخرين، فهو يرى كل شيء باعتباره جزءاً من استراتيجيته الشاملة في العمل والحياة، واستراتيجيته تتضمن كيفية تحقيق أهدافه.

ولكن علينا أن نتساءل ثانية: أية أهداف وأية استراتيجية تستخدم؟ لقد رأينا كلنا الأهداف الاستراتيجية العظمى لأناس (في وول ستريت)، حي رجال الأعمال، من أمثال (مايكي ملكن وإيفان بوسكي)، ولأناس آخرين في ميدان السياسة مثل (جاري هارت) و(ريتشارد نيكسون)، وغيرهم في المجال الديني مثل (جيم) و(تامي باكر)، فإذا كانت أهدافك لا تتفق مع الأهداف العليا للملكوت فقد تفوز في معركة أو اثنين، ولكنك في النهاية سوف لا تخسر الحرب فقط بل قد تخسر نفسك.

كل ما يجب أن تسأل عنه

ما معنى «مفتدين الوقت» بالمعنى الكتابي؟

إن كلمات بولس في (أفسس ٥:١٥-١٧) واضحة. دعنا نفحص

العبارات بدّقة، فلو ترجمنا الفقرة حرفياً يمكننا أن نقرأها هكذا «انظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء مشترين الوقت من صاحبه لأن الأيام شريرة.

«انظروا» الكلمة اليونانية تعني «يرى ويراقب ويشاهد»، وفي سياق الكلام فهي تعني يعير الالتفات لشيء ويفحصه ويدرسه بدقّة بقصد تغيير الحياة. فبولس يناشدنا أن نلقي نظرة فاحصة على الكيفية التي بها نعيش حياتنا، فهو يقول «افحصوا بدقّة كيف تسلكون وتعيشون»، وهذا يتطلب إعمال الفكر والتمحيص والدراسة.

«الدّقة» «التحديد الدقيق»، أي عندما تنظرون كيف تحيون تأكدوا أنكم تحصلون على صورة دقيقة وصادقة عن الحياة، ابعدوا عن الذاتية والتمركز حول الذات، كونوا موضوعيين بقدر ما يمكنكم، انظروا لحياتكم كما يراكم الله.

فكّر في العملية باعتبارها مسيرة، «احرص كيف تسلك». ويستخدم بولس العبارة الكتابية الفريدة التي يدعوها المسيحيون العصريون «السير الروحي مع المسيح». إن الحياة المسيحية تشبه مسيرة طويلة، قف وفكّر في ذلك برهة، إن السير يكون باسترخاء، وهو حركة ثابتة إلى الأمام، إنه مريح وغير متعجل وثابت وموجّه، إنه يعني التحرك للأمام نحو شيء بعيد وهو يعني تقدماً دائماً، وأخيراً فهو يصل إلى حيث كان يرجو منذ مدة طويلة.

وكشخص يحب المشي كتمرين فإني أعرف بساطة واسترخاء المشي المنعش، ففيه راحة وسهولة تجعله متعة لمن يمارسه. لقد جرّبت رياضات أخرى

وتمرينات مختلفة، ولكن لا شيء يفوق المشي، فلايصيبني الملل منه أبداً، وأتطلع إلى ممارسته كل يوم.

وحتى عندما تحدّث بولس عنا كالذين يركضون في السباق لم يصور الحياة المسيحية في الصورة المتعجلة التي نراها اليوم، فالعدّاء منظّم وموّجه ومصمّم، فهو يجري بطريقة مسترخية وممتعة، إنه لم يكن يقصد اندفاع المئة ياردة بل الماراثون.

وهكذا فبولس يحثّنا على أن نلقي نظرة فاحصة على كيفية شق طريقنا في الحياة، هل نحن نتقدم؟ هل نفعل ذلك باسترخاء وارتياح؟ هل تفتح عينيك على ما تفعله بشيء من التوقع والفرح؟

«الحكمة» عندما يقول بولس «ليس كجهلاء بل كحكماء» فهو لا يلاحظ فقط أهمية الكفاءة والفاعلية في إنجاز الأعمال بل القيمة الحقيقية لما نعمله، فالحكمة من الله، والشخص الحكيم يؤدي العمل صحيحاً من أول مرة، وما ينتجه له قيمة أصيلة سواء الآن أو في الأبدية، إنه يدرّب على استخدام الوقت.

والشخص غير الحكيم يرفض إرادة الله، وطريق الله، وكلمات الله، والشخص الحكيم يطلب الله نفسه ليعرفه، فهو يريد أن يطبق الرؤى الإلهية على حياته وظروفه، فهو يرى أن الحياة مرتبة من قِبل الله، والله هو قائدها، وهكذا فهو ليس قادراً فقط على أن يستفيد من وقته استفادة كاملة في مجابهة الحقائق، ولكن حتى عندما تحدث المفاجآت فهو على استعداد لمواجهتها والتصرف بحكمة إزائها.

وفوق كل هذا فهو لا يقبل على الحياة كالمدير التنفيذي الذي يتصور نفسه مبدعاً لمغامرة يخطّط لتصميمها واحتكارها لأغراضه، كلا فهو يرى الحياة كمغامرة كتبها الله وهو يلعب فيها دوراً هاماً، وإذ تبدأ أحداث هذه المغامرة فهو يعتمد على مبدعها كي يقوده ويقويه ويرشده حتى في النهاية لا ينتصر فقط بل يختبر الإنجاز الحقيقي.

«الفداء» إن طبعة الـ(Niv) وطبعات أخرى تترجم العدد هكذا «مستغلين ***«معظم الوقت»*** هذه فكرة جيدة، ولكني لست مقتنعاً أن بولس كان يقصد ذلك، فالكلمة التي استخدمها بولس كانت تعني «يشتري شيئاً من واحد ليحرره في النهاية»، وهي نفس الكلمة التي تفسر «افتدانا» من قوة الشيطان وأعطانا حرية مجد أولاد الله في ملكوت المسيح، إذن فما معنى «مفتدين الوقت»؟ فكّر في كمية كبيرة من الوقت يمتلكها سيد شرير، وعليك أن تفعل ما يمليه عليك السيد الشرير خلال هذه الفترة، فلديه خطّة مسبقة لما سوف تفعله في تلك الفترة، وبما أن ذلك السيد الشرير له سلطان عليك فأنت عاجز عن مقاومته.

ولكن المسيح قد عمل شيئاً لأجل المسيحي، لقد اشتراه من تحت سلطان ذلك السيد الشرير، وجعله ملكاً له وحرّره، فهو لم يعد بعد تحت سلطان الشرير،ولا يجب عليه أن يستمع إليه أو يطيعه. ومع ذلك فهناك مشكلة واحدة تواجهنا حتى ونحن ملك للمسيح. فالسيد الشرير ما يزال عنده برنامج وخطّة لكي نطيعه، ولذا فلديه طرقه الخاصة لملء أية مساحة من

الزمن بسخافاته.

والآن لنأت لفكرة «افتداء» تلك المساحة الزمنية، وما سنفعله هو أن نطالب بتلك المساحة ونحررها لكي نقوم بتلك الأشياء ذات القيمة الحقيقية الخالدة وليس الشر، فنحن نتعامل مع أية مساحة زمنية بأن ننظر إلى الاختيارات المتاحة ثم نطالب بذلك الوقت للملكوت تحت سلطان المسيح.

عادة مشاهدة التليفزيون

وهاك مثالاً شخصياً، فلعدة سنوات كنت أنا وزوجتي منهمكين في عادة مشاهدة التليفزيون من حوالي الساعة الثامنة إلى الحادية عشر مساء، ولكن يوماً ما استرجعنا الطريقة التي كنا نعيش بها، وقرر كلانا أن تلك المساحة الزمنية يمتلكها الشيطان فعلاً، ولذلك افتديناها. وطالبنا بها للملكوت وبدأنا نفعل خلال تلك الساعات الثلاث أشياء كنا نعتقد أن لها قيمة خالدة: قراءة الكتاب المقدس، قضاء وقت مع العائلة، قراءات أخرى، ممارسة الرياضة والكتابة والاستماع لموسيقى جيدة، وأحياناً مشاهدة بعض العروض التليفزيونية اللطيفة.

والشيء المذهل أنه عندما كنا نمارس عادة مشاهدة التليفزيون، كنا نشعر دائماً بضغط الوقت والسرعة والاندفاع، لأنه كان يتحتم علينا أن نؤدي نفس العمل في أقل من ثلاث ساعات في اليوم، ولكن عندما افتدينا ذلك الوقت، شعرنا أننا أكثر راحة واسترخاء دون ما تعجّل، وأننا نمتلك مساحة

زمنية قيّمة نؤدي فيها الكثير من الأشياء المهمة والصالحة.

هذا افتداء بسيط للوقت، ولكنه يفسر جوهر ما يعنيه «افتداء الوقت» إنه المطالبة بكل مساحة زمنية حسبما نستطيع لملكوت الله، وهو ليس ملء الدقائق بأشياء «منتجة» ولا مجرد أن نصبح أكثر كفاءة أو فاعلية في عملنا بالرغم من أهمية ذلك، ولكنه فعلاً يعني استقطاع ساعة من الزمن، ووضع علامة على ساعة الحائط لتكتب عليها: «عدم الإزعاج، عمل الملكوت يسير قدماً الآن». بالطبع قد يختلف تعريفك «لعمل الملكوت» عن تعريفي له، وسوف نبحث هذا الأمر في فصل تالٍ، ولكن الموضوع الذي نحن بصدده الآن أن نبدأ استقطاع وقت من الـ٢٤ ساعة، ونبدأ المطالبة به للملكوت. تذكر أنه بالرغم من أنك قد تندهش عما يتضمنه وقت الملكوت، إلا أنه ليس مجرد دراسة في الكتاب المقدس والذهاب للكنيسة وكل شيء من هذا القبيل، بل بالأحرى فإن وقت الملكوت يمكن أن يشمل كل شيء منذ البدء في ارتداء ملابسك حتى الحصول على ليلة مريحة، فكل شيء في الحياة يمكن أن يكون وقت الملكوت إذا استطعت أن تكون صارماً، وتبدأ في تحديد معالم تلك الأوقات التي سوف تطالب بها.

فكرة مفيدة

افحص الطريقة التي قضيت بها يومك، أي أجزاء منه يمكن أن تسميها «أوقات مفتداه» وأي أجزاء لم تكن كذلك؟ وأي الخطوات التي يمكن أن تتخذها لمنع تكرار حدوث نفس الخسائر التي حدثت غداً؟

[١٣]

لا تقلق، كن فرحا

«إذا أراد المرء أن يضع في جعبة اليوم أشياء كثيرة فاليوم له مئة جيب»

(فردريتش نيتشة)

هناك أغنية حديثة مطلعها هكذا «لا تقلق، كن سعيداً»، وقد أكد فيها المغني أنه لا يوجد شيء في الحياة يستحق أن نقلق عليه. فالسعادة هي ما يجب أن نهتم به وأن تكون سعيداً فهذا كل ما يهم، ولذا فلا تقلق وكن سعيداً.

والفكرة تثير شيئاً كامناً فينا، فكلنا يريد أن يصل لتلك الحالة التي تحملنا على أجنحة الريح حيث لا يكون للقلق موضع حتى نستطيع أن نستمتع بالسعادة، ولكن الكتاب المقدس في الحقيقة لا يتحدث عن السعادة بهذا المعنى المتداول عالمياً أي «الشعور بأنك في حالة جيدة وأن روحك المعنوية مرتفعة»، فالكتاب المقدس يتحدث عن الفرح والابتهاج والسعادة في الله وابنه وحقه وملكوته الآتي، والسبب الذي يمكننا من الكف عن القلق. والبدء في الابتهاج يرجع لماهية الله ذاته، وعما يفعله، وما فعله، وما ينوي أن يفعله، فمعرفة الله وإرضاؤه أهم شيء في الحياة. ومع ذلك فقد نتساءل عما إذا كانت هناك طريقة يمكن بها إرضاء الله، فنعود إلى السؤال القديم: ما الذي يتوقعه الله مني؟

عندما قرأت ودرست عن كيفية الاستفادة من الوقت شعرت بشيء من

الاختناق، وكان عليَّ أن أتساءل: هل هناك أي مجال للمتعة وسط كل هذه الأولويات والأهداف وكل ما يفتدي الوقت؟ وبعد وقت قصير يشعر المرء كما لو أن الله يريدنا أن نخصص حياتنا إلى أقصى حد، فتصبح كل دقيقة مخصصة لملكوته دون إفساح المجال لأية ضحكة أو نكتة. فهل من إرادة الله أن «نضيع» الوقت؟ أو نتخبط في الطريق؟ أو نأخذ غفوة بعد ظهر يوم الأحد؟ هل هذه الأشياء محظورة؟ أو على الأقل هل هي وقت ضائع؟

هناك اقتباس من أ. وتوزر يلقي بعض الضوء على الموضوع: « بعضنا متقلبون دينياً، مكثرون من التركيز على أنفسنا لأننا نعلم أن الله يعلم كل فكرة تجول بخواطرنا، ولا حاجة بنا لنكون كذلك، فالله مصدر كل صبر واحتمال، وجوهر كل إرادة خيِّرة، ونحن نرضيه أكثر، ليس بمحاولتنا أن نجعل أنفسنا صالحين بطريقة عصبية انفعالية بل بإلقاء ذواتنا بين ذراعيه بكل ما فينا من نقائص وعيوب واثقين أنه يفهم كل شيء، ومع ذلك فهو ما يزال يحبّنا ». فالله لم يعطنا الكتاب المقدس ليزيد من أعبائنا بل ليحررنا، ولم يرسل ابنه ليصور كمالاً لن نستطيع التوّصل إليه، بل ليرينا ما يريد أن يتممه فينا، ولم يعطنا وصاياه ليحملنا بثقل من الذنب بل ليساعدنا أن نحيا فرحين مثمرين كل أيام حياتنا.

نحن لا نصدق ذلك

فنحن لا نصدق ذلك إلى حد ما، ولذا فنملأ وقتنا بأشياء نفعلها، وأماكن نراها وأناساً نقابلهم، ومن خلال كل ذلك نشعر بأننا لم نحقق شيئاً، وبأننا غير سعداء.

كتبت (إيلين جودمان) في مقال حديث عنوانه «تعليم الصغار العجلة» تتحسر على انتقالها من المنزل الريفي في (مين) الذي اعتادت أن تقضي الإجازة فيه إلى فوضى المدينة في بوسطن بولاية ماساشويتس فتقول: «بعد أن وضعنا برطمانات مربى تمر العلّيق ولففناها بعناية فإننا نرجع الآن إلى العالم الحقيقي، بالرغم من أنني لا أعرف لماذا نسميه «حقيقياً»، فهل الحقيقة مسنّنة الحافة ومقتحمة متسرعة بينما الخيال ناعم ومترو؟ هل العالم الحقيقي هوعالم الالتزامات بينما عالم الخيال هو عالم المسرّات؟».

إن العالم الحقيقي عالم مليء بالواجب ونفاد الصبر والتعليمات المشدّدة أن «أسرع. أسرع» وأجراس الإنذار والساعات الدقاقة والإنتاجية، وبرامج العمل والضغوط وكل الأشياء «المعتادة» الأخرى التي نعيش وسطها ونتحرك بداخلها.

وتستطرد (إيلين) قائلة:«اليوم بعد أن تركت الحياة بجانب شاطيء المحيط إلى المدينة فإن انتباهي يتزايد للطريقة المقصودة والتي تثقل أولادنا بالإحساس بالواجب والتي نتبعها ونحن نعدّهم ليعيشوا حياة منضبطة نراها نحن أنها يجب أن تكون مسرعة، فالضغوط تتوالى عليهم: «أسرعوا يا أطفال».

لمَ كل هذا؟

ولكن لماذا؟ ولماذا نفعل ذلك مع أنفسنا؟ وما الذي نحن في عجلة من

أمرنا لنتممه؟ هل لنحصل على الاستمتاع؟! بكل تأكيد، على الأقل نحن نحاول ذلك (تذكّرت إحدى الملصقات الكبرى) التي تقول: «هل حصلنا على قدر من المتعة بعد»:

* أن نجمع مبلغاً طائلاً من المال؟ بالتأكيد.

* أن نضع خطة عند اعتزالنا العمل في المستقبل؟ بالطبع.

* أن نترك ميراثاً من بعدنا؟ هذا شيء طيب.

* أن نفعل شيئاً لخدمة يسوع؟ هذا مطمح لنا نحن المسيحيين.

ولكن جميعنا يحاول بكل جد، وبطريقة زائدة عن الحد، مثيرة للإشفاق! هل هذا ما كان يقصده يسوع حين قال: «أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل» (يوحنا ١٠:١٠)؟

هل هذه هي أفضل حياة؟- إنها حياة ممتلئة فعلاً، لكن هل هي حياة غنية وافرة.

نصيحة الملك سليمان

يقدم لنا الملك سليمان بهذا الصدد نصيحة شديدة الوضوح وراسخة في سفر الجامعة، لقد جرّب هو كل شيء، فاستغل وقته جيداً وبنى قصوراً وهياكل وحدائق وأعدّ جيوشاً، وأضاع وقته في حفلات شرب فيها المسكر، ومارس الاستمتاع الجنسي مع زوجاته ومحظياته العديدات، وقضى بعض الوقت في الدراسة وجمع الأمثال والأقوال الحكيمة، وأصبح أحكم الحكماء

وأغنى الأغنياء، وحصل على قدر من المتعة أكثر من أي شخص آخر، ولكنه قرر في النهاية أن معظم ما في الحياة باطل، ووصل إلى حد أن كره حياته. ومع ذلك ففي عدّة مواضع في السفر يقدم لنا سليمان سراً يمكن أن نتخطاه إذا قرأناه على عجل. فانظر إلى هذه الفقرات التالية:

جامعة ٢٤:٢ «ليس للإنسان خير من أن يأكل ويشرب ويرى نفسه خيراً في تعبه. رأيت هذا أيضاً أنه من يد الله».

جامعة ١٢:٣-١٣ «عرفت أنه ليس لهم خير إلا أن يفرحوا ويفعلوا خيراً في حياتهم وأيضاً أن يأكل كل إنسان ويشرب ويرى خيراً من كل تعبه فهو عطية الله».

جامعة ٢٢:٣ «فرأيت أنه لا شيء خير من أن يفرح الإنسان بأعماله لأن ذلك نصيبه. لأنه من يأتي به ليرى ما سيكون بعده».

جامعة ١٨:٥ «هوذا الذي رأيته أنا خيراً الذي هو حسن، أن يأكل الإنسان ويشرب ويرى خيراً من كل تعبه الذي يتعب فيه تحت الشمس مدة أيام حياته التي أعطاه الله إياها لأنه نصيبه».

جامعة ٩:١١-١١« افرح أيها الشاب في حداثتك وليسرّك قلبك في أيام شبابك واسلك في طريق قلبك وبمرأى عينيك واعلم أنه على هذه الأمور كلها يأتي بك الله إلى الدينونة. فانزع الغم من قلبك وأبعد الشر عن لحمك لأن الحداثة والشباب باطلان».

الســــر

ما هو السر؟ إنه ببساطة أن تستمتع بالحياة كعطية الله الصالحة. أليس ذلك شيئاً يصعب تصديقه؟

إن خاتمة سليمان موجودة في سفر الجامعة ١٢:١٣-١٤ «فلنسمع ختام الأمر كله. اتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كله. لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيراً أو شراً».

ما صلة ذلك بالوقت؟

إنه يعني أن خلق الأهداف ووضع الأولويات وحسن التصرف في الوقت، والعجلة والسرعة والاندفاع ووضع البرامج والإنجازات كلها أشياء فعلها حسن، ولكن إذا لم تستمتع بما تفعله أو أنك لا تستطيع أن تفعل هذه الأشياء دون إلحاق الضرر بالآخرين، فما المنفعة؟

فكيف يمكنك أن تبدأ في الاستمتاع بالحياة؟

١٦ نصيحة لسليمان

هنا تجد مجمل نصائح سليمان حيث أنها تنطبق على كيفية استغلالك

للوقت:

١ - ***لا تحاول أن تحسب كل شيء*** (جامعة١:٢،٣:١١،٨:١٧) فأنت لا تستطيع أن تفعل ذلك ولن تفعل ذلك ، بل ثق بالله الذي يفهم كل شيء، ويعرف لماذا تحدث الأشياء بالطريقة التي تحدث بها.

أخبرني (دافيد فورد) أستاذ تاريخ الكنيسة بإحدى معاهد اللاهوت الأرثوذكسية عن تعلم كيفية أن تثق بالله، وتكون هادئاً في محضره «لقد كنت من قبل في قلق عما إذا كنت سوف أفعل ما عيّنه الله لي أن أفعله، ولكن كلما تمسكت بالتعاليم المستقيمة الرأي، وكلما حاولت أن أعيش بحسب حكمة جمهرة القديسين، الحكمة المتراكمة على مدى ما يقرب من عشرين قرناً، كلما ازددت سلاماً في داخلي يؤكد لي أنه طالما أني أحاول أن أكون أميناً وطالباً مساعدة الله لي وإرشاده على الدوام فإنني مهما احتجت أن أفعل شيئاً فسوف أجده قد تم فعلاً. إن آباء الكنيسة وكل القديسين يتحدثون كثيراً عن السكون «كفّوا واعلموا أني أنا الله» (مزمور٤٦: ١٠).

فقط علينا أن نوجد في حضرة المسيح ونغذي ذلك الإحساس بالسلام الذي يمكنه عندئذ أن يثبتنا ويقوينا ونحن نمارس أعمالنا الهامة».

إنها فكرة هامة، لقد كتب (روبرت براوننج Robert Browning) قائلاً:

الطائر له جناح والقوقع داخل محارته

والله في سمائه فالعالم على ما يرام

فعندما يستعصي علينا الفهم فلنثق فيه، فنحن ندرك أننا لا يمكن أن

نحسب كل شيء، فلماذا نتعب أنفسنا كل يوم؟ فلنترك كل شيء بين يديه.

٢- *لا تحاول أن تترك تراثاً دائماً* (جامعة١:١٤). سواء كان ذلك مالاً أوكتاباً ذائع الصيت أو جائزة أولى أو أثراً باقياً يتحدث عنك بعد وفاتك، فلتنس كل شيء، فالله وحده يعلم ما الذي سوف يبقى من التاريخ البشري من جيل إلى جيل، وما يهم حقاً هو رأي الله فيه.

لقد فهم (رتشارد باكستر Richard Baxter) (عام ١٦١٥-١٦٩١) هذه الحقيقة جيداً، وعلم ما الذي دعاه الله إليه، وسواء ذلك الشيء أم لا فهذا ليس من اختصاصه، فما يهم هو إتمام إرادة الله، ويكتب (مارك بورتر) قائلاً إنه كان «لاهوتياً من (البيوريتان) وأنه نشر ١٢٨ كتاباً (أكثر من ٣٥ , . . . صفحة مطبوعة) كان مشهوراً بخدمته من منزل إلى منزل، ومع ذلك فقد كان متحفاً متنقلاً للأحوال المَرَضية»، وكتب يقول: «لقد كنت أدرك طوال ٤٠ سنة خطية إضاعة الوقت، ولم أستطع الاستغناء عن ساعة واحدة». وقد اعتذر عن بعض التقصير في كتبه:« لقد كتبها وسط زحام المهام الكثيرة الملقاة عليه ووسط وهنه الدائم وضعف صحته وتناوله لأدوية كثيرة، مما لم يتح له وقتاً للتنقيح أو التصحيح أو إضفاء أية محسنات لفظية».

إنه لم يحاول أن يترك تراثاً، فقد كان يخدم فقط هنا وهناك، وقضى نحبه وهو يكرز بالإنجيل للأجيال.

٣- *لا تحاول أن تتعلم كثيراً* جامعة (١:١٧-١٨،١٢:١٢). إن معظم المعلومات سوف تصيبك بالاكتئاب، وكثير منها لا طائل تحته، ولكن أهم

من هذا كله أن هناك كمّاً هائلاً من المعلومات، وأنت لا يمكنك أن تستوعب كل شيء. فتعلّم ما تقدر عليه، وما تريده وما تحتاجه واقتنع بذلك، ولا داعي للمقارنة بينك وبين الآخرين.

هناك قصة عن سقراط تقول إنه بينما كان ينتظر الموت في السجن سمع رجلاً يغني أغنية (لستيكوروس Stesichoros)، فطلب سقراط من الرجل أن يعلمه إياها، ولأن الرجل كان يعلم أن الفيلسوف العظيم على وشك الموت سأله لماذا أراد أن يتعلم شيئاً بهذه الصعوبة في مثل هذه الساعة المتأخرة من حياته، فأجابه سقراط «أريد أن أموت وأنا أعرف المزيد».

إن ذلك اتجاه حميد، ولكن اقتفاء أثر المعرفة وتعلّم المزيد، وتعلم شيء هنا أو هناك يمكن أن يصبح هاجساً وفكراً مقلقاً غير سوي، إنه نوع من أنواع العبث، فأنت لا تستطيع تعلّم كل شيء.

قال توماس أديسون في عام ١٩٢١: «نحن لا نعلم واحد على مليون من ١٪ عن أي شيء، فنحن لا نعرف ماهية الماء، ولا نعرف ما هو الضوء؟ ولا نعرف ما هي الجاذبية، ولا نعرف ما هي الحرارة. كل مالدينا الكثير من النظريات والافتراضات عن هذه الأشياء. قرأت في مجلة (Campus Life الحياة الجامعية) إنك لو قرأت ٢٤ ساعة في اليوم من سن ٢١ حتى سن ٧٠ واستطعت أن تستوعب كل ما تقرأ، فإنك سوف تظل متخلفاً عن ركب المعرفة بمقدار مليون سنة ونصف بعد أن تكون قد انتهيت من قراءة كل هذه الكتب!

قال (روبرت فروست Robert Frost): «إن تكويم المعرفة سيىء كتكويم

المال فعليك أحياناً أن تنفض عنك ما تعرفه».

لا تكفّ عن التعلم، ولكن لا تجعل من ذلك كل همك، كن متوازناً.

٤- لا تثق بنفسك كل الثقة، ضع ثقتك في الله (جامعة٢:٢٤-٢٥، ٥:١-٥، ٨،١٢:٨، ١٢:١-٨، ١٢:١٣). لتخش الله في العلن، اعط لله الاحترام الواجب، كرّمه، ولكن في المقابل انظر في المرآة واطلق لنفسك العنان في الضحك.

يقول (تشارلس همل) «إن انتظار الله في الصلاة شيء لا يمكن الاستغناء عنه لأجل الخدمة الفعّالة، فهو كالوقت المستقطع في اللعب يمكّننا من التقاط الأنفاس واستخدام استراتيجية جديدة، وإذ ننتظر توجيه الله لنا فالرب يحرّرنا من طغيان الأمور العاجلة، وهو يرينا الحقيقة عن ذاته وعن أنفسنا وأعمالنا، وهو يلهم عقولنا بالتكليفات التي يريدنا أن نقوم بها».

ذلك هو الله، فهو كلي الأهمية.

ومن الناحية الأخرى، ماذا عنك وعني؟ ما مقدار أهميتنا؟ لاحظ أحد الأساقفة أن واحداً من تلاميذه كان مفتتناً بنفسه إلى حد كبير، فأخبره ذات يوم أن يجد حلاً لذلك، وقال له: «أحضر أبريقاً مليئاً بالماء، واغمس إصبعك فيه ثم ارفعه خارج الإبريق، ثم لاحظ نسبة انخفاض الماء بعد أن رفعت إصبعك وهذه النسبة تُعد مقياساً صالحاً لأهميتك».

إنه إحساس أقرب ما يكون بعدم الارتياح.

٥- لا تحب الأشياء فهي لن تشبعك (جامعة ٥:١٠). لا يمكنك الحصول

علي ما يكفيك، فعندما سئل (جون.د. روكفيللر) الذي يمتلك الملايين «ماذا تريد؟»، أجاب: «دولاراً آخر» إنه منبع القوة.

هناك قصيدة شعرية اقتطعتها من Radio Bible Class Digest تردد هذه الأفكار التالية:

خذ وقتاً لتنظر، إنه ثمن النجاح.

خذ وقتاً لتفكّر، إنه منبع القوة.

خذ وقتاً لتلعب، إنه سر الشباب الدائم.

خذ وقتاً لتقرأ، إنه مصدر الحكمة.

خذ وقتاً لكسب الأصدقاء، إنه الطريق إلى السعادة.

خذ وقتاً لتضحك، إنه موسيقى الروح.

وفوق كل شيء- (وهي إضافة من عندي) خذ وقتاً للصلاة، إنه نبع استعادة القوة والرجاء والحياة ذاتها.

إن الوقت ليس فرصة لجمع الاشياء، كلا إن الوقت هو مادة الحياة، والفرصة التي يجب أن نغتنمها هي لكي نحيا للرب ولملكوته، ولمحبة ومساعدة الآخرين.

٦- إنك لا تستطيع أن تعرف دائماً ما هو أفضل شيء لتعمله، فافعل ما تريد (جامعة ٦:١٢). إن عاجلاً أو آجلاً عليك ببساطة أن تختار من بين عدة بدائل جيدة، والله سوف لن يكتب الإجابة في السماء ولذا عليك أن تختار على أساس الحقائق المتاحة أمامك، وعلى أساس ما يعلنه الحق وما

تفرضه رغباتك الشخصية .

قد يكون هذا مقلقاً لدرجة أنه يصدم الكثيرين من المسيحيين فنصيح قائلين «وماذا عن إرادة الله؟» «وماذا عن إتمام عمل الله؟».

إن ذلك أمر بالغ الأهمية، ولكن في حالات كثيرة، قدم لنا الله اختباراً حقيقياً، ولم يخبرنا ماذا نفعل سواء في شكل مبدأ أو حق.

فماذا تفعل؟ الإجابة ببساطة: افعل ما تريد!

بعد مضي شهر بعد أن صرت مسيحياً في صيف عام ١٩٧٢ كان عليَّ أن أقرر ما سأفعله في السنة القادمة حيث إنه كان يمكنني أن أدخل مدرسة لتعلم الطب العام التالي، وطلبت إرادة الرب بخصوص ذلك، ولكن كان يخطر على بالي كثيراً أني يجب أن أفعل شيئاً طالما أردت أن أفعله: أن أقضي الشتاء في التزحلق على الجليد في (فيرمونت) كنوع من المرح الصاخب!

وقد جال بفكري أن ذلك شيء لا يصدق. إن الله يريدني أن أفعل ذلك، ولكنني استمعت إلى الأصوات الداخلية وقررت أن أرى إذا كان بإمكاني أن أحصل على وظيفة تسمح لي بالتزحلق، وذهبت إلى (فيرمونت) وسرعان ما وجدت وظيفة ثم وقفت خارجاً في الهواء البارد وصلّيت «يارب هل حقاً تريدني أن أفعل ذلك؟» بالطبع لم أحصل على رد لفظي، ولكن لا شيء بداخلي أو من الخارج كان ينادي بخلاف ذلك، وأخيراً قلت في إحباط «ولكن يا رب إن ذلك شيء ممتع!»

تخيل أن تكون قادراً على عمل شيء «في» الرب وفي نفس الوقت

يكون ذلك شيئاً من المتعة! لقد كان الأمر يبدو لي بعيداً عن التصديق في ذلك الوقت، ولكنني الآن أرى أنه في أوقات كثيرة يقودنا الله لعمل نفس الأشياء التي كنا نريد أن نفعلها من قبل.

٧- ***استمتع بالأشياء وأنت تفعلها*** (جامعة ٢:٢٤،٥:٩، ٨:١٥،٩:٧).

كف عن القلق على ما سيحدث، وابدأ الحياة الآن، اختبر الحاضر، فإذا كنت تعمل، استمتع بعملك، ولتحصل على قدر من الاستمتاع به، وإذا كنت تلعب مع أطفالك فاستمر في ذلك، كفّ عن التذمر فيما يختص بما تتمنى أن تفعله! إن عطايا الله لك هي نفس الأشياء الموجودة في الحياة- الأكل والشرب واللعب والعمل، إنها عطيته، فلتنتفع بها بقدر ما تستطيع.

تكلم (برنارد برينسون Bernard Berenson) وهو مؤرخ للفنون عن مباهج الحياة، التي استمتع بها إلى التمام، ولكن عندما شارف على التسعين من العمر قال «إنني على استعداد أن أقف على نواصي الشوارع وقبعتي في يدي أطلب من المارة أن يلقوا بالدقائق التي لم يستخدموها داخل قبعتي ولأستمتع بها الآن!

٨- ***اكتشف ما تحب أن تعمله واعمله*** (٢:٢٤،٣:٢٢). افعل ما يهم وما هو ذا مغزى بالنسبة لك، كفّ عن القلق فيما يختص بالحدث الذي سيأتي، استمتع بحياتك كما هي.

يكتب (مارك بورتر) عن جون كالفن (عام ٩ . ١٥-١٥٦٤)، كيف أنه كان يعمل لتحقيق أهدافه في مواجهة المشاكل والظروف الصعبة، وكيف أنه أنتج أعظم عمل أدبي عن الإصلاح الديني The Institutes of the Christian

«أسس الديانة المسيحية» Religion» عام ١٥٣٦ وهو يعاني من صداع دائم، ونزيف في الوريد (الألم الذي تزايد حتى وصل لدرجة غير محتملة بسبب خرّاج داخلي لم يندمل وحمّى متقطعة وحصوات بالمرارة والكلى وتقلصات بالمعدة وانفلونزا بالأمعاء والتهاب في المفاصل).

لقد كان جون كالفن يفعل شيئاً يحبه ويستمتع به وترك أثراً خالداً. فإذا كان ما يجب عليك القيام به في محيط العمل والواجب لا يحمل لك أية متعة على الإطلاق فلماذا تعمله؟ ولماذا لا تحاول أن تجد طريقة جديدة تصلح (دون مساومة في الحق) للاستمتاع بحياة حقيقية؟

٩- ***حاول أن تدخل الله في كل شيء تفعله*** (جامعة ٢:٢٤-٢٥). مهما كان الحال، تعرّف على حضور الله واستمتع به.

لقد خرج علينا (جوردون ماكدونالد) بإجابة شيقة على السؤال عن «كيف استطاع يسوع أن يستغل وقته جيداً؟» فكتب قائلاً:« إن كل كُتّاب الأناجيل الأربعة يقدمون لنا صورة يسوع تحت ضغط دائم من كل من الصديق والعدو على حد سواء، فكل كلمة كانت توضع تحت الميكروسكوب، وكل عمل كان يتم تحليله، وكل إشارة كان يتم التعليق عليها، وخاصة أنه لم تكن ليسوع حياة خاصة يتم الحديث عنها.

«لقد حاولت أن أتخيل ربنا في عالم اليوم،. فهل كان سيتلقى المكالمات التليفونية الآتية من مسافات بعيدة؟ وهل كان سوف يفضل الطيران على المشي؟ وهل كان سوف يهتم بحملات البريد المباشر؟ فمع أن عالمه كان على نطاق ضيق إلا أنه يبدو أنه كان يتعايش مع نفس نوع المطالب والإلحاحات

التي نواجهها اليوم. ولكن عند دراسة حياة المسيح لن نجد لدينا انطباعاً بأنه كان متعجلاً أو أنه كان سريع التناول للأمور، أو أنه كان يؤخذ على حين غرة، وهو لم يكن فقط ضليعاً في كيفية التصرف في وقته الذي هو ملك للجماهير بدون أن تكون له سكرتيرة ترتب له المواعيد بل أنه استطاع أيضاً تدبير أوقات مناسبة يختلي فيها بنفسه بقصد الصلاة والتأمل، وليكون مع الأقلية المحيطة به بقصد التلمذة».

ويمضي (مكدونالد) ليبرز ثلاثة أشياء عن يسوع كانت تعينه على أن يكون إنساناً منظماً هكذا.

١- لقد كان يفهم إرساليته (مهمته)بوضوح.

٢- وكان يفهم قدراته الخاصة وإمكانياته.

٣- لقد خصص وقتاً لتدريب الاثني عشر.

وبمعنى آخر لقد ضمن خطة الله وعمله في كل ما فعله، وكانت حياته انعكاساً لقيم ومقاصد وخطط الله.

١- *اعمل الخير بقدر ما تستطيع* (جامعة ٣:١٣،١١:١-٢). إن الفرصة المتاحة لك لتفعل الصالح هي هبة من الله، فهي فرصة مواتية، ويمكن أن تتكرر عدة مرات، ولذا فداوم على هذه الأعمال.

كيف تبدأ فعل أقصى صلاح ممكن؟ ليس صعباً أن تحسب ذلك:

كن صريحاً، ودوداً، باراً بالاتصال بالآخرين، وتحدث معهم والمسهم، وشم الورد وأدع الآخرين أن يشموه معك، أسرد قصة المسيح لأي شخص على

استعداد للاستماع إليك، واستمع لأي شخص يريد أن يحكي لك قصته، لا تخذل طفلاً يريدك أن تحمله على كتفيك وظهرك، لا تذهب متأخراً خمس دقائق ما دام في إمكانك الذهاب في الميعاد، وفوق الكل فلتكن عيناك حادة البصر وأذناك كذلك.

إن فريدريك نيتشة Friedrich Neitzsche، ليس صديقاً ليسوع أو للإيمان المسيحي، ولكنه أصاب كبد الحقيقة حين قال:« إذا أراد المرء أن يضع في جعبة اليوم أشياء كثيرة، فاليوم له مئة جيب».

١١- *لا تتكل على روحانيتك* (جامعة٧:١٦). نعم إنه حسن أن نصلي، وأن نقرأ الكتاب المقدس، وأن نحفظ بعض الآيات عن ظهر قلب، وأن نذهب إلى الكنيسة، ولكن هذا لا يدعوك أن تتعالى على الآخرين بسبب ذلك! فأنت بذلك لا تصبح مرائياً فقط. بل شخصاً هلامياً هشّاً لا يعتمد عليه أيضاً. فعندما بدأت في أن آخذ خلوة مع الله، أو أذهب إلى الكنيسة أو أقوم بتدريس فصل في مدارس الأحد لأنني أخشى أن يرفض الله أن يباركني إذا لم أفعل ذلك، بدأت أيضاً في الاتكال على ذاتي وعلى ما عندي من روحانية إلى حد كبير.

فأنت تتكل على روحانيتك إلى حد بعيد عندما ...

* لا تصلّي بصوت عال مع الجماعة لأنك لا تريد أن تنكشف أمامهم.

* تشعر أن الزيارة كانت مضيعة للوقت إذا لم تشهد أو تقدم مطبوعات دينية.

* لا تستطيع أن تقول «لا أعرف الإجابة على هذا السؤال» عندما تجهل

الإجابة.

* تغضب إذا اتهمك أحد بأنك لست روحانياً كما ينبغي. وتضطر أن تخبر الناس باستمرار كم آية حفظتها عن ظهر قلب، وكم قرأت من الكتاب المقدس، أو كم من الوقت قضيته في الصلاة.

* وتشعر بالضآلة إذا لم يضرب الراعي بك مثلاً يُحتذى به.

ضع نفسك في أي من هذه المواقف لترى إذا كان ذلك ينطبق عليك أم لا.

١٢- *لا تجعل الصغائر تضايقك* (جامعة٧:١٢-٢٢). وبخاصة التعليقات التي يقولها الآخرون عنك. فلتنس الإهانات البسيطة والمضايقات والمقاطعات والتعييرات و الإهانات، إنها لا تستحق أن تدخل في معركة من أجلها، اعمل للسلام مع الجميع.

ما هو السلام الحقيقي؟ سمعت مرة عن لوحة زيتية تعرب عن هذا السلام، كان المنظر عبارة عن محيط تجتاحه عاصفة هوجاء والأمواج الصاخبة تضرب الصخور الضخمة على الشاطيء ، لأول وهلة تشعر أن لا شيء في اللوحة يرمز للسلام، ولكن عند إمعان النظر تعرف القصد من اللوحة، فهناك نقر في وسط الصخور ترى فيه طائراً في عشه- نورس أو ربما حمامة أو يمامة- ترقد على البيض، والماء يضرب الصخور حولها والريح تزأر بشدة، ولكن الطائر يرقد ساكناً هادئاً بلا أدنى خوف. إنه السلام الكامل، إن ذلك الطائر لم يضطر للطيران بعيداً هرباً من العاصفة، كلا لقد استطاع أن يسكن ويعرف أن الله هو الله.

١٣- *حاول أن تبعد عن المتاعب والصراع* (٨:٥-٦). ومن الذي يرغب في ذلك؟ إن أكثر ما يقتل الوقت هو ذلك الصراع. إذا اعتقدت أن موضوعاً ما خطير في نظر الله، فحاول بكل الطرق أن تزج بنفسك في قلب النزاع، ولكن إذا لم يكن الأمر كذلك فابتعد، فما الفائدة من إثارة موضوع حتى يسوع نفسه ما كان ليثيره؟ من الطريف أن تلاحظ عند دراسة الكتاب المقدس الأشياء التي لم يواجهها يسوع وتلاميذه، فليس هناك أي ذكر ليسوع يوضح أنه تضايق بخصوص أشياء مثل إطلاق لحية من عدمه أو عن طول الشعر، أو طول رداء امرأة، أو الشرب، أو الدعابة ، أو المزاح، أو الوزن الزائد أو الناقص، نوع الموسيقى التي يستمع لها الناس، أنواع التسلية، معدل حضور دور العبادة، المقاطعات (وبخاصة من قِبل أناس يقحمون أنفسهم ليقدموا تساؤلات).

ليس لأن هذه الأشياء ليست هامة، ولكن ما حجم أهميتها؟ هل هي من الأهمية بمكان حتى تنشب حروب بخصوصها؟

١٤- *احذر كل جهالة* (جامعة ١٠:١). أي (الخطية) والحماقة وكل ما يتحدى كلمة الله أو القانون أو الأخلاق تجنّبه كأنك تتجنب الطاعون.

فحيثما توجهت تجد الخطية، وهي تفعل المستحيل لاصطيادنا، والمسيحيون اليوم يذهبون بعيداً في هذا المضمار، فهم لا يغازلون الخطية بمخاطرها فقط، ولكنهم يدخلون إلى عرينها ليعلنوا أنه لا مشكلة على الإطلاق، وكعيسو في الكتاب المقدس فإن البعض قد باعوا حياتهم وخدمتهم وشخصياتهم من أجل «أكلة عدس» ، وخطيتهم التي لم تدم سوى

بضع دقائق قد أصبحت هي القانون السائد على حياتهم، والقوة الدافعة لهم. إن مغازلة الخطية أكبر حماقة. لماذا؟ لأن الخطية لن تكتفي بمجرد مغازلة، إنها تطلب عاشقاً متيماً.

١٥- ***استمع لدوافعك ورغباتك واستجب لها*** (جا١١:٩-١٠). نعم فبعض الأفكار الشاردة مادة جيدة مرسلة من السماء إليك، فإذا لم تمسك بها الآن فإنك سوف تنساها فيما بعد، فقط عليك أن تزنها بميزان الحق.

إني أتذكر دكتور هنري برانديت وهو يعظ في كنيسة بلدتنا منذ عقد مضى، وقد ذكر كيف أنه كان ينظم وقته بحيث «يجلس فقط ويحملق في لا شيء»، فكان يخصص وقتاً للتفكير ووقتاً للتأمل، ويطوف بعقله ليكتشف المتاح من الإمكانيات.

١٦- ***وكلمة أخيرة: تذكر أنك سوف تقف أمام الله يوماً ما لتجيب عن كل شيء فعلته في حياتك*** (جا١٢: ١٣).

ولذا فلتضع الله نصب عينيك دائماً. يتساءل (تشارلس همل) في(Tyranny of the Urgent) (طغيان الأمور العاجلة) قائلاً: «ما سر عمل يسوع؟» ويجيب مرقس بقوله إنه «في الصبح باكراً جداً قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء وكان يصلي هناك» (مرقس ١:٣٥).

هذا سر حياة يسوع وعمله لأجل الله: لقد كان ينتظر تعليمات أبيه بروح الصلاة ولأجل طلب القوة لاتباع هذه التعليمات، لم تكن أمام يسوع غمامة سوداء تحجب عنه الرؤية، لقد كان يستشف إرادة الآب يوماً بيوم في حياة الصلاة. فحتى يسوع كان عليه أن يتوافق مع أبيه، ولذلك فقد سعى في

طلب إرادة أبيه في كل شيء حتى أنه عندما أجاب الآب أجابه حسناً.

إنها ليست قائمة سيئة، وإني لأراهن أنك لم تكن تعرف أن بعض هذه العبارات كانت موجودة في هذا السفر، وأنا كذلك، وما يريد سليمان أن يقوله هو أن الحياة هبة جيدة من الله، فالوقت المتاح لك، والأيام التي تعيشها، والساعات المخصصة لك هي هبة! والهدف منها أن تجلب لك السرور لا العقاب، الرجاء لا الرعب. ولذا فإذا كنت مسرعاً تحاول أن تنجز شيئاً هنا وشيئاً هناك، توقف! ولتشم وردة متفتحة، ولتقرأ فقرة لأحد الكتّاب، ولتشرب عصيراً بارداً، ولتعزف لحناً على أوتار القيثارة. كفّ عن محاولة أن تعطي أي أمر أكثر مما يجب، وابدأ في الاستفادة إلى أقصى حد ممكن من الوقت. وبمعنى آخر، استمتع بالدقائق وهي تتوالى، وإنك سوف تجتاز هذا الطريق مرة واحدة فقط، ولذا فلتستمتع بالسير فيه برفقة يسوع وقلبك عامر بالإيمان وعقلك مستريح!

تقدم (آن روث شاباكر Ann Ruth Schabcker) هذا الدعاء:

كل يوم يأتي حاملاً معه عطاياه: فلنفتح قلوبنا لاستقبالها.

فكرة مفيدة

هل أنت تسرع أكثر وتستمتع أقل؟ قد تكون بحاجة لأن تجلس وتسترجع طفولتك في القدرة على التساؤل، اسأل زوجتك أو أحد المقربين: « هل أنا منفعل أكثر من اللازم؟ هل أبدو دائماً في عجلة من أمري؟ ». إذن فاطلب منهما الصلاة لأجلك واطلب مساعدتهما حتى تحدّ من سرعتك واندفاعك وتختبر عطية الحياة الصالحة الممنوحة لك من الله.

القسم الثالث

الاختيارات:

أين يمكن أن تكسب المعركة أو تخسرها؟

[١٤]

مملكتك أم ملكوت الله؟

«لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً. بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس». (رومية١٤ :١٧).

حكى لي أحد أعضاء كنيسة كبيرة عن متاعبه مع راعيه، فسألته: ما هي المشكلة؟، فقال لي هذه الكلمات: «إنه يبني مملكته الصغيرة الخاصة به».

وعلى النقيض من ذلك، فقد سأل أحد الصحفيين راعياً شهيراً إذا كان هدفه أن «يبني كنيسة كبيرة» فأجاب «كلا على الإطلاق، المسيح يبني كنيسته، وأنا فقط أستثمر جهودي في هذه الكنيسة التي يبنيها هو».

يا له من فرق! هل أنت تبني مملكتك الخاصة بك، أم تستثمر جهودك في المملكة التي يبنيها المسيح نفسه؟

معركة السيطرة على وقتك

إن معركة السيطرة على وقتك واستثماره في ملكوت المسيح من أول الاختيارات المتاحة أمامنا في سيرنا مع المسيح.

فالقيام بالاختيارات الصعبة هو الذي يفرّق بين الجنود والمدنيين في

معركة الوقت التي نخوضها، وفي هذا الجزء سوف نطل على عدد من الاختيارات الواعية التي يقوم بها كل واحد منا بالنسبة للوقت، وأول هذه الاختيارات يتعلق بملكوت المسيح.

الغبي

إن بناء الممالك هو صلب مَثَل يسوع عن الغني الغبي في لوقا ١٢:١٦-٢١، فقد كان الفلاح الغني غبياً لأنه استثمر جهوده في ملكوت سوف يفنى، فاهتم بمزرعته وإنتاجه ومتعلقاته، لقد كان «يكنز لنفسه»، ولكنه «ليس غنياً لله». وفي نفس السياق ذكر يسوع مبدأه العام في طلب ملكوت الله حين قال لتلاميذه في لوقا ١٢:٣١ «بل اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تزاد لكم»، وهذه العبارة تثير سؤالاً هاماً: ما معنى أن «نطلب» ملكوت الله؟

على مدى السنين

لقد سمعت على مدى السنين عدة تفسيرات لهذا العدد، أحدها «أن نطلب تأسيس» ملكوت الله، فعلينا أن نسهم في تقدّم واستثمار حياتنا في جعله حقيقة على الأرض.

ومشكلة هذا التفسير أن يسوع لم يذكر كلمة «يؤسس» فيسوع وحده يبني ويؤسس الملكوت، وليس نحن (انظر متى ١٦:١٨، ٢٨:١٨و. ٢) وهناك تفسير آخر يقول إن علينا أن «نطلب ملكوت الله وبره» في مقابل طلب الأشياء التي في العالم، وهذا أفضل بكثير. ولكني لست واثقاً أن ذلك التفسير صحيح تماماً، فهل يمكن أن يكون ملكوت الله مجرد أشياء؟

وإذا كانت هذه الأفكار ليست صحيحة! إذن فما هو المعنى الذي قصده يسوع؟

اطلـــب

الكلمة اليونانية لكلمة «اطلب» تحمل عدة معان، إحداها أن نبحث ونفتش عن شيء، أي أن «نحصل على، ونجاهد لأجل، ونرغب في أن نمتلك» الملكوت، وهذا لا يتضمن فقط البحث والتفتيش بل التكريس الشخصي، فأنت تريد أن تتشبث به وتجعله ملكاً لك، وتغمر حياتك كلها فيه.

تشبيــــه

رأيت تشبيهاً لذلك في الطريقة التي نبحث بها عن الأشياء في هذا العالم، فقد اشتريت مؤخراً جهاز تسجيل، وفي «طلبي» لامتلاك الجهاز

بدأت سعياً جاداً عن أفضل جهاز بثمن مناسب، ودخلت عدة محلات تجارية، وتحدّثت مع العديد من الباعة، واستمعت لعدّة شرائط تسجيل واستمعت لنوعية الصوت من عدة أجهزة، وأخيراً صممت على نوع الجهاز الذي أريده. ولكن لم يكن هذا سوى الخطوة الأولى، وكان عليَّ بعد ذلك أن أبحث عن أفضل سعر (صدقني، لقد كان ذلك شيئاً مرضياً!)، لقد اندفعت في الأسواق وهرولت إلى كل المحلات التي تبيع أجهزة الاستريو، بحثاً عن الجهاز الذي اخترته، وراجعت قائمة الأسعار، وقرأت إعلان يوم الأحد كالإعلان الذي يعلن عن نوع من الشيكولاتة من شجرة الكاكاو الأصلية، وانتظرت عدّة شهور، وصلّيت أن يساعدني الله لأتوصل إلى أفضل سعر ممكن. ثم توصلت أخيراً إلى أفضل سعر في العالم كله! لقد أخرجت دولاراتي، وأنا أمتلك الآن جهاز استريو رائع.

وعكس ذلك يحدث عندما أبيع شيئاً، فأنا عضو في أحد نوادي بيع أشرطة التسجيل، وبين آن وآخر يعطينا هذا النادي حوافز لجذب أعضاء جدد، وإذا أتينا بشخص ليوقّع على العضوية فإني أحصل على أربعة شرائط مجاناً (وهم يحصلون على صفقة جيدة أيضاً)، ولك أن تتصور فرحي بهذه العملية، لقد بدأت أقترب من كل أنواع الناس- الآباء والأقارب والزملاء في العمل والجيران- واستطعت اصطياد عدد قليل منهم، ولكن كان عليَّ أن أضرب على وتر معين لكل واحد منهم، وذكرت المزايا وذكرت الحقيقة فيما يختص بالمساويء، وقدمت شهادتي الشخصية عن هذا النادي، وبيّنت لهم التكاليف، وأوضحت الفوائد ثم تركت لهم الخيار، لقد أصبحت كارزاً حقيقياً لهذا النادي لشرائط التسجيل.

ما المقصود من فضلك

المقصود أن أتبع الطريقة التي كنت أطلب بها تلك الأشياء المادية الأرضية، فهي نفس الطريقة التي أطلب بها ملكوت الله. كيف؟ ..

ببذل:

الجهد

الطاقة

النفقات

وسمو الغرض

وتوقع المكافأة

وبعد كل ذلك كنت أترك النتيجة بين يدي الله. وعندما نطلب ملكوت الله، فنحن نبحث عن أهداف الله (مجده وملكوته وخطّته) مع أولوياته (العبادة والتحلّي بالفضائل والتلمذة وتحقيق الحاجات الحقيقية وسمو الحياة).

الملكــوت

ما هو ملكوت المسيح؟ إن المسيح يطالب على فم تلاميذه بالأماكن والناس والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه حتى يمجده الجميع ويتمتعوا

به إلى الأبد، إننا نغزو مملكة الشيطان لنعلن تبعيتها لله «لأن ملكوت الله ليس بكلام بل بقوة» (كورنثوس الأولى ٤: ٢٠) «لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس» (رومية ١٤:١٧)، ومملكة يسوع «ليست من هذا العالم» (يوحنا ١٨:٣٦)، «وهو لا يأتي بمراقبة .. لأن ها ملكوت الله داخلكم » (لوقا١٧: ٢٠-٢١). وفي السماء الجديدة والأرض الجديدة هوذا مسكن الله مع الناس وهو يسكن معهم» (رؤيا٢١:٣).

وفي النهاية فإن ملكوت الله يعني ملك يسوع، فهو يدعو الناس من العالم الشرير ليجعلهم مواطنين في الملكوت النهائي والأبدي في المستقبل، وعندما نطلب ملكوته فنحن نثبت أعيننا وقلوبنا على الله في يسوع- على كل ما يعنيه من مواعيد وما يمثله من معان، ونكرس أنفسنا لعمل إرادته في حياتنا كل يوم، ويعني طلب إرادته (حسبما هي معلنة في وصاياه) عن طريق كلمته وتطبيقها على حياتنا.

إلى أي حد نتبع كلمته؟ كل كلامه، كل ما يتعلق بحاجاتنا الحالية وظروفنا، وكل حقيقة تتعلق بعلاقاتنا مع الآخرين ومسئولياتنا.

ما هي إرادة الله؟

يتساءل بعض الناس «ما هي إرادة الله»؟ إنهم يبحثون دائماً عن عبارات معينة يقولها الله بخصوص ما يفعلوه في حياتهم. هناك مئات من

الكتب المتوفرة عن معرفة إرادة الله لحياتنا، وقليل منها قد أقنعني حقاً، فإني دائماً أشعر بعد قراءتها كما لو كان على ظهري حمل ثقيل من القوانين والمباديء والأحوال والاتجاهات، والمزيد من الأعمال. منذ عدة سنين مضت قال أحد الزملاء العاملين معي في الفصول العليا لمدرسة الأحد قولاً انغرز بعمق داخل نفسي، لقد قال لي إن فريقنا كان يعاني من الإحباط بدرجة كبيرة فيما يختص بالحياة المسيحية، فقلت له: لماذا؟ فقال لي: إننا نذهب إليهم كل أسبوع ونعطيهم مبدأين أو ثلاثة أو خمسة مباديء عن بعض فقرات الكتاب المقدس. وهذه المباديء المفروض أن تؤدي لتغيير الحياة، ولذا فنحن نعطيهم طرقاً محددة لتطبيق الكتاب المقدس على حياتهم، ولكن لو جمعت كل تلك المباديء على مدار العام فالمحصلة النهائية أننا نكون قد أعطيناهم مائتي أو ثلاثمائة شيء ليفعلوه، وهذا قريب الشبه بالستمائة قانون التي وضعها الفريسيون ، وأنت تعلم ما قاله يسوع عنها!».

وقد فكرت في هذا طويلاً جداً، وإني مقتنع أننا نحن الوّعاظ والكتّاب والقادة وكل من يلجأ إليهم الإخوة ليعرفوا ما يتوقعه منا الله، علينا أن نحذر من أن نصبح فريسيّ العصر الحديث، فنحن لا نستطيع، كما قال يسوع، أن «نحمّل الناس أحمالاً عسرة الحمل» (لوقا ١١:٤٦).

فتكويم المباديء والمطاليب والبرامج وقوائم الإرشادات للحياة المسيحية يزيد قليلاً عن محاولة الفريسيين في أن يجبروا كل واحد على حفظ الناموس حرفياً.

وماذا بعد؟

فماذا ينتظر الله منا بالضبط؟ وما هي إرادته؟

بالاختصار إنه يريد المكتوب، كل شيء، كل سفر و أصحاح وآية وجملة وكلمة ومقطع وحرف ونقطة! إن إرادة الله ليست متضمنة فقط في الكتاب المقدس، فهي ليست جزءاً من الكتاب المقدس، ولكنها تشمل كل ما ورد به. إن المكتوب هو كل شيء يريدنا الله أن نعرفه عن إرادته، ولذا فلا حاجة بنا للخوف من أن نسأل. في رسالة يوحنا الأولي ٥:٣ نجد تلخيصاً دقيقاً لذلك «من قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه»، إن عدم حفظ وصايا الله يعني أننا في الحقيقة لا نعرفه.

ملكوت مـن؟

إذن فأنت تستثمر حياتك في ملكوت من؟ في ملكوتك الشخصي حيث تتحقق طموحاتك الشخصية ورغباتك- أم ملكوت الله حيث تصبح أهدافه وأولوياته هي أهدافك وأولوياتك؟

يقدم مارك بورتر توضيحاً قوياً من حياة (كلارنس دارلو) (عام ١٨٥٧ - ١٩٣٨)، لقد كان (دارلو) واحداً من أعظم المحامين عن المجرمين في تاريخ أمريكا «فقد كان أستاذاً في فن التأثير على المحلّفين بطرق غير

مشروعة سواء كانوا من الفلاحين أو الأرستقراطيين المثقفين، وقد استطاع أن يحصل على البراءة لعتاة المجرمين، وكنتيجة لذلك، كان الناس على استعداد لدفع مبالغ طائلة مقابل خدماته، وقد استطاع أن يحصل على الثروة والشهرة والقوة.

ولكن في السنين الأخيرة من حياته، حفرت التعاسة أخاديد عميقة في قلب (دارلو)، فقد استمع في أحد الأيام إلى خادم يتحدث في جامعة شيكاغو، وطلب (دارلو) مقابلة شخصية معه، وقال له دارلو «إنني رجل عجوز، ولم أجد الطريق بعد، أنا ناجح تماماً من وجهة نظر العالم لقد اخترت ميدان الدفاع عن المجرمين لأني بذلك أستطيع أن أجمع أكبر مبلغ من المال وأحقق ما أصبو إليه من إمكانيات، لقد كان لي أسلوبي في التعامل مع الناس وكنت بارعاً في ذلك، وكنت أستطيع الحصول على أتعاب تصل لستة أرقام لإطلاق سراح وغد ارتكب جريمة ما، أما الآن فقد صرت عجوزاً وأصبحت من الحكمة بالكفاية لكي أعرف أنه ليست هكذا تكون الحياة. لقد كنت أقرأ في العهد الجديد، وعثرت على فقرة تصلح أن تنقش على قبري، فهي تعبّر عن حياتي. لقد كان يسوع يعظ في القارب الصغير بجوار البحر، وبعد إلقاء عظته أخبرهم أن يدخلوا للعمق ويلقوا شباكهم للصيد، وكانت إجابة واحد من التلاميذ تعبيراً جيداً عن حياتي، لقد قال له « يا معلم، لقد تعبنا الليل كله .. ولم نصطد شيئاً»، هذا هو كلارنس دارلو، وإذا كان لديك ما تقوله لرجل عجوز يعاني الفشل فلتقل هذا لأني لم أجد معنى للحياة».

إن اختيارك للملكوت - الذي سوف تستثمر حياتك فيه- سوف يؤثر

على استغلالك للوقت كل دقيقة.

فكرة مفيدة

خذ بضع دقائق الآن لإعادة تقييم حياتك، فهل أنت تطلب ملكوت الله أم تحاول جاهداً أن تبني ملكاً خاصاً بك؟

كن أميناً أمانة مطلقة مع نفسك ومع الله، وبعد ذلك اقض وقتاً في الصلاة معترفاً بكبريائك وطموحك واعتمادك على ذاتك، واطلب من الله أن يعيد توجيه حياتك ليجعل منها حياة مثمرة خلاقة.

[١٨]

اهتمام متذبذب أم علاقة وطيدة؟

«إني أحرص على قضاء أكبر وقت مع الرب، فالمشغولية أكبر عائق في سبيل الروحانية الحقة».

(جيم ديشمر، راعي رابطة النعمة، بلتيمور ميري لاند).

على أول صفحة من كتابه الشهير «**قوة الصلاة**» يكتب أ.م باوندز Bounds «إننا مشدودون دائماً لابتكار وسائل جديدة و خطط جديدة لتقدم الكنيسة وتوسُّعها وزيادة فاعليتها لأجل الإنجيل ، وهذا الاتجاه العصري يميل لإهمال قيمة الفرد أو بجعله عبداً للخطّة أو التنظيم، ولكن خطّة الله أن تعلي من شأن الإنسان أكثر من أي شيء آخر، فالناس هم اهتمام الله، والكنيسة تبحث عن وسائل أفضل، ولكن الله يبحث عن أناس أفضل». ويبدأ (باوندز) هذا الفصل باقتباس من (روبرت موراي ماككين) ذلك الراعي الاسكتلندي من القرن التاسع عشر والذي لم يعش سوى ثلاثين سنة ولكنه أثّر في الملايين، كتب ماككين قائلاً: هب نفسك للصلاة واحصل على أفكارك وكلماتك وعباراتك من الله، إن لوثر كان يقضي أحسن ثلاث ساعات في الصلاة.

إحصائية مزعجة

على النقيض من هذه الكلمات، كشف لي الراعي عن هذه الإحصائية

المزعجة في عظة حديثة: فقال «إن الراعي الإنجيلي يقضي في المتوسط خمس دقائق في الصلاة». فإذا كان قادتنا يقضون خمس دقائق فماذا عن العلماني العادي؟ ومع هذا فالصلاة والعلاقة القوية مع الله من أولويات الحياة، لقد قال يسوع للشيطان «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله» (متى ٤:٤).

هل أزمة الوقت هي أزمة حقيقية أم هي ببساطة نتيجة الفشل في أن نحب الله ونعبده كل يوم؟ لأنه عن طريق صلتنا بالله بهذا الأسلوب نكتشف..

إرادة الله لحياتنا وأيامنا

وقوة الله للخدمة

وتشجيع الله لنا في الألم والقلق

وتقوية الله لنا ومنحنا قوة الاحتمال

وتطهير الله لنا من أدراننا حتى نختبر الحرية الحقيقية

وحكمة الله لحل مشكلاتنا

والراحة الإلهية لنختبر السلام الحقيقي

والرضى الإلهي لنختبر القناعة في الحياة

وحياة الله للإنجاز النهائي الحقيقي

اسأل نفسك: هل هذه الأشياء هامة بالنسبة لي؟ هل هذا ما أصبو إليه وأشتهيه في الحياة؟

ثم إن الصلة مع الله يجب أن تصبح في قائمة أولوياتنا، إنها هكذا ببساطة.

من أقوال الناس

عندما قمت بعمل بعض الدراسات تمهيداً للإعداد لهذا الكتاب توصلت إلى أن الناس يفضّلون تنظيم المواعيد، والاحتفاظ بمواعيد شخصية مع الله تأتي على قمة الأولويات كما يأتي الوقت المخصص لله على قمة الأولويات، ففي رأيهم أن هذا يجلب الانضباط والسرور في استغلال الوقت. ويمكن أن يكون ذلك بأشكال عدّة، فبعض الناس يمارسون الفرصة التعبدية في الصباح الباكر، والبعض الآخر يفضلها قبل النوم. وأناس آخرون عند تناول الغداء أو في أثناء فسحة تناول القهوة أو بعد العشاء، البعض يقضي خمس دقائق وآخرون خمس ساعات، ولكن سواء كانت خمس دقائق أو خمس ساعات، فإنه موعد يجب على المسيحي أن يتعلم كيف يحافظ عليه. والوسائل تختلف أيضاً، فالبعض يتبع نظاماً صارماً كأن يقضي ١٥ دقيقة في دراسة الكتاب المقدس، و١٥ دقيقة في حفظ الكتاب عن ظهر قلب، و١٥ دقيقة في الصلاة، وآخرون يستخدمون الأدب التعبدي أو كتاباً خاصاً، والبعض يكتب في جريدة، أو يتأمل في كلمة «كالمحبة أو القداسة» طوال اليوم، إني أتذكر صديقاً لي في مدرسة لاهوت كان يقرأ الأجرومية اليونانية للعهد الجديد وهو كتاب ضخم (لبرتسون) ويعتبر ذلك وقتاً للتأمل والسكينة.

ما يهم أن الوقت الذي تقضيه مع الله يناسبك، ويناسب احتياجاتك، وموقعك في الحياة. وخبرتي علمتني أن الرب يعمل فينا بطرق متنوعة في أوقات مختلفة، وإذ ننمو في الإيمان سوف نرى وسائلنا تختلف اختلافاً بيّناً بمضي السنين ، المهم أن ندوّن هذا الوقت ونحافظ عليه.

المسيحي غير المنظم

يكتب (جوردون مكدونالد) في (تنظيم عالمك الخاص) أن «المسيحيين غير المنظمين نادراً ما يستمتعوا بعلاقة وطيدة مع الله، إنهم بالتأكيد ينوون الإبقاء على صداقة حميمة مع الله، ولكن تلك الصلة لا يمكن أن تتوطد أبداً، فلا داعي لأن يخبرهم أحد أنهم يجب أن يخصصوا وقتاً لدراسة الكتاب المقدس والعبادة والتأمل والصلاة لأجل الآخرين، فهم يعرفون كل ذلك، ولكنهم في دخيلة نفوسهم يعلمون أن المسألة هي تنظيم وإرادة شخصية أكثر من أي شيء آخر». أيهما يأتي في المقدمة التنظيم الجيد أم العلاقة مع الله؟ والإجابة ببساطة هي أن التنظيم الجيد يكفي لتوطيد العلاقة مع الله، والله سوف يساعدك أن تنظم وقتك!

قال لي (جيم ديثمرJim Dethmer) راعي كنيسة رابطة النعمة-Grace Fellowship في بلتيمور بميريلاند، وهي كنيسة قد نمت إلى أكثر من ألف عضو في سنوات قليلة: «إني أحافظ على وقتي مع الرب ، فالمشغولية هي أكبر عائق للروحانية الحقيقية».

وأكد (لانس كوين Lance Quinn) مدير Grace Communication في كاليفورنيا قائلاً: «اقض وقتاً مع الله ومع كلمته بأمانة، فهذا يأخذك بعيداً عن طغيان الظروف العاجلة». وقالت (بات باس Pat Bayssse) وهي زوجة وأم وكاتبة في(ديروود Derwood) بميريلاند «لقد اكتشفت أنه طيلة سنوات عديدة، كنت أضع وقت الله أولاً من قبيل الواجب، وأحياناً أخرى نتيجة الشعور بالذنب، ولكن الآن وعن طريق العادة قد أصبح وقتاً خاصاً أريده وأحتاجه ولا أستطيع أن أمضي في الحياة على ما يرام دون أن أضع الله أولاً».

كيف استطاع مارتن لوثر أن يفعل ذلك؟

من أقوال مارتن لوثر المأثورة: «عليَّ أن أقوم بعمل كثير اليوم، فعليَّ أن أصرف الثلاث ساعات الأولى في الصلاة وإلا فالشيطان سوف ينتصر عليَّ»، ومارتن لوثر من أكثر الرجال الذين كُتب عنهم في تاريخ العالم بعد يسوع نفسه، وترجمته الشخصية للكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية ما تزال هي الترجمة النموذجية اليوم، وقد كتب تعليقات على الكتاب ككل كما كتب كتباً عديدة أخرى، وقد خدم كنائس عديدة، وكان منارة الإصلاح البروتستانتي، فكيف استطاع إذن أن يفعل ذلك؟ ترك لنا لوثر الإجابة، لقد شرح عاداته التعبدية في خطاب إلى مصفف شعره، وقد نُشر تحت عنوان «طريقة بسيطة للصلاة لأجل صديق حميم»، ويفسر (والتر ترويش Walter Trobisch) الخطاب في كتابه «وقت خلوة مارتن لوثر»، فما الذي فعله

مارتن لوثر إذن؟ لم يفعل شيئاً غير عادي، لقد أشار بدراسة الكتاب المقدس والصلاة وحثّنا على التأمل في الكتب المقدسة، ولكن إذ نفعل ذلك فعلينا أن نسأل أسئلة، وقد أوصى أيضاً بأن نستعمل مفكّرة لنكتب أية تأملات وأفكار تتوارد على خواطرنا.

أولاً: يقول لوثر: علينا أن نسأل: ***ما الذي أشكر عليه؟*** إننا نسأل هذا السؤال بنوع خاص عن النص الذي نتأمل فيه «ما الذي يستحق الشكر في هذه الآية؟». خذ آية مثل «الله محبة» ما الذي نشكر عليه هنا، إن الله يحبنا، نعم ولكن دعنا نتعمق، فأن يكون الله محبة فهذا يعني كل شيء- وأنا أعني كل شيء- وأن ما يحدث يأتي من قلب محب، ولذا يمكنني أن أكون شاكراً لأجل كل ما يحدث عالماً أنه نابع من قلبه المحب. وكون الله محبة أيضاً يعني أن جوهر وجوده هو المحبة، أي التفكير والشعور والتصرف بطريقة مُحبة، وهو لا يمكن أن يفعل شيئاً بخلاف أن يحبني بالتمام وبلا حدود، ويمكنني أن أكون شاكراً لأجل تلك المحبة وأشعر بالأمان التام بدفئها، وأبتهج لأن هذا الإله هو صديقي الشخصي. تأمل في ذلك للحظة، وأي شكر يمكن أن تقدمه لله لأجلها؟

ثانياً: عند التأمل في نفس الآية اسأل: ***«ما الذي أندم عليه أو ما الذي يجعلني حزيناً؟»***. إن هذا يؤدي للاعتراف بالخطية. وإذ أتأمل في نفس الآية أتذكر أنه عليَّ أن أشبه أبي السماوي، كيف لم أكن محباً؟ ولمن لم أكن محباً؟ وما الذي يمكن عمله لتعويض ذلك؟

ثالثاً: ***اسأل ما الذي في الآية يقودني للصلاة لأجل نفسي والآخرين؟*** هل هناك شيء أحتاج أن أصلي لأجله؟ هل حقيقة أن «الله محبة» يمكن

أن تقودني للتساؤل عن كيفية أن أكون محباً أكثر؟ ولمن؟ وكيف؟ وما الذي يمكن أن أعمله؟

وأخيراً، ما الذي عليَّ أن أفعله؟ إن هذا يتطلب تطبيقاً شخصياً محدداً للكتاب المقدس على حياتك، وهذا يمكن أن ينطبق على أدق التفاصيل في حياتنا، فلمن سوف أظهر الحب اليوم؟ ومتى؟ وأين؟ وكيف؟ ويمكنك أن تفعل ذلك بأن تختار آية من الكتاب المقدس لتساعدك على التطبيق، ففي تلك الساعات الثلاث كان يمكن للوثر أن يخطّط حقاً ليومه ويتحدث مع الله ويتأمل في كلمته، وعندما كانت بعض الأفكار تشوش عليه، يعتبرها سبباً لأن يصلي ويدرجها في فرصته التعبدية.

لقد كان لوثر يستخدم تلك الفرصة حقاً في التخطيط لعمله يداً بيد مع الله، ولهذا السبب كان يستطيع أن يقضي الثلاث ساعات الأولى في الصلاة، لأنه كان يتحدث مع الله عن كل شيء وما يود أن يفعله في ذلك اليوم، إنه مبدأ قديم: المزيد من الوقت في التخطيط يؤدي لوقت أقل في التنفيذ، وعندما يكون شريكك في التخطيط هو الله، فكيف يمكن أن تفشل؟

التغلب على أزمة الوقت

(الندا راب) زوجة الراعي والأستاذ بجامعة بيولا قصّت عليّ اختباراً مثيراً يحوي الحقائق التالية:

فقد كتبت لي قائلة: « إن إدماني للمشغولية حدث منذ عامين مضيا في

ربيع ١٩٨٦، فقد كنت أحمل عبء المنهج التعليمي كله في الـ UCIA ، وأدرس اللغة الإنجليزية في بيولا حيث كنت أيضاً أقوم بامتحان الطلبة لتعيينهم في الصف المناسب كما كنت أقوم بتعليم وتنسيق المناهج الدراسية لغير المتحدثين باللغة الإنجليزية (لندا من أصل صيني وتتحدث اللغة الصينية بطلاقة). وكنت أيضاً أراجع علم المناهج الدراسية لبرنامج التدريب الدراسي الصيفي للطلبة من الخارج، علاوة على أني كنت عضوة نشطة في كل مجالات الخدمة للأطفال والموسيقى بكنيستنا حيث كان زوجي يعمل راعياً.

لقد تعبت لندا من سرد كل هذه التفاصيل، ومع هذا فهي تمضي قائلة : « عندما كان الموعد الأخير للعديد من المهام يزحف عليَّ من كل اتجاه، كنت أجد نفسي أبذل كل طاقاتي لاهثة الأنفاس لا أنام طيلة ست ليال في تسعة أيام، ولم أكن مجهدة جسمياً فقط بل كنت أيضاً أناضل بكل جهدي نحو تحقيق المشروعات والوفاء بالالتزامات». لقد قاربت لندا على الانهيار وليس ذلك فقط بل أنها أشرفت على الموت، ولكنها تقول: «لقد استخدم الله فقرتين ليحدثني في ذلك الوقت: رومية ٥ :١-٥ ويشوع ٩ ». فعن طريق الفقرة التي في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية قد تذكرت أنه عن طريق سلامي مع الله قد صار لي حق لأفرح، ووجدت سبباً للرجاء، وقد أعطتني هذه الحقائق الدافع لأن أثابر وحمتني من الانهيار».

ولكن الفقرة الثانية ذكّرتها كيف أن يشوع والإسرائيليين قد قبلوا تسوية مُذِلة عندما تم استدراجهم، فاندفعوا بحماقة لتوقيع معاهدة غير مرغوبة مع الجبعونيين لأنهم «من فم الرب لم يسألوا» (يشوع ٩:١٤).وكان يمكنهم

تجنّب هذا الخطأ لو أنهم أخذوا وقتاً في الصلاة أولاً قبل اتخاذ القرار.

لقد تبكّتت لندا وسألت نفسها «من وسط بحر التعهدات والالتزامات الذي أغرق فيه الآن، هل كنت سأتورط في كل هذه الالتزامات لو أني سألت الرب بأمانة قبل أن أقول «نعم»؟

وخلصت من ذلك بالقول «إن الصلاة هي أفضل ما يدمر المشغولية ويقضي عليها.

ولا أعتقد أنني بحاجة لأن أضيف شيئاً لذلك!

فكرة مفيدة

قيّم حياتك التعبدية، هل أنت تقترب أكثر من الله أم تبتعد عنه؟

هل تتحرج أن تخبر راعيك عن كم من الوقت تقضيه في الصلاة وطلب الله؟

وإذا كان الأمر كذلك فما الذي يمكن أن تبدأ في عمله الآن حتى يمكنك أن تعلن الحق بفرح؟

[١٦]
الأشياء التي على الأرض أم الكنز الذي في السماء

«لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء (متى ١٦: ١٩-٢٠).

إن مشكلة الأشياء والوقت قد أوضحتها لي (إيلين ميريل) بطريقة جيدة فقد أخبرتني قائلة: «إن زوجي (مايك) كان يعمل في وظيفتين وأحياناً ثلاث وظائف من أجل إعالة الأسرة معظم سنين زواجنا، ولقد كان مكرهاً على ذلك، ولذا فقد قمت أنا بوظيفة أخرى ثم شعرت بعدئذ أني قد ظلمت الأطفال».

والمشكلة مع ذلك كانت المال، فالديون كثيرة ولا يوجد وقت كاف لتقريب الفجوة «لقد كنا بحاجة لتعلّم الصلاة قبل كل عملية شراء، هل نحن حقاً بحاجة إلى هذا الشيء؟ وكيف سندفع ثمنه؟ ومن الذي سيقوم بالتضحية بوقته؟ واكتشفنا أن المثل القديم القائل: (الوقت من ذهب) يجب أن ينعكس فيصبح (المال هو الوقت)، فإذا احتجنا للدفع فإننا بحاجة للعمل لأجل المال، وهذه هي أزمة الوقت الطاحنة».

إننا نرى أزمة الوقت الطاحنة معلقة فوق رقاب كل واحد فينا، فالأشياء لا تزحم حياتنا فقط، ولكنها تجعلنا أيضاً نتخذ قرارات تتسم بالضغف

واشتهاء ما للغير، وهذا يقودنا نحو رزيلة القلق، فإذا استطاع الشيطان أن يصطادك بأحدث وسائله فهو سيطالب أيضاً بالمزيد من الوقت الذي تحتاجه لتكويم المزيد من المال الذي سوف تصلي له!

المادية

إن مادية العصر الذي نعيش فيه تدعو للدهشة، وهي السبب الرئيسي لأزمة الوقت الطاحنة، فنحن نعمل ساعات طوال لنكسب المزيد من المال حتى نستطيع شراء المزيد.

إن بحثاً عن الخريجين الجدد من الكليات قد أظهر أنهم يعانون «قلقاً بصورة متزايدة من أجل الأقساط الطويلة الأمد»، وبمعنى آخر فهم قلقون بسبب عدم مقدرتهم على كسب المال الكافي بعد التخرج، وفي مقال آخر يقول: «ذكر مكتب الإحصاء أمس أن الحياة ذات المستوى المعيشي المرتفع مبنية الآن على نوعين من الشيكات مقبولة الدفع. فطبقاً للدراسة، هناك حوالي ٢٦ مليون أسرة من الـ ٨٩,٥ مليون أسرة في طول البلاد وعرضها يتبقى عندها ما يكفيها للكماليات والرفاهية بعد دفع النفقات الأساسية، وذلك حتى يتسنى لهم نمط معيشي مريح في الحياة». إن متوسط الدخل لتلك الأسر التي يبلغ عددها ٢٦ مليون أسرة قبل دفع ضريبة الدخل كان يبلغ ٥٦,٦٠٥ دولاراً وهو المبلغ الذي نحتاجه هذه الأيام سنوياً، هذا ما نحتاجه اليوم حتى نعيش حياة مريحة.

وهناك مقال يعالج هذا الموضوع في الواشنطن بوست بطريقة فكاهية فيقول: دعنا نتوقف للحظة لننعي مصير الأطفال، فهؤلاء الفقراء الصغار المدللون لم يسقطوا فقط من النعمة، ولكنهم سقطوا أيضاً من الارتفاع الشاهق للقدرة الشرائية الكبيرة...

«فمنذ حوالي عام مضى جاءت المصائب الثلاث التي زادت الطين بلة بالنسبة لهؤلاء الأطفال القليلي الحظ الذين يعانون من مرض السل، وأول هذه المصائب كانت التعديلات التي حدثت في قوانين الضريبة التي قللت من تخفيضات الضريبة على السيارات مرتفعة القيمة، وبالتدريج قضت على خصم الضريبة على فوائد الأقساط على سلف السيارات، ثم تبع ذلك استسلام رجال المال والأعمال بأمريكا لشارع «وول ستريت»، وكانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير: فقد حدثت زيادات في أثمان السيارات الأوربية بما يقرب من ٣٠٪، لقد تحول رقيقو الحال إلى مستدينين، وهذا يكفي».

هل الأمر يستحق كل هذا؟ هل هذا ما نتجّه إليه؟

الجـــــواب

ما هو الجواب؟ «لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء» (متى ١٦:١٩-٢٠). إن ما يهم وما يبقى هو أن تكون «غنياً

لله» (لوقا١٢: ٢١). كيف تصبح غنياً لله؟ يجيب يسوع بالتحديد على السؤال في لوقا١٢: ٣٣ «بيعوا مالكم واعطوا صدقة. اعملوا لكم أكياساً لا تفنى وكنزاً لا ينفد في السموات». وهناك العديد من فقرات الكتاب المقدس تدل على أن يسوع لم يكن ضد تملك الناس للأشياء، أو حتى توفير المال، ولكن السبب الرئيسي أن البعض عندهم المال والبعض الآخر ليس عنده، وأن الذين عندهم يمكنهم أن يقدموا العون للذين ليس عندهم (انظر كورنثوس الثانية ٨-٩). فاكتناز الأشياء في هذا العالم والحماية بسياج زائف ضد غوائل المستقبل يعتبر قمة الحماقة، وكذلك الشراء المستمر للأشياء المادية؛

اسأل نفسك كم تستغرق من الوقت في بحثك عن الأشياء المادية، وما هي الأشياء التي تحرص على شرائها (أو دفع أقساطها وهو الأكثر احتمالاً) والتي تجعلك تتزاحم بالمناكب وتندفع وتستقطع من وقتك من عشر إلى اثنتي عشرة ساعة أسبوعياً في عمل إضافي زيادة على عملك؟ ربما أنت في حاجة إلى وقفة لإعادة تقييم الأمور.

تغييرات في نظام المعيشة

أحد المسيحيين الذين واجهوا حقيقة الأشياء التي على الأرض في مقابل الكنز الذي في السماء هو (بيل تامولونيس Bill Tamulonis) من بلتيمور بميري لاند، وهو عضو في كنيسة «رابطة النعمة» Grace Fellowship وهي كنيسة سريعة النمو في بالتيمور وتقوم بمد يد العون للناس لمواجهة نمط

الحياة السريع الإيقاع. ويعمل (بيل) في التسويق في البنك الأهلي بميريلاند، وقد قال لي: «لقد بدأت التفكير في أهم الأشياء في الحياة وما الذي يستحق أن أهب حياتي له، وناقشت الأمر مع راعي كنيستي فحثني على أن أسعى إلى ذلك، وأن أحصل على نوع من الخدمة التي تستحق». «فقررت أن أحصل على نوع من التدريب، فاشتركت في برنامج تدريبي بكلية اللاهوت في واشنطن، وفي نفس الوقت أحاول أن أكون أكثر اندماجاً في خدمة الكنيسة المحلية، وقد رزقنا الله بطفل، ولكني كنت أعلم أني لن أستطيع القيام بكل شيء، ولذا فقد بدأت في البحث عن عمل أكثر مرونة».

وإليكم ما قمت به: «كان البنك الأهلي بميريلاند يعد برنامجاً لمدة أربعة أيام في الأسبوع لمدة تسع ساعات ونصف يومياً من الاثنين إلى الخميس، وقررت أن أجرّب المحاولة».

فكيف كانت النتيجة؟

«لقدكانت رائعة، لقد ظللت فيها لما يقرب من عام، فقدكان هناك تطوراً في كل المجالات، وأشعر أني حققت ما أهدف إليه، وأستطيع أن أفعل ما أريد أن أفعله، وبالإضافة لذلك فلم يعد ذلك عليّ بالضرر فيما يختص بمستقبلي الوظيفي، بل حصلت على ترقية منذ أن أخذت هذه الوظيفة الجديدة، وأعرف أنهم سوف يسمحون لي باتخاذ قرارات مصيرية متعلقة بالعمل المهني، فأمامي مجال متسع نحو التقدم في العمل».

ابدأ مشروعك الخاص بك

عضو آخر في كنيسة «رابطة النعمة» هو (رتش تكر Rich Tucker) قرر أن يبدأ مشروعه الخاص ليخرج من أزمة الوقت الطاحنة بالنسبة للعمل المهني، وقد فسّر ذلك بالقول «كنت مندمجاً في عملي، متقدماً في الشركة التي أعمل بها، فكنت أعمل لمدة ٧٠ ساعة أسبوعياً، وأسافر كثيراً، ومع ذلك لم أستطع الوفاء باحتياجاتي الأسرية أو بتلبية كل مطالب العمل، وكنت أرى ابني البالغ من العمر تسع سنوات يتألم. «ولذا بدأت بتكوين شركة خاصة بي مع ثلاثة شركاء منذ ١٨ شهراً مضت، تعمل في مجال المعدات الالكترونية، وكنا نحن الأربعة ندين بالولاء لعائلاتنا، وكان أملنا في أن نطوّر العمل ونجعله محدوداً ومربحاً في نفس الوقت بما يكفي لمواجهة احتياجاتنا المادية، وفي نفس الوقت نمارس اهتمامات أخرى كالذهاب لمدرسة الكتاب المقدس، وها أنا أستطيع الآن أن أقوم بالأشياء التي أريد أن أعملها».

وتوم كزنك Tom Kosnik كان حتى وقت قريب أستاذاً بمدرسة هارفارد للأعمال التجارية، وقد وجهت إليه بعض الأسئلة في مقال ظهر في جريدة (وول ستريت)، لقد كان الأستاذ البالغ الثامنة والثلاثين من العمر يعمل عملاً متواصلاً لمدة ٧٥ ساعة أسبوعياً، دون أن يتبقى له وقت كاف للقيام بأي مهام أخرى «والآن سوف ينتقل هو وزوجته إلى شمال كاليفورنيا لأنهما بحاجة لمزيد من الوقت للمتعة، للسفر واللياقة البدنية وتكوين صداقات

جديدة، والتأمل الروحي»، لقد اختار وظيفة أبطأ إيقاعاً كمستشار وكاتب.

ليس للعمل فقط

هذه الاتجاهات يمكن أن تنطبق على حالات أخرى، وليس فقط المهنة أو العمل، فقد كتب لي (هوارد هندركس) قائلاً: «منذ وقت مبكر كرّست نفسي لتحقيق هدف معين، وهو أنه حتى لو لم أكن معروفاً ككاتب عظيم أو متحدث أو أستاذ كلية اللاهوت فقد أردت أن أكون مشهوراً بكوني أب وزوج ناجح، فالتبشير للناس يمكن أن يتم ربما بأكثر كفاءة على يد أناس آخرين، ولكنني الزوج الوحيد لزوجتي والأب الوحيد لأطفالي، فما ورد في رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٣:٤-٥ (عن صفات الأسقف أن يكون مدبراً جيداً لبيته) تمثل بالنسبة لي الشيء الكثير، وأعتقد أنه من الممكن أن تكون ناجحاً مهنياً إلى حد كبير وفاشلاً تماماً كأب وزوج».

قال لي أحدهم إن الطريقة التي تكنز بها كنزاً في السماء، هي أن تستثمر طاقاتك في شيء متعلق بالسما،كأسرتك وكنيستك ونفسك والذين حولك، استثمر في ما يدوم إلى الأبد، وبذلك تكون لك أبدية سعيدة.

كتب (هنري وادزورث Henry Wadsworth) قائلا:

لا تثق في أي مستقبل مهما كان ساراً!

دع الماضي الميت يدفن نفسه!

عش - عش في الحاضر الماثل أمامك

بقلب مفعم بالحياة، وانظر متجهاً إلى الله في الأعالي.

فكرة مفيدة

ما الذي تستثمر حياتك فيه؟ فلتعمل مسحاً للموارد التي عندك، كيف تنفق أموالك؟ هل هناك شيء شبيه بالعشور(١٠٪)؟ أم أن حياتك مكتظة بالأشياء التي عندك والأشياء التي ما تزال بحاجة إليها؟ اسأل نفسك الأسئلة الصعبة وأجب عنها أمام الله، ثم فكّر في حياتك، وما هي التغييرات التي يمكن أن تحدث فيها، ثم دوّن هذه التغييرات.

[١٧]

الدوران حول نفسك أم التقدم للأمام؟

«ولا يوجد في تقويمي سوى يومين: اليوم وذلك اليوم.

(مارتن لوثر)

(دوج وايت Doug White) يعمل في تسليم الطرود، من الخمور قليلة الكحول، وفي يوم ما شهد حادثاً على الطريق فقال «لقد غيّر ذلك الحادث من نظرتي للأمور»، لقد كان مسيحياً لما يزيد عن ست سنوات، وقال «لقد أدركت أن كل يوم يمكن أن يصبح آخر يوم في حياتي، لقد كان عليّ أن أضع تلك الحقيقة في ضوء سلوكي مع عائلتي، ابني وزوجتي اللذان هما أول وأهم تلميذين لي، وبدأت أسأل نفسي «هل استمتعت بابنك عندما كان الوقت متاحاً لك؟

و(ديف كروجر Dove Kruegar) الذي يعمل في هيئة دينية تم تأسيسها في (لوثر فيل) بميريلاند يطلق عليها لقب Search Ministries، وهو نوع من التبشير والكرازة بالإنجيل، يعتمد على أسلوب حياة معين، وهو يروي اختباراً مماثلاً. قال «مات أبي فجأة، وذهبت لمنزله وأثناء البحث في الأشياء التي تركها نزلت إلى البدروم، وكان والدي صياداً، وكان عنده بنادق صيد وبنادق عادية، وكان معتاداً على إعادة حشو هذه البنادق بالبارود بنفسه، ولم أكن أعاني ضيقاً أو اكتئاباً، فقط كنت أفحص هذه الأشياء، ووجدت رصاصة كان قد أعاد حشوها، كما وجدت بعض الطلقات الفارغة. وقد

تكلم الله معي في ذلك الوقت، والفكرة التي تواردت على خاطري هي أن كل قرار أتخذه يجب أن يكون كالطلقة الحية وليس كالعبوة الفارغة». وقد اضطر (كروجر) أن يسأل أسئلة صعبة «ما هي إرادة الله بالنسبة لي؟ لماذا أفعل ما أفعله؟». «علينا أن نسأل هذه الأسئلة باستمرار، وما نقرره في النهاية لا يدفعنا إلى التوتر بل العمل».

المشغولية بالوقت

من السهل أن تصبح مشغولاً بالوقت، فكل لحظة قد تكون هي الأخيرة، وعليك أن تجعلها ذات فائدة! ولكنك في نفس الوقت لا يمكنك أن تفعل شيئاً، فإذا تعلقت بلحظة يائسة لكي تحقق كل شيء الآن يمكن أن تصبح ظاهرة مَرَضية.

أشارت إحدى المقالات في صحيفة الـ(وول ستريت) أن كثيراً من رجال الأعمال الصغار الذين يؤسسون أعمالهم التجارية كثيراً ما يترددون في كيفية استغلال الوقت. في مقابلة مع جون هرشتيك (John Hirschtick) رئيس شركة مباني ورئيس شركة كمبيوتر بكامبردج ماساشوستيس، قال: «إذا شاهدت التليفزيون أشعر أني أريد أن أشاهد ٤ قنوات في وقت واحد، حيث أستبدل قناة بأخرى طوال الوقت، وإذا كان لديّ ٣ ساعات بلا عمل صباح يوم الأحد فإني أود أن أنجز الكثير من المهام، ولا أستطيع أن أنام حسبما كنت أفعل في الماضي». إنه يعمل من ٧٠ إلى ٨٠ ساعة أسبوعياً.

ليس طريق الله

ولكن هل الله خلق الوقت لنا لنصبح مشغولين به لدرجة المرض، إذ نميل لملء جدولنا اليومي بطريقة تجعلنا ننفجر في النهاية؟ لا أعتقد ذلك. كيف يمكن تجنّب هذا الشر؟ إننا بحاجة لنظرة شاملة، لننظر من أعلى لطريق الحياة الضيق، ونرى النهاية التي نريد أن نصل إليها. قال مارتن لوثر «لا يوجد في تقويمي سوى يومين: اليوم وذلك اليوم»، وذلك اليوم له اتصال مباشر باليوم، فما لم تكن لدينا النظرة الممتدة لنعرف حقيقة ذلك اليوم- يوم الدينونة وكرسي المسيح- لن يمكننا أن نكون تحت تأثير الروح، ولن نعيش مصحوبين بقوته، فهو لن يوجه إلا الشيء المتحرك، ولا يأخذه إلى مكان ما ما لم يكن هناك مكان يريد الذهاب إليه. وأعتقد أن هذا هو فكر يسوع في لوقا ٩:٦٢ «لا أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله».

إنه صورة رائعة للوقت في ملكوت الله، فالحياة تشبه رجلاً يقود محراثاً في حقل، كيف يمكنه أن يسيطر على ذلك المحراث ويقوده. فهذا يعتمد على خبرته ومهارته كفلاح، ولكن عمل أخدود مستقيم- أي استخدام حياتك لإرضاء الله- يتطلب المزيد. ما هو؟ أن يكون لك هدف وغاية، وشيء تتطلع إليه. ونحن نصبح أشبه ما يكون بمنبوذين يتجولون في أرض مليئة بالمستنقعات بلا أمل في الحصول على مأوى أو مسكن، ولكن الأهداف هي التي تحفز وتنشط.

رجل المحراث

لكي يستطيع رجل المحراث أن يعمل أخاديد مستقيمة في حقله فهو يحتاج لعدة أشياء تساعده، وفي الأفكار الآتية نرى بعض المباديء الهامة فيما يختص بتحديد الأهداف واستخداماتها في حياتنا:

١- ***هدف واضح:*** فهو يثبّت عينيه على شيء معين، أو هدف في نهاية الثلمة أو الأخدود، ثم يتحرك نحوه وهو يقود المحراث خلف ثور أو بغل. فلو نظر إلى أسفل أو إلى الخلف فلن يستطيع أن يتجنب التواء أو انثناء الخط المستقيم للثلمة، والثلمات المستقيمة تجعل من الحقل حقلاً مرتباً ومنتجاً. إذن فالاستقامة أمر في غاية الأهمية، ويساعدنا في ذلك تحديد هدف نتحرك نحوه.

٢- ***التركيز:*** لكي نحفر ثلمة مستقيمة فعلى رجل المحراث أن يركّز في عمله، فهو يثبت هذه النقطة بعيداً في نهاية الحقل في ذهنه، ويندفع نحو هذه النقطة وهو موحّد الفكر لا ينظر حوله أو للخلف ولا يفكر في موضوع آخر، إنه في حالة تركيز موحّد ، فكل عضلة فيه تتحرك استجابة للغرض الماثل أمامه، وذهنه لا يتجول هنا وهناك، ولا تعتريه أحلام اليقظة، إنه يتحرك نحو هدفه بدقة وإحساس مرهف، ولن يهتز.

٣- ***السيطرة:*** يحتاج رجل المحراث إلى أن تكون يده ثابتة على المحراث، وإذ يحرث فعليه أن يحترس من ذبابة الخيل التي على كتفه، وذلك الحجر الذي في طريقه، ورغبة الحيوان الذي يقوده في أن يتوقف ويرفض أن

يتحرك، وينتبه لليأس والإحباط الذي يمكن أن يعتريه هو شخصياً. وكل ذلك بدون أن تتزحزح عينيه عن هدفه، عليه أن يكون حذراً دون أن يفقد المرونة الكافية.

٤- ***المثابرة:*** وهي أهم ما في الموضوع، فعلى رجل المحراث أن يواصل العمل وينجز المهمة. وقد عبّر بولس عن تلك الفكرة في رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس (٤:٧) «قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان». لقد ثبت هناك وأعطى كل ما عنده، وواصل البرنامج، ولم يستسلم إلى الكسل مطلقاً.

٥- ***مسافة قصيرة:*** إن رجل المحراث لا يحرث من كندا إلى المكسيك، كلا إنها مسافة قصيرة ومحسوبة ومتوقعة، إنها طويلة بالدرجة الكافية لأن تتطلب إيماناً، ولكنها قصيرة بما فيه الكفاية أيضاً لأن تؤمن أنك يمكن أن تتممها بعون الله.

٦- ***المكافأة:*** عندما يصل الحرّاث لهدفه أو يستدير ليعمل عملاً آخر، فإن له مكافأة، لقد انتهى من عمل أخدود مستقيم، ويمكنه للحظة أن يحتفل بذلك، ويشكر ويبتهج، ثم يستطيع مواصلة العمل بعد ذلك.

حرث أخدود مستقيم

برغم كل ضغوط الحياة العصرية هناك طريقة لحرث أخدود مستقيم فليكن هدفك هدفاً واضحاً، ولتركّز ولتكن متحكّماً ومثابراً، ولتسر مسافة

محسوبة ثم انظر للخلف، لقد أنجزت شيئاً وبسرعة! تلك هي فائدة الأهداف لنا نحن المسيحيين، فوجود الأهداف يساعدنا لوضع الأولويات التي تمكّننا في النهاية من التحكّم في وقتنا تحت سلطان الروح القدس.

كتب دكتور (آري كييف Ari Kiev) من المركز الطبي (بكورنيل): «من ملاحظة حياة الناس الذين تغلبوا على الشدائد والمحن لاحظت مراراً أنهم وضعوا نصب أعينهم أهدافاً، وبرغم العراقيل فقد سعوا بكل مجهوداتهم لتحقيقها، فمن لحظة أن وضعوها هدفاً أمامهم تراهم قد قرروا أن يركّزوا كل طاقاتهم على هدف محدد، وبدأوا في تخطّي كل الصعاب التي أمامهم».

أهداف شخصية

أتذكر أستاذاً في كلية اللاهوت كان يحثّنا أن ندوّن أهدافنا ونرجع إليها يومياً، في ذلك الوقت كانت الفكرة مدهشة لدرجة أنها كانت تأخذ بمجامع ألبابنا، ولكنني لم أمض فيها قدماً. وبعد سنين أخرى، وبقليل من النضج بدأت أرى جمال وقوة مثل هذه العملية، فكتبت قائمة بالأهداف- أشياء أردت أن أحققها في حياتي على الأرض، ووضعتها في جيبي، وبين آن وآخر أخرجها وأقرأها ثم أصلي قليلاً، ومن وقت لآخر أكتشف أنني حققت هدفاً، وكان هذا سبباً لتقديم الحمد، وأحياناً كنت أجد أن ما كان هدفاً هاماً لم يعد كذلك فألقيه جانباً، وفي حالات أخرى أكتشف أن هدفي كان صغيراً جداً، ولذا أعيد كتابته لأجعله أكبر.

والاحتفاظ بهذه الأهداف في جيبي يجعلها في بؤرة الشعور، فأفكر فيها دائماً وفي كيفية الوصول إليها، وما أحتاجه اليوم أن أواصل السير في هذا الاتجاه.

أهدافك أو ..؟

ولكن إذا كنت تضع مجرد أهداف شخصية في القائمة لا صلة لها بالله وملكوته، فأنت ترتكب خطأ، فهذا أشبه ما يكون بكسب معركة واحدة وخسارة الحرب بأكملها.

وكما ناقشنا الأمر في الفصل الذي يتحدث عن أهداف الله، فالنظرة الشاملة تعني التأمل في خطته للعالم كما هي معلنة في الكتاب المقدس، ثم إخضاع أهدافنا وخططنا لها، ويتحدث سفر الأمثال عن تلك العملية فيقول: «ألق علي الرب أعمالك فتثبت أفكارك» (امثال١٦:٣).

قال أحدهم «إن غرض الحياة الأساسي أن تستثمر فيها شيئاً يبقى بعد انتهاء الحياة»، وهذه هي عملية اختيار الأهداف لحياتك عندما تكون مستندة على خطّة الله وبرنامجه، فعندما نخضع خططنا لخطّة الرب، سوف نضمن أننا سوف نصل إليها، فالله نفسه كفيل بها!

إن تحديد أهدافك يسمح لك بأن تفعل ما هو مهم، وليس فقط الشيء الذي أمامك، ويجب عليك أن تفعل ذلك إذا أردت أن تستأصل السرعة والاندفاع من حياتك، فإن هذا ليس بالأمر الصعب. كل ما عليك أن تأخذ ورقة جديدة وتكتب عليها ما تود أن تكون عليه في عشر سنوات أو

عشرين سنة أو ثلاثين سنة. ما الذي تريد أن يكافئك الرب عليه عندما يأتي في مجده؟ اجعل هذه الأهداف محددة، ومحسوبة (أي واضحة المعالم بالدرجة الكافية لكي تراها عندما تصل إليها)، اجعلها ممكنة، ولكن عن طريق الإيمان فقط. أي أن تكون صغيرة بدرجة تكفي لأن تعتقد أنه يمكنك الوصول إليها، وكبيرة لدرجة أنك تعرف أنه يمكن أن تصل إليها فقط بمعونة الله.

تأمل في كل الجوانب: الحياة الشخصية والعمل والكنيسة والمجتمع والعائلة، ووضّح الأهداف تحت كل عنوان، ثم احتفظ بهذه الأهداف في جيبك، وارجع إليها يومياً، صلّ من خلالها، وغيّرها حسبما تدعو الحاجة.

أدخل الأهداف في حياتك اليومية

كيف يمكنك إذن أن تدخل أهدافك في ظروف الحياة اليومية؟ دعني أقدم لك بعض الأفكار:

١ - *خطط جيداً في المقدمة:*

استخدم تقويماً، أدخل أهدافك في التقويم. يكتب (جوردون مكدونالد) في (تنظيم عالمك الخاص) قائلاً: «لقد تعلّمت من خلال اتّباع المنهج الصعب أن تكون العناصر الأساسية في ميزانية وقتي في التقويم قبل موعدها بثمانية أسابيع»، ثمانية اسابيع! «ما الذي أضعه في تقويمي؟ تلك العناصر

غير القابلة للتفاوض في عالمي الخاص: التوقيتات الروحية والفعلية ويوم الراحة، وبالطبع التزاماتي العائلية وصداقاتي الخاصة. ثم قائمة أخرى من الأولويات سوف تدخل في التقويم: جدول العمل الرئيسي الذي التزمت به، دراسة العظة والكتابة وتطور القيادة والتلمذة، وبقدر الإمكان أن أضع كل ذلك في التقويم لأسابيع كثيرة مقدماً قبل الأسبوع الذي أهدف إليه، لأنه كلما اقتربت من ذلك الأسبوع أكتشف أن الناس تأتي إليّ لأخذ مواعيد وبعضهم تكون له مطالب مشروعة ويأمل أن أوفر لهم وقتاً، ولكن بعضهم لهم مطالب غير مناسبة، ويرجونني أن أعطيهم أمسية كنت قد خصصتها للعائلة، أو يطلبون ساعة في الصباح تكون محجوزة للدراسة. فكم يكون عالمي الخاص أفضل عندما يسير عملي بموجب الأولويات الموضوعة في مسارها الصحيح وليس على خلاف ذلك.

فعندما يتزاحم الناس ويطلبون وقتك يمكنك دائماً أن تخرج تقويمك لتقول لهم: «إني آسف، لقد رتبت كل مواعيدي»، فهم عادة ينسحبون أو يطالبون بمواعيد أخرى.

٢- *لا تسرع الخطو، وليكن لك هدف تحققه في الأوقات الخاطفة* : لاحظ المؤلف (جون ارسكين John Erskine) أنه تعلم في سن الرابعة عشرة من العمر درساً قيّماً من مدرس البيانو، فقد أخبر مدرسّه أنه كان يتدرب لمدة ساعة أو أكثر في وقت واحد، فأجابه المدرس: «لا تفعل ذلك، فعندما تكبر لن تجد متسعاً من الوقت لتفعل هذا، تدرب لمدة دقائق طالما تجد وقتاً لتفعل ذلك- خمس أو عشر دقائق قبل المدرسة أو بعد الغداء أو في فترات الراحة أثناء العمل، مارس التدريب على مدار النهار وسوف تصبح الموسيقى جزءاً

لا يتجزأ من حياتك».

وقد مارس (أرسكين) هذا طوال حياته وكتب (هيلين طروادة Helen of Tory) أشهر كتاب له أثناء ركوبه للسيارات من وإلى عمله في الجامعة. وإنني شخصياً وجدت أن هذه طريقة لا يمكن الاستغناء عنها، وكان من ضمن أهدافي حفظ الكتاب المقدس عن ظهر قلب، وقد استطعت أن أحفظ الكثير من الأسفار في العهد الجديد أثناء فسحة الـ١٥ دقيقة المخصصة لتناول القهوة وأثناء ساعة الغداء، إن إتمام ذلك في فترات قليلة لا يجعل هذا العمل ممتعاً فقط بل يحدث تغييراً في إيقاع الخطو الذي طالما أهدف إليه.

٣- ***تعلم أن تأخذ فترات راحة :*** يكتب (ادوين سي بليس Edwin c. Bliss) قائلاً: «أن تعمل لفترات طويلة دون أن تأخذ راحة فالطاقة تتناقص، والضجر يحل والإجهاد البدني والتوتر يتراكم، فالانتقال لبضع دقائق لشيء مادي- كتمرينات رياضية متجانسة والسير حول المكتب أو مجرد التغيير من الوضع جالساً إلى الوضع واقفاً لفترة وجيزة يمكن أن يبعث على الراحة. «فالراحة عادة أفضل علاج، فأنت لا يجب أن تفكر في فترة «الراحة» وكأنك تسيء استخدام الوقت المخصص لها، فأن تشعر بالانتعاش، فهذا سوف يزيد من كفاءتك، ولكن إزالة التوتر سوف يفيد صحتك».

٤- ***أبعد المنغصات:*** إن المنغصات يمكن أن تفسد وضع الأهداف وتحقيقها، فعندما يقتحم أحد المواقف حياتك يومياً أو أسبوعياً فإن أفضل شيء تعمله أحياناً هو أن تبعده أو تكتشف وسيلة للالتفاف حوله.

ففي كتابه «التنظيم» يقول ستيفاني ونستون «إن إقصاء أو تحسين شكل المنغصات المنتظمة، والإهانات البسيطة التي تؤثر على حياتك، يمكن أن تحقق نتائج هامة، فعلى سبيل المثال فإن المسيرة اليومية الكئيبة إلى العمل في أرض جرداء بأحد المناطق الصناعية قد تكون مقبضة، والوقوف في طابور قد يكون رحلة تعذيب يومية للكثيرين، خذ بضع دقائق لتحلل هذه المنغصات التي تنغص عليك يومك ثم راجع جدولك أو بيئتك بكل الطرق الممكنة حتى تخفّف على الأقل من تأثيراتها».

فإذا كان ضياع الوقت بالنسبة لك هو الوقوف في طوابير بدّد هذه الغيمة باستخدامها لتحقيق أهداف أخرى، كالصلاة وحفظ آيات من الكتاب المقدس أو حتى قراءة كتاب، فإذا كان أحد أهدافك أن تقرأ كتاب (تشارلس هودج) (اللاهوت النظامي) قد يكون من الصعب أن يثيرك شيء في وقت الفراغ، فماذا عن قضاء بعض الوقت في الحافلة أو أثناء الفسحة لتناول القهوة، أو في الحمّام؟ إن ذلك يمكن أن يجعل وقتك نافعاً ومثمراً.

٥- ***استخدام كلمة لا*** :إنها كلمة قصيرة، إنها ليست دائماً جميلة فور استعمالها. ولكن بعد أن تكون قد استخدمتها فسوف تجدها تحمل بريقاً أخّاذاً، وسوف تعينك على أن تتحرك بذهن صاف نحو نهاية الطريق.

فكرة مفيدة

اصرف بعض الوقت في الصلاة والتأمل واسأل نفسك: ما الذي أريد أن أفعله بحياتي؟ ما الذي أريد أن أتممه؟ اكتب على الأقل شيئاً واحداً خاصاً بكل نشاط رئيسي وكل علاقة اندمجت فيها .

[١٨]
الإنتاجية أم البشر؟

«من الأشياء التي تأتي في قمة الأولويات: الله وقريبي، وهما ليسا متعاقبين، إن ذلك لا يعني أن أحب الله مدة معينة من الوقت وبدرجة معينة ثم بعدئذ محبة قريبي، بل يعني محبة الله ومحبة قريبي، كلاهما معاً: فالمسيح يقول: «ضع الله أولاً» وهو يقول أيضاً «ضع قريبك أولاً»

(ج جرانت هوارد Grant Howard «موازنة مطالب الحياة»)

هناك حادثة وقعت لي منذ أن كنت في الكلية أوضحت لي ما هو المهم حقاً، فقد ذهبت أنا وأصدقائي للتزحلق على الجليد في الشتاء في بنسلفانيا، وفي الطريق بدأ الثلج ينزل وسرعان ما اكتست الطرق بعباءة بيضاء. وكنت أقود سيارتي البيضاء بسرعة وأنا أشعر بشيء من العصبية ولكني كنت أريد أن أصل إلى منطقة التزلج بأقصى سرعة، وعند أحد المنحنيات كانت أمامنا سيارة زرقاء تتجه يساراً، ولما كانت المسافة التي تفصلنا تزيد على المائة ياردة لم أبطيء، لقد كنا نتجه بسرعة ٤٥ ميلاً في الساعة تقريباً، وهي سرعة تزيد عن السرعة المقررة في أحوال نزول الثلج. ولم أقلل من السرعة ولكني كنت ألقي باللائمة على ذلك الشاب الأبله الذي يدلف يساراً، وعندما بلغت المسافة بيننا ٥٠ ياردة لم يكن قد انتهى من اتجاهه يساراً، فقال أخي «يستحسن أن تبطيء السرعة يا مارك». فأجبته «ليست هناك مشكلة، لا أحد يأتي، إنه سوف ينتهي من الدوران قريباً. ولما

لم ينته من ذلك، اضطررت للفرملة بسرعة واصطدمت بمؤخرة سيارته، وانتهى الأمر بدفع ..٣٠ دولار ثمناً لحاجز الاصطدام الذي كسر في سيارته وقد فقدت السيارة الزرقاء أيضاً الإضاءة الخلفية.

وعندما ذهبت لمركز خدمة السيارات طلبت والدي في التليفون وقلت له عما حدث، فسألني على الفور: «هل الجميع بخير؟».

وكل ما كان يشغل بالي هو السيارة، فقلت له:« إنها بحالة سيئة يا والدي، فحاجز الاصطدام قد حدث له التواء كامل، والمصباح الذي على اليسار قد كُسر تماماً و...».

فقاطعني والدي «يا مارك، هل كل واحد على ما يرام؟»

فتلعثمت وقلت «إن الشاب الذي في مركز الخدمة يقول إن المبلغ قد يصل إلى ثلثمائة أو أربعمائة دولار يا والدي، من أين لي بهذا المبلغ؟»

فتدخل والدي ثانية قائلاً:«هل كل واحد بخير؟».

فتوقفت وفكرت ثم قلت له «بالطبع الجميع بخير».

فأجابني «إذن لا تقلق بشأن السيارة، فالسيارات يمكن أن تصلح، ولكن الناس أحياناً لا يمكن أن تعود إلى ما كانت عليه».

ولم أفهم ما قاله لي حقاً حتى بلغت الثلاثين من العمر.

ما أهمية الناس بالنسبة لك؟ وما أهمية إنتاجية الناس بالنسبة لك؟ وأيهما أكثر أهمية:

١- معرفة حالة الاقتصاد وقراءة صفحة الرياضة وحل مسألة الحساب مع

ابنك.

٢- إعطاء ١٠٪ من دخلك للكنيسة، ومناقشة ابنتك في رغبتها أن تأخذ مبلغاً أكبر من المال، ودفع الفواتير في أوقاتها.

٣- مشاهدة العرض الفني الذي تفضله، ومشاهدة ما تفضله زوجتك أيضاً، والذهاب للفراش مبكراً لمجرد الحديث.

٤- قراءة الكتاب المقدس وتطبيق مبادئ الكتاب على حياتك، ومناقشة حياتك الروحية مع زوجتك والصلاة لأجل ذلك.

٥- قطع النجيل الأخضر في حديقتك في ساعة من الزمن أو جعل ابنك البالغ ست سنوات يحاول أن يفعل ذلك في ساعة من الزمن، ثم تقوم أنت بعمل نفس الشئ في الساعة التالية أو قطع النجيل في ساعتين بمساعدة ابنك البالغ من العمر ست سنوات.

٦- القيام بفرز الملابس المغسولة لوحدك أو فرز الغسيل بمساعدة حفيدتك البالغة من العمر ثمان سنوات، أو حرق الغسيل وشراء ملابس جديدة (مع حفيدتك).

حسناً لقد كانت عباراتي غريبة شيئاً ما في الجزء الأخير، ولكن فكّر في الأمر بجدية، أيهما أكثر أهمية- الإنتاجية (الانتهاء من أداء العمل بأكفأ وسيلة وبأقل مدة ممكنة مع الحصول على أعظم النتائج) أم البشر (أداء المهمة مع طفل أو صديق والانتهاء منها أو إنهاء نصفها فقط أو عدم الانتهاء منها أو الاضطرار للقيام بها من جديد للمرة الثالثة بسبب ما حدث من فوضى واضطراب في المرتين السابقتين)؟

الإجابة ليست سهلة

ليس من السهل أن تجد إجابة، فمنذ الثورة الصناعية التي حدثت في القرن التاسع عشر والإنسان قد تعلّم أن الإنتاج الكفء والمقتصد في التكاليف يسبب ربحاً سريعاً، وبالتعود يمكنك أن تفعل كثيراً من الخير لنفسك وللآخرين. ولكن بالممارسة العملية قد اكتشفنا أن المنافسة العنيفة في السوق لا تجعل الناس يتخلّفون فقط بل تسحقهم في التراب أيضاً.فنحن «ندوس» بعضاً، ويطعن كل منا الآخر من الخلف، فالواحد منا يضع الآخر تحته ويدوس عليه، إنها ليست دائماً بالصورة الجميلة.

إن يسوع قد جعل الأولويات الإلهية الخاصة بالبشر واضحة تماماً، فلو قرأت العبارة التي قالها في (متى ٢٢:٣٧-٣٩) عن «الوصية العظمي» فقد تخرج منها بانطباع أن الله يأتي أولاً والناس ثانياً، ولكن (ج جرانت هوارد) يقدم استنتاجاً مختلفاً على أساس كلمات يسوع «والثانية مثلها» ما الذي تعلمنا إياه هذه الفقرة عن الأولويات؟ لديّ اثنان: الله وقريبي، إنهما ليسا متعاقبين، وليس المقصود أن نحب الله لمدة محددة وبدرجة معينة ثم أحب قريبي بعد ذلك، إن القصد أن أحب الله وأحب قريبي، وأن أفعلهما معاً، فالمسيح يقول «ضع الله أولاً» وهو يقول أيضاً «ضع قريبك أولاً» والمسيح يقول «أعط لله الأولوية المطلقة» وهو أيضاً يقول «أعط لقريبك الأولوية المطلقة». « فمن مسئوليتي أن أحب الله وفي نفس الوقت أن أحب أقربائي» أليس من المطمئن أن الإنتاجية لا تطرأ علي فكر يسوع مطلقاً؟

فالعبارة لا تقول «تحب الرب إلهك من كل قلبك ونفسك وفكرك، وأن تفعل الكثير لأجله وتحب قريبك كنفسك منتجاً أقصى ما يمكن في أقصر وقت ممكن». ومع ذلك فعند النظر لمجتمع الاندفاع والهرولة اليوم قد نظن أن الإنتاجية تأتي في المقام الأول. فنحن نعمل لمدة خمسين أو ستين أو سبعين ساعة أسبوعياً، وبعد ذلك نسرع إلى المنتجع أو النادي أو الملعب لنحتفظ برشاقة أبداننا، ثم... على الأولاد أن يشتركوا في فريق السباحة أو الباليه، أو يشتركوا في دورة الشطرنج، أو يلعبوا في فريق مدرسة الأحد أو يتسابقوا مع أقرانهم ويحصلوا على أفضل الدرجات ثم..

علينا في يوم الأحد أن نقطع النجيل ونزيل الحشائش وننظف المطبخ ونزرع الورد، ونأخذ جولة في لعبة التنس، أو غطسة في حمام السباحة، أو نقرأ النشرة الجوية عن حرارة الصيف، إذ نطبخ الأكل في العراء، أو نغيّر فيلماً أو اثنين من أفلام الفيديو، ونقرأ الجريدة قبل النوم وأخيراً فلنقرأ أعداداً قليلة من الكتاب المقدس قبل يوم الأحد عندما.. نسرع إلى مدرسة الأحد ونصل متأخرين لمدة عشر دقائق، ونتعهد أن نكون في الميعاد الأحد القادم، ونسرع أثناء درس مدرسة الأحد، ونجلس أثناء خدمة الأحد في الكنيسة ونرنّم في الجوقة الموسيقية ثم ندوّن بعض الملاحظات في لوحة النشرات، ونضع علامة في كتبنا المقدسة، ونحشد المذكرات في الورقة البيضاء في آخر الكتاب، ونفكر في شيء طريف نقوله للراعي في طريقنا للخروج، ونقرأ وقائع اللجنة في صندوق بريد الكنيسة، ونسرع في قراءة البريد الآخر، ونستمع إلى الشماس (بيل) يحكي لنا عن برنامج الكرازة الجديد الذي يجب أن نشارك فيه، ثم نتخذ قراراً عما إذا كانت (سالي)

يمكنها أن تذهب إلى حفلة الشاي، ثم نسرع لنخلع أردية الجوقة، ونبحث عن السيارة وننتظر حتى نجد مكاناً للخروج، ونسرع للمنزل، ونقرأ جريدة يوم الأحد، ونتصفح في أحد الكتيبات عن رابطة التلمذة لهذه الليلة، ونصنع العشاء، ونأكل العشاء، ثم نأخذ وقتاً عائلياً طيباً.

آه لقد تعبت! وغداً نبدأ في أن نمكث بالمكتب طيلة عشر ساعات ثم يا له من شيء محزن، هل قام أحد بإطعام القطة؟

هل هناك مكان للبشر في جداولنا اليومية؟ «آه، أنت تقول، إنهم هناك، في كل مكان».

أوه، وماذا قيل؟ وما الذي تم؟ هل تتذكر؟ وهل تهتم بأن تتذكر؟ وهل تتذكر أن تهتم بأن تتذكر؟

حسناً إني أتحول إلى إنسان بغيض ولكن..

إني أقر بذلك، ولكن دعني أقدم قليلاً من الأفكار عما يكتشفه المسيحيون عن بعض الناس.

كسب الأصدقاء يتطلب وقتاً

أخبرني (جيري سويني Jeri Sweany) قائلاً: «كلما كبرت في السن وأصبحت أكثر حكمة عن ذي قبل كلما أدركت أنه لا يمكن أن يكون لديك

متسع من الوقت لتفعل كل ما تريد أن تفعله، فالشئ المهم أن تفعل أفضل ما يمكنك أن تعمله في الوقت الذي أعطاك الله إياه. في العام الماضي فقط أدركت مدى أهمية الصلات مع الآخرين كما أدركت أن تكوين هذه الصداقات يتطلب وقتاً.

فهم أماكن تواجد الناس وما يفكرون فيه يتطلب وقتاً

هذه الكلمات في مقال من مجلة Fortune عنوانه «كيف يدبّر المديرون التنفيذيون للشركات وقتهم»، وهي كلمات مفيدة للغاية: إن المدير التنفيذي الجيد، قد يتجول في القاعة في طريقه إلى أحد الاجتماعات ولا يتجه إلى مكان الاجتماع مباشرة، فهو يذهب هنا وهناك لمدة دقيقتين ثم يتحدث مع شخص آخر لمدة ٥ دقائق ثم يسرع عبر الصالة ليلحق بشخص آخر دقيقة أخرى، وأخيراً يصل للاجتماع المقرر بعد مضي ٢٠ دقيقة على موعد بدء الاجتماع. إن القائمين على تدبير الوقت قد يفغرون أفواههم دهشة، ولكن ما يحدث هو هذا: «بتجمّع المؤثرات والدوافع لديه طوال النهار، فإن إدراكه الواضح لما تريد أن تصل إليه الشركة يمكّنه أن يكون كفؤاً وعلى درجة عالية في اختيار ما يتفاعل معه وما يتجاهله».

أن تعظ الناس بكفاءة فهذا يتطلب وقتاً

أمضى يسوع ثلاث سنوات في تعليم ١٢ رجلاً مع التفرغ لهم، وكان ذلك كل يوم فكان يشاركهم في المعيشة والأكل والنوم والسير معاً. واليوم

فإننا نقوم بإعداد لوحات لتبين كيف يمكن تجديد ٤ بليون شخص في عشرين سنة باكتساب تلميذ جديد للمسيح كل ٦ أشهر بمقابلته مرة في الأسبوع لمدة ساعة أو اثنين، فعلى من نضحك يا ترى؟

اخبرتني (ايلين ميريل) عن الأنشطة الخاصة الهامة لديها، وقد قامت بتدوين ثلاثة منها فكتبت تقول:

١- الشباب في سن المراهقة

الاهتمام بهم في العمل الفردي والعمل الجماعي ومدرسة الأحد، وكثير منهم قد شارف الآن على سن العشرين، ومع ذلك فعدد قليل منهم ما زلت أعرفه وأتصل به تليفونياً وأقوم بزيارته والصلاة من أجله. لماذا أشعر بالمسئولية تجاههم؟ إنني أتذكر سنوات المراهقة في حياتي، لم أكن أعرف يسوع، وقد أرتكبت بعض الأخطاء الغبية لم يستطع سوى يسوع أن يزيل آثار الألم الناتج عنها، وأريد أن أكون هنا من أجلهم لأقدّم يسوع لهم.

٢- التطوع للقيام بالأعمال الصعبة في المدرسة والكنيسة. لماذا؟

لأن الناس أحياناً تكون مشغولة جداً، وقد أعطاني الله الصحة لأخدمهم.

٣- الأصدقاء أريدهم أن يعرفوا يسوع. ما النتيجة؟

«أحياناً لا أجد الوقت لتنظيف السجادة، وأحياناً نأكل طعاماً سريعاً بطريقة (الميكروويف) بدلاً من الطهي في المنزل. إن ذلك يضايقني أحياناً». ولكن لا داعي لذلك، فهذه السيدة تكنز كنزاً في السماء- مستثمرة وقتها

في شيء مردوده في السماء، وهم البشر.

كيف تعطي الناس وقتاً؟

كيف يمكن إذن أن تتخلى عن جهاز الإنتاجية الروتيني الممل، وتبدأ في محبة البشر؟ هناك عدة أفكار:

١ - *تعلّم أن تشرك عائلتك والآخرين في ما تفعله*

يقول (مايكل جرين دالاس) بكلية اللاهوت:«إني أحاول أن آخذ عائلتي معي عندما أخرج لأعظ، فلو أردت أن أشذب أوراق الشجر أطلب من ابنتي البالغة من العمر ست سنوات أن تساعدني، إن ذلك يستغرق ضعف المدّة التي كنت سأستغرقها لوحدي، ولكننا نجد متعة في تشذيب الأوراق. إن هدفي ليس فقط الإنتاجية (تشذيب الأوراق) ولكن البشر أيضاً هم هدفي. «لتكوين صلة مع ابنتي».

«يوماً ما عندما كنا نشذب النجيل، وقع مسمار من الآلة التي أستخدمها وكان عليّ أن أثبته، وقد صليّت أنا وابنتي لأجل ذلك، ثم استطعنا تثبيته، لقد رأت ابنتي فعل الصلاة».

«لو كانت زوجتي تقوم بعمل بعض الفطائر فإنها تدع ابنتها تساعدها، إنها تستغرق وقتاً أطول، ولكن هدف زوجتي ليس فقط أن تعمل الفطائر بل أن توّطد العلاقة مع ابنتها». ويقدم (مايكل) مبدأ يجب أن نلتفت إليه

كلنا: «إن الهدف من استغلال الوقت ليس الإنتاجية بل بناء علاقات وصلات لبنيان ملكوت الله».

٢- حاول الحدّ من الأنشطة الأخرى

دكتور (فرانك منيرث Frank Minirth) الطبيب النفسي المشهور والمؤلف، شرح لي ذلك بالقول «إن أهم مبدأ أن تحد من عدد الأشياء التي تعملها، إني أخصص معظم وقتي لأسرتي ثم لخدمتي التي هي أيضاً عملي، وكل شيء تقريباً أفعله يشمل أسرتي».

ثم أضاف «إن حياة البشر في خطر حقيقي، ولذا فكثير من الناس يأتون إلينا لأن والديهم ليس عندهم وقت لإنشاء علاقة صحية معهم، ولذا فإن شرخاً قد حدث في حياتهم، فمن المهم أن نخدم عائلاتنا أولاً ثم الكنيسة».

٣- شجع كنيستك للقيام بجهود واعٍ للحدّ من عدد الاجتماعات التي تعقدها:

أخبرني (برنت برووكسBrent Brooks) قائلاً:« كل شيء في ثقافتنا يفرق بين العائلة والناس، والكنيسة تضع كل منها في مجموعة مختلفة عن الآخر، ففي الكنيسة التي أنتمي إليها قمنا بالحدّ من عدد الاجتماعات حتى يمكن للناس أن يخدموا بحق، دع الناس يختارون من هم في موقع الأحداث بدلاً من عمل لجنة للقيام بذلك، ثق بالقادة، ودعهم يقومون بالقيادة. شجع الاجتماعات لتخرج إلى المجتمع، فلا يضطر الناس للاجتماع في الكنيسة طوال الوقت ولكن في منازلهم.

لدينا ثلاثة اجتماعات للنساء لدراسة الكتاب المقدس، القصد منها

القيام بالكرازة لأن النساء لديهن وقت كاف، فهن غير مشتركات في الأنشطة الكنسية المرهقة، فلديهن وقت للتركيز على الوصول لجيرانهم.

«فالناس تشعر بالإثارة والابتهاج لاستطاعتهم القيام بالخدمة بأنفسهم. منذ عشرين سنة عانى أحد الآباء من الوحدة، والآن هو يؤدي خدمة ممتازة للآباء الوحيدين لأنه قد سبق له أن تدرّب وعنده الوقت والرغبة للخدمة.

«إن الأمر يسير هكذا ، فنظامنا يسمح للناس بوقت يقضونه مع عائلاتهم في ليالي الآحاد والوصول إلى جيرانهم وإنشاء صداقات وتقديم خدمة حقيقية، كل منهم للآخر».

وأضاف جيم ديثمر قائلاً: «في الكنيسة العادية اليوم تجد أمامك العديد جداً من الخدمات لدرجة أنه ليس لديك فرصة لتكوين صداقات وعلاقات حقيقية، لقد قررنا أن نعمل على أساس خدمة أساسية واحدة في الأسبوع ثم نتقابل في مجموعات صغيرة في مواعيد تناسب المجموعة».

كيف تم تنفيذ ذلك؟

لقد استجاب الناس بصورة إيجابية، وقد عبّر الكثيرون عن تقديرهم لي على تأكيدنا لتكوين صداقات أكثر من اهتمامنا بالاجتماعات، فالناس تمد يدها الآن بالمساعدة لجيرانهم، لقد أصبح عندهم الوقت الآن.

«هناك مثل على أهمية إنشاء العلاقات وهو يتعلق بشيء قمت به أنا

وزوجتي ونحن مدينان له بالشكر، فلدينا زوج وزوجة يقيمان معنا طيلة عطلة نهاية الأسبوع، إنهما يعيشان بالقرب منا، ولكننا أردنا بناء صداقة أعمق معهما، ولذا فقد أقاما في بيتنا وقضينا معاً طيلة عطلة نهاية الأسبوع، إن هذا ينشيء ألفة حقيقية».

هذا لا يعني أن يذهب رعاة الكنائس إلى محال البيع بالجملة ويتخلصون من الاجتماعات الكنسية والخدمات، ولكن عليهم إعادة التقييم للأمور هل خدماتنا الحالية تؤدي عمل التلمذة الحقيقية؟ أي كسب الناس للمسيح؟

هل الناس تقوم بالخدمة في المجتمع؟ وكل واحد منهم للآخر؟ أم هل هم محبطون؟ يائسون؟ هائمون على وجوههم؟

إن أية خيارات يفضلونها سوف تبقى معهم حتى الأبدية.

فكرة مفيدة

اسأل زوجتك واسألي زوجك وأطفالك، وأفضل أصدقائك عن شعورهم تجاه نظام حياتك السريع الإيقاع.ما الخطوات التي يمكن أن تتخذها الآن لتوقف هذا الاندفاع، وتبدأ في السكون لمدة طويلة حتى تسمع الصوت الداخلي الصادر من الأعماق؟

[١٩]
راحة وقتية أم حقيقية ؟

«تذكّر أن الحياة الطويلة الحافلة بجهد ثابت ودائم ومقدس سوف تنتج من الثمار ضعف حياة قد قصرت ودمرت عن طريق مجهودات متشنجة لا طائل تحتها ، كن حذراً ووفر جهدك وقوتك واعرف متى وأين يكون المجهود عقيماً غير مجد ».

«كاترين مامفورد بوث Catherine Mumford Booth

في رسالة إلى زوجها الجنرال وليم بوث»

إن أرق الكلمات تبدأ بحرف الـ (R)

أعد الحياة لأحلامك القديمة	استرجع	Reflect	استرح	Rest
(Rekindle old Dreams)	أعد الحيوية	Revitalize	استرخ	Relax
أعد الأغنية	جدد	Renew	اصلح	Rehabitiate
Replay (the song)	أعد الشباب	Rejuvenate	انتعش	Refresh
استغرق في تذكر الأيام القديمة (Reminisce Over (old times				
تذكر Remember				
احتفل Refurbish				

ولكن في النهاية فإن تلك الكلمة الصغيرة rest (استرح) هي أفضل الكلمات، وكما قالت المرأة السوداء القديمة وهي تشرح وضع كرسيها المريح: «عندما أعمل فأنا أعمل بجد وعندما أستريح فإني أستريح باسترخاء. وقد أصاغ (جيمس م. باري) نفس الفكرة في هذا القالب:«لابد أن أحداً حذّرك من ضياع ساعاتك الذهبية، ولكن بعض هذه الساعات صارت ذهبية لأننا سمحنا لها بالضياع».

الراحة الحقيقية

ولكن ما هي الراحة حسب ما جاء في الكتاب المقدس؟

إن فكرة «الراحة» تسري في كل أرجاء الكتاب المقدس، فالله «استراح» في اليوم السابع (تكوين٢:٢) وأعطانا «يوم راحة» السبت أو اليوم السابع، وهو يتحدث عن «الراحة الروحية» التي يحصل عليها أولئك الذين سوف يطيعون (انظر عبرانيين ٣:١١).

قام (تيمل كيميل) بدراسة طريفة عن الراحة الروحية في (بيت صغير على الطريق السريع)، ومن وجهة نظره فالراحة الكتابية لها ثلاثة مكوّنات أساسية مرتبطة بحاجاتنا الشخصية. دعني أضعها أمامك في جدول صغير:

الحاجة	السؤال	الإجابة
الحب	هل أنا محبوب؟	القبول

الهدف	هل أنا ذو أهمية؟	تأكيد ذلك
الرجاء	إلى أي مكان أنا ذاهب؟	الجواب الأكيد

يقترح (كيميل) بأن الله يستجيب لحاجتنا العظمى للحب بإعطائنا قبولاً أبدياً وشاملاً في المسيح «إذن لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع» (رومية ٨:١).

ويستجيب لحاجتنا بوجود هدف لحياتنا عن طريق تأكيد ذلك بالقول:

«لأني عرفت الأفكار التي أنا مفتكر بها عنكم يقول الرب أفكار سلام لا شر لأعطيكم آخرة ورجاء» (إرميا ٢٩:١١).

وهو يلبّي حاجتنا للرجاء بأن يؤكد لنا بأنه يأخذنا إلى مكان سماوي رائع «الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح» (فيلبي١ :٦).

كيف تجد الراحة؟

كيف إذن نجد هذه الراحة؟ في وسط ثقافتنا التي خرجت من نطاق سيطرتنا ؟ يقدم لنا (كيميل) ست نصائح ثمينة:

هو يقول إن علينا **أول كل شيء أن «نحتفظ بروح المغفرة»**

فالمرارة والكراهية تعكر صفو حياتنا وتحزن أرواحنا، والغفران الحقيقي وحده يهديء النيران المشتعلة في نفوسنا «ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط

وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث. وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح» (أفسس ٤:٣١-٣٢).

ثانياً: «يجب أن نعيش حياتنا في نطاق كلمة الله»

وكلمة الله ليست مجرد مرشدنا في الحياة، إنه كتاب لا غنى عنه للحياة السليمة، ورسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس ٣:١٦-١٧ توضح ذلك جيداً «كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر. لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح».

ثالثاً: «الحياة اليومية يجب أن نحياها في ضوء الأبدية»

ضع أمامك الحقيقة الماثلة في سفر الجامعة «ختام الأمر كله. اتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كله. لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيراً أو شراً». وأيضاً ما جاء في رومية ٨:١٨ «إني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا».

رابعاً: يجب أن نعرف أن «القبول والخدمة أفضل مضاد للألم»

فكلمات يعقوب في رسالته (١:٢-٤) كلمات لا تُنسى «احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة. عالمين أن امتحان إيمانكم ينشيء صبراً وأما الصبر فليكن له عمل تام لكي تكونوا تامين وكاملين وغير ناقصين في شيء».

خامساً: «يجب أن ننظم رغباتنا»

القناعة تأتي نتيجة للنظام، فلنقتصر على ما هو ضروري للبقاء «وأما التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة، لأننا لم ندخل العالم بشيء وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء» (١تيموثاوس٦:٦-٨).

سادساً: «يجب أن نتصرف حسناً فيما يختص بمواهبنا»

يتحدث (كيميل) عن دعوتنا، وإيماننا الراسخ، وإمكانياتنا كثلاث مواهب هامة يجب أن نتصرف فيها حسناً من أجل ملكوت الله، ويتحدث بولس عنها بهذه الطريقة في (١كورنثوس ٤:١-٢): «هكذا فليحسبنا الإنسان كخدّام المسيح ووكلاء سرائر الله، ثم يسأل في الوكلاء لكي يوجد الإنسان أميناً». لقد ناقشنا بعض الشيء كل هذه الحقائق في هذا الكتاب، وتطبيقها في الحياة اليومية سوف يجلب الراحة الروحية الحقيقية إلى حياتنا.

تطبيقات أخرى

ولكن دعني أقدم لكم عدة تطبيقات أخرى بخلاف هذه تنتمي إلى الراحة التي يمكن أن نحصل عليها لنفوسنا.

١- تذكر قانون الـ٨٠/٢٠

في أثناء القيام بأبحاثي كثيراً ما عثرت على قانون (فيلفريدو باريتو Velfredo Parto) فقد كان عالماً اقتصادياً وباحثاً اجتماعياً إيطالياً من

القرن التاسع عشر،وقد اكتشف أن ٢٠٪ من الشعب الإيطالي يمتلك ٨٠٪ من الثروة، وقد أدى هذا لمزيد من الاكتشافات فيما يختص بقانون الـ ٨٠/ ٢٠، وقد ساهم (مارك بورتر) في مساعدتنا لتوضيح هذا القانون:

٨٠٪ من حجم المبيعات وارد من ٢٠٪ من خط الإنتاج.

٨٠٪ من المبيعات تأتي من ٢٠٪ من الزبائن.

٨٠٪ من جملة الإجازات المَرَضية تتركز في ٢٠٪ من الموظفين.

٨٠٪ من وقت الراعي يُقضى مع ٢٠٪ من الشعب.

٨٠٪ من التقدمة تأتي من ٢٠٪ من الأعضاء.

٨٠٪ من المعلومات المناسبة يمكن أن تذاع بـ ٢٠٪ من الكلمات

ما علاقة ذلك بالراحة؟ انتبه فقط لما يأتي:

يصرف كثير من القادة المسيحيين والعلمانيين ساعات طويلة من وقتهم في خيبة الأمل، والتهويل وتضخيم الأمور والبغضاء أيضاً بشأن ...

* كل أولئك الذين في الكنيسة (أو العائلة أو مكان العمل وهكذا) الذين يخدمون بشق الأنفس (أو لا يخدمون على الإطلاق).

* وكل أولئك الذين في الكنيسة والذين بالكاد يقدمون شيئاً (أو لا يقدمون شيئاً على الإطلاق).

* وكل أولئك الذين لم يسلكوا سلوكاً روحياً بالمرّة (ومع ذلك فهم يقيمون الدنيا ولا يقعدوها دوماً وكأنك أنت المسئول عن ذلك).

* كل أولئك الذين يعملون على نضوب الموارد ويجففون الينابيع دون رد أي شيء. إنه إحساس خانق بسبب الوهن والضعف، ولكي تتخلص منه عليك أن تبدأ في فهم الطبيعة البشرية وحقيقة ما نحيا فيه، فحتى يسوع قال شيئاً قوي الشبه بقانون الـ ٨٠/٢٠. في مثل الزارع (ربما كان ٧٥/٢٥ بالنسبة له) هل تذكر الأربعة الأنواع من التربة التي رُمي عليها البذار؟ تربة واحدة فقط هي التي أنبتت الثمار ، وباقي الأنواع إما أنها لم تقبل البذور، أو كفّت عن الإنبات أو خنقت النباتات!

والقصد من ذلك أن تكف عن إلقاء اللوم على نفسك وعلى الـ ٢٠٪ الذين يقدمون ويخدمون ويحيون وينمون بسبب الـ ٨٠٪ الذين لا يفعلون ذلك! ليكن الأمر كذلك وامض قدماً في العمل في حقل التلمذة الحقيقية للمسيح مع الـ ٢٠٪ الذين يرغبون في السير مع يسوع حتى نهاية الطريق.

٢- *تعلم أن تثق في آخرين وأوكل إليهم القيام بمهام*

ليست إرادة الله أن تفعل أنت كل شيء أو معظم الأشياء أو حتى أشياء كثيرة، فيسوع قال لمريم ومرثا إن الحاجة إلى واحد، فقد اختارت مريم «النصيب الصالح» (انظر لوقا ١٠:٣٨-٤٢) الذي لن ينزع منها.

أخبرني أحد المديرين التنفيذيين وهو أيضاً والدي« لقدتعلمت منذ زمن بعيد أن أوكل للناس القيام بمهام وأثق في مقدرتهم على إنجاز العمل الذي كلفتهم به»، وقد يكون هذا سبب نجاحه كواحد من الرعيل الأول من المديرين الأمريكيين لشركة (متسوبيشي) للصناعات الثقيلة المتفرعة عن الشركة اليابانية العملاقة، كشاهد على ذلك فإني أندهش دائماً لقدرته على

التماسك وسط المشاكل، وعلى مقدار الوقت الذي يمضيه مع الكنيسة والعائلة والأصدقاء، وعلى كمية العمل التي يشرف على إنجازها.

٣- اعرف نفسك

يوصي (جوردون مكدونالد) بعمل محاولات لفهم سرعة إيقاعك وإمكانياتك وحاجاتك ورغباتك حتى يمكن تطبيقها في استخدامك لوقتك وبرمجته، فلا معنى لأن تقوم بأصعب الأعمال وأكثرها حاجة لإعمال الفكر أثناء فترة استرخائك من ٣-٤ مساءً، أو أن تجعل وقت خلوتك في ساعة تكون عادة فيها مترنحاً كثير الشكوى زري المظهر.

هناك مقالة رائعة في مجلة (التايم) تعرض كشفاً عن بحوث قامت بها هيئة علمية فيما يختص بالضغوط التي يتعرض لها الفرد نتيجة الانعزال عن العالم لمدة طويلة. فقد ذهبت (ستيفانيا فوليني Stephania Follini) إلى مكان تحت الأرض في Carlsbad مدينة نيو مكسيكو لمدة ١٣١ يوماً وعاشت في مركبة قمرية طولها ٢٠ قدماً وعرضها ١٢ قدماً تسمى Plexi-glas وهذه المركبة ليس لها اتصال بالشمس وليس بها أية ساعات أو أي شيء له صلة بآلات ضبط الوقت المعتادة.

فماذا كانت النتيجة؟ لقد اختلّت «الساعات الداخلية لفوليني»، وكانت أيام العمل عندها تتراوح من ٢٨ إلى ٤٨ ساعة عمل، وفترات النوم تمتد إلى ٢٤ ساعة نوم متواصلة.

ومع ذلك، فقد كان البحث مفيداً خاصة بالنسبة للباحثين الذين درسوا دمار المكوك تشالينجر، والجزيرة التي طولها ٣ أميال، وكوارث المفاعل

النووي في تشيرنوبل. «لقد اكتشفوا أنه في كل حالة من هذه الحالات كانت هناك أخطاء قاتلة من قبل أناس كانوا يناضلون في ظل ظروف عمل غير عادية ويعانون من قلّة النوم، والحادثتان النوويتان قد حدثتا في الساعات القليلة من الصباح، وبالمثل فمعظم حوادث الشاحنات ذات الصلة بالتعب تحدث فيما بين الساعة ٢ والساعة ٤ صباحاً». كل ذلك دفع أصحاب العمل إلى التفكير في إعطاء مرؤوسيهم جداول عمل مرنة تتفق مع ساعات عملهم الداخلية.

فمعرفة وفهم إمكاناتك وسرعة إيقاعك سوف تمكّنك من اختبار الراحة الروحية الحقيقية، وعندما تفهم ضعفاتك ونقط القوة فيك يمكنك أن تستغل وقتك بفاعلية أكبر لأنك تكف عن عمل الأشياء التي تشعر أنك لست مؤهلاً لها، وتواصل العمل في الأمور الهامة التى عينها الله لك. تلقّى الجنوال وليم بوث، مؤسس جيش الخلاص مرة خطاباً من زوجته له دلالة كبرى تقول فيه:

«مذكراتك الخاصة بيوم الثلاثاء وصلت سالمة وقد ابتهجت لسماعي عن النجاح المتواصل للعمل على الرغم من أني آسفة أن أعرف أنك منهك، وأخاف عليك من تأثير كل هذه الإثارة والمجهود العنيف على صحتك، وعلى الرغم أني لا أريد أن أكون سبب تعطيل للفائدة التي تتحقق نتيجة مجهوداتك، إلا أني أحذرك من التبذير الطائش لينابيع قوتك. وتذكّر أن الحياة الحافلة بالعمل المقدس المتواصل الدءوب سوف يكون إنتاجها ضعف الثمار الناتجة عن حياة قد قصرت ودمرت نتيجة الجهود المتشنجة غير الواعية، فكن حريصاً ولا تبذر قوتك حيثما يكون الجهد غير ضروري».

٤- حاول أن تنام قليلاً

في مقال في مجلة Parade يكتب (مورتون هنت) قائلاً: «لقد اكتشف دكتور (دافيد دينجس) والعلماء في مراكز أبحاث النوم أن النوم لفترات قصيرة ليس صحياً فقط، لكنه مفيد أيضاً لأنه بالنسبة للكثيرين يمكن أن يكون الفيصل بين القوة والضعف، وأحياناً بين الحياة والموت».

ولذا فمن الذي يحتاج أن يأخذ غفوات من النوم؟ يقول (هنت): «معظمنا، فاختبارات الموجات التي تطلق على المخ ودراسات أخرى تبين أن للبشر ميلاً دفيناً للنوم مرتين يومياً، فهناك حاجة ملحّة للنوم لعدة ساعات كثيرة في وقت الليل وحاجة أقل للنوم فترة وجيزة في فترة ما بعد الظهر». ولكننا لا يجب أن نبالغ في ذلك، فإني أذكر وأنا طفل أني كنت أذهب للعمل مع جدّي عندما كنت أزوره في أيام العطلات، فقد كان يرأس هيئة للإنشاءات المعمارية وتقع عليه مسئوليات جسام في تلك المواقع، وكنا ننتقل في شاحنته من موقع إلى موقع آخر للمراجعة والتأكد من سير العمل، وفي ذلك الوقت لم أكن أفهم لماذا يفعل ما فعله، فقد كان يأخذ شاحنته إلى مكان ظليل ويأخذ سِنة من النوم لمدة ٤٥ دقيقة، والآن فإني قد تأكدت أن ذلك هو «النوم المنعش» هو الذي كان يعطيه الطاقة للإشراف على مئات العمال وعدة مشروعات في وقت واحد.

إذن فما هو أنسب وقت لأخذ سِنة من النوم؟ يقتبس (هنت) قول الطبيب النفسي (مارتن أورن) بجامعة بنسلفانيا: «إن السِنة التي تؤخذ قبل المعاناة من التعب الشديد سوف تمنع التعب والإرهاق». وعلى أية حال فالغفوة من

١٥ دقيقة حتى ساعة يمكن أن تكون ذات أثر فعّال.

ومع ذلك فلكي تعلم أن الهدوء يمكن أن يكون معيناً، يعلن (تيم كيميل) في بيته عن «ليلة هادئة» مرة في الشهر أو نحو ذلك، وفي تلك الليلة تتوقف أجهزة الاستريو أو التليفزيون أو «أي شيء يحدث ضوضاء» فهو يريد أن يعلّم أطفاله أن يجدوا السكينة والراحة في هدوء الليل وأن «يستمعوا لتأثيرات أصوات السماء».

٥- قوة الموسيقى

قال (بيرتولد أورباخ) إن «الموسيقى تزيل عن النفس أدران الحياة اليومية»، وقد عبّر عن ذلك (هانز كريستيان أندرسن) بقوله: «حين تفشل الكلمات فالموسيقى تتكلم». ومارتن لوثر وهو عاشق عظيم للموسيقى صاغ هذه الكلمات: «إلهنا حصن منيع» على لحن مشهور لأغنية مشهورة في عصره وقال: «إن الموسيقى فن الأنبياء، وهو الفن الوحيد الذي يهدئ اضطرابات النفس، إنها إحدى أروع وأبهج الهدايا التي أعطاها الله لنا».

كم مرة رجعت للمنزل وتمددت على الأريكة واستمعت لفرقة محبوبة أو مؤلف مشهور، فها أنت تجد الإنعاش والفرح والقوة في الموسيقى، ولقد عرف الملك داود ذلك جيداً، فقد كان سفر المزامير كله يوماً ما كتاب الأغاني لإسرائيل.

٦- احصل على أكبر قدر من جزئيات الوقت:

أخبرني (روي زاك Roy Zuck) من كلية اللاهوت بدالاس:

«إني أشجع التلاميذ على استخدام أجزاء صغيرة من الوقت للقراءة والتفكير وهكذا، فمن المدهش أن يحصل الشخص على قدر من الوقت للقراءة أثناء ارتداء ملابسه في الصباح أو الانتظار لمدة طويلة لتغيير إشارة المرور».

لقد وجدت أني أتطلع بشوق إلى أشياء مثل:

الوقوف في طوابير

والجلوس في عيادات الأطباء

والجلوس لانتظار مكالمة تليفونية

وانتظار زوجتي حتى ترتدي ملابسها

وقيادة السيارة

فكلها أوقات ممتازة للتفكير في مشروع ما، أو تذكر آية كتابية، أو مراجعة أحد الأعداد، أو قراءة شيء من كتاب أحمله (انتظاراً لمثل هذه اللحظة) وفوق الكل أن أصلّي، فهناك العديد من الأشياء التي يمكن أن تصلّي لأجلها أثناء تلك اللحظات الساكنة، «لحظات الانتظار». أصلّي .. لأجل ماذا؟... لأجل:

* حاجات محددة أنت مدرك لها.

* الناس الذين حولك، خلاصهم وحياتهم الروحية.

* كنيستك، وعائلتك وأصدقائك ونفسك.

* أحوال العالم.

* الإرساليات

* المدارس الدينية ومراكز التدريب.

* المؤلفين والمتكلمين والرعاة وزملاء العمل والمشاهير (لماذا لا تصلّي للناس الذين تتعامل معهم في محلات البقالة).

ما الذي كان يعنيه بولس بالصلاة دون انقطاع إن لم يكن اقتطاع أجزاء من الوقت للصلاة لعمل الملكوت؟ فمن السهل أن تملأ تلك الأوقات بلحظات القلق، إذن فلتتوقف ولتثق ولتبدأ في استخدام تلك الأجزاء الصغيرة من الوقت لمجد اسمه.

٧- *فلتضاعف من وقتك*

هناك الكثير من الأنشطة التي نفعلها تحتاج فقط لتركيز جزئي، فالأم يمكن أن تساعد طفلاً في عمل الواجب المنزلي بينما تخيّط زراراً في قميص، إنها يمكن أن تصلّي مع صديقة أثناء طهو العشاء، تشتغل بأعمال (الكروشيه) أثناء مشاهدة التليفزيون، وأن تقوم بعمل تمرين رياضي أثناء الاستماع للراديو، والأب يمكن أن يستمع لعظة في شريط التسجيل أثناء قيادة السيارة إلى العمل، ويمكن تعلم لغة جديدة (على شريط) أثناء الحلاقة، ويمكن الصلاة أثناء أخذ حمام. فأن نفعل هذه الأشياء فذلك يحتاج لتنظيم «لأن الله ليس إله تشويش بل إله سلام»(كورنثوس الأولى ١٤:٣٣).

٨- استبعد الأنشطة التي تضطر أن تجبر الناس عليها

هذا ينطبق على الكثير من أنشطتنا، وأحياناً ينطبق على اجتماعات الكنيسة أيضاً. (ديف كروجر) يسأل هذا السؤال: «إذا كان لابد من الضغط المستمر فهل هذا النشاط يستحق ذلك؟»، إذا كان على الراعي أن يناشد ويتملق ويتزلف ليجعل الناس تأتي للندوة الأخيرة أو لاجتماع تدريب وما شابه ذلك فلماذا يفعل ذلك أولاً؟ لماذا لا يركّز على تلك الأشياء التي يحتاجها الناس ويريدونها؟

٩- تعرّف على عاداتك

يقضي كثير من الناس وقتاً في المعاناة من القلق على الأشياء التي لا يفعلونها، أو لم يفعلوها لأنهم يحاولون أن يفعلوها في الأوقات غير المناسبة أو بالطريقة الخاطئة. فلا يوجد نمط كتابي معين لأشياء مثل خدمات الكنيسة، أو الفرص التعبدية، أو كيف تخدم في الكنيسة، أو متى تدرس الكتاب المقدس، أو كم مرة تصلي، هناك بعض الإرشادات في بعض الحالات، ولكن في كثير من الأحيان يقدم لنا الله المبدأ، والروح القدس يساعدنا في أن نطبق ذلك على حياتنا.

يكتب (جوردون مكدونالد): «إن الدراسة المتأنية لعاداتي في العمل قد كشفت لي عن فكرة ذكية هامة، فهناك عدة أعمال أنجزها أفضل في أوقات معينة وتحت ظروف خاصة.

فعلى سبيل المثال فأنا لا أعمل بفعالية لإنجاز عظة يوم الأحد أثناء الأيام الأولى من الأسبوع، فساعتان من الدراسة يوم الاثنين تعد عديمة

الجدوى نسبياً، بينما ساعة واحدة يوم الخميس أو الجمعة لا تقدّر بثمن، فإني أركّز فيها أفضل.

في مقدور كل منا

قال الغني الغبي «استريحي يا نفسي، كلي واشربي وافرحي»

بعضنا يريد الراحة، ولكن ما نحتاجه فعلاً هو الراحة الإلهية، فهي أفضل بكثير من المادية والملذات العالمية والهرولة، إنها الشيء الذي يساعدنا على العوم بثبات عندما تعصف الحياة بموجة صاخبة في وجوهنا، وقبل أن نتخلص من آثارها، فإنها تعد أن تومض وتضيء لنا الطريق حتى نستعد للخروج من خضم البحر العجاج.

فكرة مفيدة

خذ بعض الوقت اليوم لكي «تستريح»، استمع لبعض الموسيقى، استمع للكلمات، غيّر مسارك برفق، فكّر، تأمل، صلّ. خذ غفوة من النوم، ثم خذ وقتاً كافياً دون عجلة لترى إن كان ذلك يبعث فيك الانتعاش أم لا.

[٢٠]
الإحباط أم الحرية

«ولذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا». ***(عبرانيين ١٢:١)***

سألت بعض المعاونين المصاحبين لأحد الكُتّاب إذا كان عند أحد منهم أية اقتراحات بخصوص تذليل أزمة الوقت الطاحنة، فقالت لي (مارلين ماركس) «ربة منزل ولديها أطفال كبار في (أنا بوليس بميريلاند» «لن أحتفل بعيد الميلاد هذه السنة، فأطفالي الكبار وزوجي وأنا سوف نذهب لشاطيء البحر لمدة ثلاثة أيام، فلا هدايا ولا زينات ولا مأكولات أو فطائر، فوجهة نظري عن عيد الميلاد لهذا العام أقرب ما تكون لفكرة الإجازة بالنسبة لي- وقتاً للتأمل والهدوء». إني لا أعرف كيف يمكن أن يتجاوب ابني البالغ من العمر ست سنوات مع هذه الفكرة، ولكن بالنسبة لبعض العائلات قد تكون فكرة جاء أوانها. لقد قررت أسرتي أن تلتقط أسماء من قبعة هذه العام وتشتري هدايا فقط للاسم الذي يلتقطونه، وهذا سوف يقلّل من النفقات التي تثقل كاهل ميزانيتنا كل عام، ومن الوقت الذي ينقضي في التسوق من المحال التجارية.

واقترحت (مارلين) أيضاً بعض الأشياء الأخرى: (١) استخدم البطاقات البريدية بدلاً من الخطابات، فهي ليست بحاجة لأن تكتب الكثير فيها،

علاوة على أن الناس تحبها. (٢) لا تقرأ رسائل البريد التافهة، ألقها بعيداً، أو إذا كان عندك مدفأة تعمل بوقود الخشب، ألقها فيها لتشعل النار. (٣)قل لا للتوسلات التي لا تستطيع الاستجابة لها، ولا تفسر لماذا، فهذا يجنّبك التملّق.

الهدف

ما الهدف من كل هذه الوسائل لتوفير الوقت؟ الحرية. من ماذا؟ من الذنب. الانهماك الزائد عن الحد، العمل الذي لا يستحق، الأداء السيىء الجدل، الغضب، البغضاء.

ولماذا؟ فأن تتحرر لذا يمكن أن تخدم الله خدمة ممتازة، وتساعد الآخرين بابتهاج وأن تعطي بسرور، وتتمتع بما في الحياة من أشياء جميلة، اقتطع لحظة لنفسك .. لتفكّر .. ولتقدّر .. ولتعجب ..ولتنظر من الشباك وتسرح بفكرك بعيداً.

الوقت كاف! هذا ما نحتاجه حقاً، كيف يمكن الحصول عليه؟ اختر الحرية التي في الكتاب المقدس، فالكتاب المقدس يقدم لنا طريق الخروج من الإحباط إلى الحرية. كيف؟ عن طريق الحق.

«إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي وتعرفون الحق والحق يحرركم» (يوحنا ٨:٣١-٣٢).

الثبـــات

إن الطريق إلى الحرية يكون عن طريق معرفة الحق، والطريق إلى معرفة الحق يكون عن طريق الثبات في كلام المسيح، لقد سمعنا ذلك مرّات عديدة، ولكن ماذا يعني ذلك؟

إن (تثبت) يعني «أن تبقى» أو «تستمر في شيء ما». لقد كان يسوع يعني «إنه إذا واصلت باستمرار تطبيق كلمتي على حياتك فسوف تعرف الحق».

أليس هذا شيّقاً؟ «فالثبات» يقود لمعرفة الحق، وقد تظن أن العكس هو الصحيح، ومعرفة الحق أيضاً تقود للثبات، ولكن معرفة حق الله ليس شيئاً بسيطاً، فالله لا يكشف حقه بعبارات واضحة للذهن تماماً، فحقه يتضمن كيان الإنسان كله: العقل والعواطف والإرادة والنفس والروح، والحق الكتابي ليس مجرد مجموعة حقائق أو على نص قانون أو حكمة أو مبدأ، بمعنى أنك لا تستطيع أن تفهم الحق الكتابي حتى تختبره في وضح النهار، إنه كالزواج: لا تعرفه حقاً حتى تختبره، وهو يشبه الإثارة التي يشعر بها من يفوز بجائزة.

إن الحق الكتابي يثبت بالاختبار، ولهذا قال كاتب العبرانيين:

«لأن كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة في كلام البر لأنه طفل، وأما الطعام القوي فللبالغين الذين بسبب التمرّن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر» (عبرانيين٥:١٣-١٤).

.. فعن طريق الاستعمال الدائم ندرّب أنفسنا «على التمييز بين الخير والشر» عليك أن تستعمله لكي تفهمه.

لماذا يحررنا الحق؟

ولكن ماذا بشأن الحق الذي يحرّر؟ ألم يحدث أبداً أن شلّت حركتك بسبب مخاوف لا مبرر لها؟ ألم يحدث أن هزمتك إشاعة شريرة أو كاذبة؟ ألم تشعر يوماً بالذنب لشيء أنت تعلم أنك لا يجب أن تشعر بالذنب تجاهه؟ كأن تشتري لنفسك رداءً جميلاً أو تذهب لمطعم فاخر أو لأنك لم تشهد للمسيح لكل واحد قابلته، أو لأنك تقرأ كتابك المقدس لمدة ١٥ دقيقة فقط يوم الاثنين بدلاً من ٣٠ دقيقة؟ ألم تظن يوماً أنك فقدت خلاصك أو أن الله يكرهك؟ أو أن الله ملّ منك على الرغم من أنك تحاول جاهداً أن تسير معه بقدر ما يمكنك؟ كل هذه المواقف يمكن أن تحل بمعرفة وتطبيق الحق. كتب أ.وتوزر: «إن الكثير من المباديء المسيحية منذ أيام المسيح يكسوها شيء من الصرامة والكآبة والسبب دائماً واحد: وجهة نظر غير جديرة أو غير صائبة عن الله..».

فمن الفشل في فهم الله فهماً صحيحاً ينبع عالم من التعاسة بين المسيحيين الطيبين حتى يومنا هذا، عندما نتصور أن الحياة المسيحية شيء كئيب ولا تمثل شيئاً سوى حمل الصليب بمراقبة أب صارم يتوقع منا الكثير ولا يغفر لنا شيئاً، فهو متسلط ومتذمر ومتقلب المزاج ويصعب جداً إرضاؤه،

فنوع الحياة التي تنبع من مثل هذه الأفكار الخاطئة يجب أن تكون بالضرورة محاكاة على سبيل السخرية لحياة المسيح الحقيقية..

«فالحق أن الله أكثر بهجة وفرحاً من كل الكائنات وخدمته تعني سروراً وفرحاً لا ينطق به، فهو كلي المحبة والذين يثقون فيه ليسوا بحاجة لمعرفة أي شيء آخر سوى تلك المحبة، وهو عادل بحق ولن يتغاضى عن الخطية أو يتسامح معها، ولكن عن طريق دم العهد الأبدي، فهو قادر على أن يتصرف تجاهنا بالضبط كما لو لم نكن قد أخطأنا بالمرة، ورحمته تجاه أبناء البشر الذين يؤمنون به تنتصر دائماً على العدل».

كيف تصبح حراً تجاه الوقت

كيف إذن تصبح أكثر حرية لتسترد الوقت الذي تريد أن يصبح ملكك ولكنك لا تجده؟ كثير من المباديء التي تحدثنا عنها من قبل تؤثر تأثيراً مباشراً على حريتنا في المسيح، ولكن دعني أوضح وأقترح بعض أفكار أخرى.

١- *تعامل مع المعوقات*

(عبرانيين ١٢:١-٢) يتحدث عن الحاجة لإزالة المعوقات حتى نكسب السباق«لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر في الجهاد

الموضوع أمامنا ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس في يمين عرش الله». والكلمة التي تعني «لنطرح كل ثقل» تعني «الوزن أو الحمل أو العائق» وكل ما يعوق حركتك في سباقك لأجل المسيح، وحيث إن العبارة التالية تستخدم كلمة (خطية) فإني أعتبر أن كلمة (ثقل) تعني أي شيء على الحياد من الجانب الأخلاقي، ولكنه لا يعمل على امتداد ملكوت المسيح أو يسهم في سيرك مع المسيح، إنه يمكن أن يكون أي شيء كالموسيقى التي تشغل فكرك وتجفف فيض أفكارك السامية المقدسة، أو الرياضة والهوايات، أو قضاء وقت أكثر من اللازم في قراءة الكتب والروايات الرخيصة، والقراءة النافلة، والإكثار من تناول الوجبات الخفيفة، أو قضاء وقت أكثر من اللازم للتحدث في التليفون وفوق الكل يأتي التليفزيون. ومن أفضل الطرق للحصول على وقت أكبر لتفعل كل ما تريد أن تفعله هو هذا: اضغط بشدة على مفتاح التليفزيون واتركه دون تشغيل.

يسلم (دوج وايت Dough Whit) الطرود البريدية خمسة أيام في الأسبوع، ويغادر المنزل الساعة ٨,١٠ صباحاً ويرجع حوالي الساعة ٨,١٠ مساءً وهو يقول: «لا يتبقى لي إلا ساعات قليلة بعد ذلك».

«ولكن يمكن أن تقوم ببعض التضحيات، لقد كنت معتاداً أن أجلس وأشاهد مباراة كرة قدم كاملة - ٤ ساعات كاملة في أمسيات السبت والاثنين وليس أكثر من هذا- والآن أشاهد فقط عرضاً في آخر المساء، هذا كل ما يمكن أن ترغب في مشاهدته أحياناً، حيث تشجعني زوجتي على مشاهدته، إنها تعرف أني بحاجة لذلك».

سألته عما كان يفعله خلاف ذلك في الأمسيات، فقال لي: «شيء واحد فقط كنت معتاداً أن أفعله هو قراءة الجريدة من الغلاف للغلاف، لقد كان هناك شيء يدفعني من داخلي لقراءة كل شيء، ولكني توقفت عن ذلك، لقد كففت عن ذلك وقضيت ساعة لمجرد الحديث مع زوجتي، فنحن لا نشاهد التليفزيون، إننا نتجاذب أطراف الحديث أو نتبادل النكات، إنه شيء هام. وهذه هي الحرية.

٢- *تعامل مع الخطية*

إني لا أحاول أن ألقي بعقدة الذنب فوق كتف أي واحد، ولكن جزءاً كبيراً من أزمة الوقت الراهن الطاحنة بالنسبة للمسيحيين سببها الخطايا المتعدّدة القديمة، ولكنها تحدث يومياً، فالدردشة في التليفزيون يمكن أن تقتل ساعة من الزمن من غير أن تدرك ذلك، والشراهة التي تجعلك تشتري أكثر تكلفك الكثير سواء في الوقت أو المال، والله ليس إله تشويش، ولكن كثيراً من البيوت تشبه ملعب الشيطان في هذا المجال، فأنت لا تستطيع أن تجد شيئاً بسبب الفوضى التي تشيع في المكان.

ما هي الخطية التي يجب أن نبدأ بها؟إنها «الخطايا السبع المميتة»: الكبرياء، واشتهاء ما للغير، والشهوة، والغضب، والشراهة، والحسد، والكسل. ابحث عن شخص ما يعاني من أزمة الوقت وأكبر الاحتمالات أنك سوف تجد إحدى هذه الخطايا تطل برأسها من تحت كيانه النفسي والعقلي، هذا ليس في جميع الحالات ولكن النظر بتمعن في حياتك- يومياً- يمكن أن يفيدك إلى حد كبير.

٣- تعلّم بعض الفنون الأساسية لتوفير الوقت

ما هي؟ حاول أن تجرّبها:

«أشياء يجب القيام بها» هو عنوان قائمة معروفة لكل منا، ربما نكون قد سمعنا عن تشارلس سكواب (Charles Schwab) المليونير، وكيف أنه دفع لـ (إفي لي) Ivy lee مستشار إدارة الأعمال ٢٥, . . . دولار عندما كشف له عن المتعة الكامنة في قائمة (أشياء يجب القيام بها)، ولكن برغم شهرة هذه القائمة إلا أن الكثيرين منا لا يطبقونها ومع ذلك فهي أداة مفيدة جداً في توفير الوقت. فكيف تعمل هذه القائمة إذن؟ في بداية كل يوم (ومن الأفضل أن يتم هذا في الليلة السابقة) اكتب كل الأشياء التي تريد أن تعملها في ذلك اليوم، وبعد أن تعمل القائمة، اعط لكل بند درجة في الأسبقية، فالحرف أ= مهم، ب= ليس مساوٍ له في الأهمية، جـ= غير مهم، ثم عد إلى بنود القائمة أ، ورتبها حسب الأولوية، واترك حرف الـ ب فيما بعد، وقد لا تريد أبداً أن تفعل كل ما جاء تحت جـ، ولذا فلا تقلق بشأنها. وأخيراً وبعد أن تكون قد رتبت ما جاء في القائمة أ، ابدأ بعملها حسب ترتيب الأهمية. هذا كل ما في الأمر.

تلك الفكرة كانت تستحق دفع مبلغ ٢٥, . . . دولار من تشارلس سكواب إلى (إيفي لي) من وجهة نظره في أوائل القرن العشرين.

كتاب المواعيد: يا له من سجل يوفر الوقت! والأمر في غاية البساطة فأنت لم تعد بحاجة لإعادة التفكير والتذكّر، فكل شيء يتم تدوين التاريخ أمامه، وعندي واحد أضعه في جيبي العلوي الأيسر وهو أقل من ٣ بوصات

في الارتفاع وبوصتين في العرض وهو يكفي لكل العام، ولكني أكتب فيه ما هو أكثر من المواعيد، ففيه صفحات بيضاء أدوّن فيها الأفكار والآراء، حتى لا أنساها، وهناك صفحة أخرى لمن يطلبون الصلاة لأجلهم، وقوائم كتب أخرى قرأت نقداً عنها وأريد أن ألقي نظرة عليها في المكتبة، وقوائم أخرى بيضاء تصلح لي ككاتب أدوّن فيها أفكاراً عن كتب وقصائد شعرية وقصص قصيرة، ولا حاجة بي لأن أحاول أن أستوعبها في ذهني، فيمكنني أن أكتبها بمجرد التفكير في ذلك، وهذا الكتاب أيضاً به مكان لأرقام التليفونات وبه خرائط، وكود المناطق التليفونية، ولوحات للمناطق الزمنية، والمسافات، وجدول لدرجات الحرارة (من الفهرنهيت إلى المئوي)، وجداول التحويلات (من النظام الأمريكي إلى المتري).احصل على واحد واستعمله وسوف تجده يمثّل ذاكرة ثانية لك.

ثبّت البنود المتشابهة: كثير من البنود يمكن تثبيتها حتى تعملها كلها في وقت واحد، ضع الفواتير كلها معاً وادفع مجموعة منها مرة أو مرتين في الشهر، رد على كل المكالمات التليفونية في وقت معين من النهار بدلاً من جعلها بمعدل مكالمة واحدة في كل مرة، وعند الشراء تذكّر أن تعمل قائمة قبل الذهاب، اجمع كل الطلبات الأخرى كأخذ الأحذية إلى صانع الأحذية والقمصان إلى المغسلة، وقم بها كلها مرة واحدة، اتبع نظام الفهرسة الذي يلائمك ويلائم احتياجاتك، ضع الأشياء المتشابهة في ترتيب أبجدي وفي ملفّات تحت عناوين مثل التأمين، الضرائب، الكنيسة، الإيجار، الثلاجة وهكذا.

استخدم تكنولوجيا توفير الجهد: مثل السجاد الذي لا يتطلب تنظيفاً دائماً وتنظيفه بالبخار، والقمصان التي لا تحتاج إلى كي، و أفران الميكروويف الجديدة، والملابس التي تحتاج لعناية أقل، والآلات التي تستقبل المكالمات التليفونية، وأفلام الفيديو (أفضل من مشاهدة أي شيء يعرض على شاشة التليفزيون)، وتليفون السيارة، والذي يقول عنه د. جو ورنر «إنه لا يمكن الاستغناء عنه، إني أستخدمه لإنجاز كل أعمالي.

بالطبع مثل هذه الأشياء يمكن المبالغة في استعمالها، وينتهي بك الأمر أن تعاني أكثر من أزمة الوقت الطاحنة عن ذي قبل إذا لم تكن حريصاً، فالاختيار الحكيم المصحوب بالصلاة قبل إتمام عملية الشراء يمكن أن يحرّر جزءاً كبيراً من الوقت ليستخدم في عمل الملكوت وقضاء الحاجات الشخصية.

٤- أبعد عنك الأوراق المتراكمة:

أفضل قاعدة لاستعمال الإبهام هي «تعامل مع الورقة مرة واحدة فقط» تعامل معها ثم حركها. يقول (ستيفاني ونستون) «يوجد ثلاثة أشياء فقط يمكن أن نعملها لقطعة الورق، إنها يمكن أن تُلقى بعيداً، ويمكن أن نعمل بها شيئاً لكتابة خطاب أو ندوّن مكالمة تليفونية، أو يمكن أن نضعها بعيداً مؤقتاً». ولكن فلترفض أن تكوّم ورقة فوق الأخري سواء على مكتبك في العمل أو في منزلك.

٥- استخدم ملكة الإبداع التي لديك

عندما كنت أعدّ لكتابة هذا الكتاب شعرت أنني غارق وسط مواد

البحث، ولم أكن متأكداً من كيفية تنظيم هذا الكم الهائل من المعلومات، وقد صلّيت لأجل ذلك، وبعد ذلك بيوم وجدت الحل. فقد قمت بتصوير كل اقتباس أردت استعماله، وعملت صورة لكل مثال ثم وضعت الحجم المطلوب من الأوراق عنوان لكل فصل على الأرض، وبعد ذلك بدأت التقليب في كل كومة وكان سمكها يصل إلى حوالي ٣ بوصات، ثم قمت بتلخيص المادة التي تحتويها الأوراق ووضعها على العنوان الذي تتفق معه، ثم انتهى الأمر بما يقرب من ٣٠ كومة صغيرة بدلاً من كومة واحدة ضخمة، وبعد ذلك لم تكن كتابة الكتاب عملاً سهلاً فقط بل كانت نوعاً من المتعة أيضاً.

مثال آخر يأتينا من (رولنز O.W Rollins) الذي كان يوماً ما صبي المزرعة في جورجيا وأصبح مديراً ورئيس مجلس إدارة شركة رولنز صاحبة الملايين من الدولارات، فعندما كان ولداً طلبت جدّته من كل من يغادر المنزل «أن يحمل دلوين فارغين معه، وعند العودة يحضر دلوين من الماء من البئر». ونتيجة لذلك لم يحدث أبداً أن الأسرة كانت تعاني من نقص المياه، ولم يضطر أحد أن يذهب خصيصاً إلى البئر، وبالتالي لم يُضع أحد وقتاً ثميناً!

فكرة مفيدة

ما هي الجوانب المخيبة للآمال في حياتك؟ وما الخطوات التي يمكن أن تتخذها للحصول على مزيد من الحرية؟ خذ نصف ساعة لمناقشتها الليلة مع أسرتك، ما هي المعوقات والخطايا التي يمكنك أن تزيلها من حياتك؟

[٢١]

الكم أم النوع؟

«الخديعة والغش فقط في عجلة من أمرهما، ليكن لديك متسع من الوقت لعمل كل الأشياء، فالعجلة تسبب الضياع.»

(بنيامين فرانكلين)

(بيت ريزرPete Reiser) كان رياضياً في الأربعينيات، وقد اكتسب شهرة بقدرته الفائقة على الاصطدام بالحواجز أثناء قيادة سيارات السباق لمسافات طويلة مما كان يبعث القشعريرة في نفوس النظارة. يكتب (فرانك جفورد) عن إحدى اللعبات في يوليو عام ١٩٤٢.

وكان فريق (بروكلين) الذي يتبعه (ريزر) يتقدم بـ٥ ,١٣ نقطة، وكان الفريق الآخر المسمى Cardinab ما يزال في المدينة. وكانت اللعبة الثانية من مبارتين تجريان على التعاقب في يوم واحد، ولم يكن أحد قد سجل شيئاً بعد فكانت جولة لإظهار البراعة، وقذف (إينوس سلوتر Enos Slaughter) بالكرة بعيداً في منتصف الميدان، وكان (ريزر) يفكر وهو يجري نحوها قائلاً «إذا لم أحصل عليها يمكن أن أخسر اللعبة كلها».

ثم اندفع نحو الحاجز بأقصى سرعة وألقى الكرة فوقع ارتطم بالأرض بشدة، وفي المستشفى عرف أنه أصيب بكسر في الجمجمة، وبعد عدة سنوات تساءل (ريزر) بالقول:« هل كنت طائشاً متهوراً في اندفاعي نحو

هذه الكرة بالطريقة التي فعلتها؟». قبل كل شيء لقد كان أمامنا تقدماً بما يعادل ١٣,٥ نقطة .. كان يمكنك أن تبطيء في هذه الحالات، أليس كذلك؟ لا، لا يمكنك، فإن أبطأت نصف خطوة فإنها ستكون بداية آخر لعبة لك، لا يمكنك أن تتقدم أو تتأخر بالطريقة التي تحلو لك، إلا إذا كنت تتباهى وتفتخر بنفسك». كان ذلك الحوار الذي دار فيما بينه وبين نفسه.

الوجه الآخر من العملة

على النقيض من ذلك الولاء الجدير بالمديح لذلك الأداء الفذ، يقول (ديك إيستمان Dick Eastman): «إن قطاعات كبيرة من المجتمع قد نسيت المثابرة، فنحن نعيش في عصر المستسلمين، والمجتمع يبحث دائماً عن وسائل جديدة لحل مشاكل الذين يتركون المدارس، والقوات المسلحة الأمريكية تستخدم جهود مئات الأطباء النفسيين على أمل الإقلال من نسبة الذين يهجرون الجندية ... قليلون لديهم روح الاجتهاد مثل رافائيل أنجلو، فقد سُئل مرة: «ما أعظم لوحة رسمتها؟ فابتسم قائلاً: اللوحة القادمة».

فالإصرار والمثابرة وفوق الكل الجودة فنحن نتكلم عن «التحكم المتميز» و«الوقت المتميز»، و«المنتجات عالية الجودة». إن (ديترويت) تعرف معنى الجودة، فعندما جاء غزو السيارة اليابانية ظنوا أنه لا شيء يدعو للقلق، ولكن اليابانيين كانوا يؤكدون على الجودة، فسياراتهم التي تعمر طويلاً، وتحتاج لقليل من الصيانة، وتتميز بسهولة القيادة كانت قد اكتسحت

الأسواق الأمريكية والعالمية. وبالنسبة للكثيرين منا نحن أمام اختيار: هل سوف أفعل ما أفعله، وأصلّي ما أصلّيه، وأتحدث ما أقوله، وأفكّر ما أفكّر فيه بطريقة الكم أم النوع؟ إن الكم من السلع المنخفضة الجودة لا تساوي إلا شيئاً تافهاً، ولكن المنتجات القليلة العدد العالية الجودة لا تستطيع فقط أن تجلب ملايين الدولارات، ولكنها أيضاً يمكن أن تنفع ملايين البشر.

لماذا يعد «النوع» هاماً جداً في استخدامنا للوقت؟

إن عمل الأشياء يتميز بأن له نتائج هامة في سيطرتنا على الوقت، وأحد التأثيرات المباشرة لذلك هو أن عمل الشيء الصحيح لأول مرة يعني أنك سوف لا تضطر لعمله مرة أخرى، وفي أغلب الأحوال عندما نقوم بعمل رديء نجد أننا لا نضطر فقط لإزالة الركام والفوضى الناجمة عن هذا العمل، بل علينا أن نبدأ من جديد.

وثاني التأثيرات الإيجابية للعمل المتميز أنك تشعر بقناعة لا تحصل عليها عندما تعلم أنك لم تبذل قصارى جهدك، وهذا يعني وقتاً أقل للقلق والاهتياج والشعور بالذنب، وهي بعض الأشياء الهامة التي تضيع الوقت وتسلبه منا.

وثالث هذه التأثيرات يحدده مجال القيمة الأبدية، فما لا يهم للأبدية لا يهم إطلاقاً، هذه نقطة هامة، فعندما تتعلم أن تؤدي عملاً متميزاً، فهذا يمتد لكل عمل تؤديه، إنك لا تصبح ميالاً إلى الكمال فقط، بل أفضل من ذلك

بكثير: إنك تصبح شخصاً يفعل كل الأشياء لمجد الله، إن أداء العمل بشكل متميز يعني أنك أرضيت الله، وأنك سوف تحصد المكافأة على هذا العمل، ليس فقط في حينه، ولكن في الأبدية أيضاً. هذا أفضل شيء لتوفير الوقت: إن ما فعلته سوف يدوم!

ما هي الجودة العالية؟

ما معنى أن تفعل شيئاً بطريقة النوع؟

إنه لا يعني البحث عن الكمال، فهذا يؤدي للإحباط والهوس بتصويب الأخطاء، كلا فالأداء النوعي هو ببساطة أن تبذل أقصى جهد يمكن أن تبذله.

عندما كان «هنري كيسنجر» وزيراً للخارجية في إدارة نيكسون كان يؤكد دوماً على الأداء النوعي لمرؤوسيه، فإذا أتى أحد معاونيه إلى مكتبه حاملاً تقريراً، كان ينظر إليه كيسنجر بتمعن ويسأله: «هل هذا أفضل ما يمكن أن تفعله؟»، وكان المعاون يعرف الإجابة ويمشي ليعود في اليوم التالي بنسخة أفضل من نفس التقرير، ويسأله كيسنجر مرة أخرى نفس السؤال بحدّة «هل هذا أفضل ما يمكن أن تعمله؟» فيخرج المعاون في صمت، وأخيراً يأتي المعاون في اليوم الثالث رافعاً رأسه ليقول «نعم، هذا أفضل ما يمكن عمله»، فيرد كيسنجر بالقول «حسنا، الآن سوف أقرأه».

لقد كان يطلب الجودة في الأداء وكان يحصل عليها.

الحصول على الأداء المتميز في حياتك

ما ثمن الجودة؟ دعني أحدد ستة عناصر.

١- *الجودة الحقيقية تتطلب قوة الروح*

إذا كنت تريد أن تقوم بأداء متميز **في مملكة الروح** فلا شيء يمكن أن يعينك على ذلك سوى قوة الروح القدس. انظر إلى سفر الخروج ٣١:٣ «وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة»، لقد وضع الله داخل ذلك العامل عدداً من الحقائق الروحية الفعّالة القادرة على توجيه حياتك التوجيه السليم:

الحكمة: القدرة على رؤية أفضل طريقة لعمل الشيء.

الفهم: القدرة على الرؤية الشاملة للأمور.

المعرفة: الخلفية والبحث والخبرة الضرورية للنجاح.

الصنعة: الإلمام بالتفاصيل الضرورية للعمل بمهارة.

فبدون قوة الروح «لا نستطيع أن نفعل شيئاً» كما يقول يسوع في يوحنا ١٥:٥، ونحن نحصل على هذه القوة عن طريق الشركة مع الله والاتكال عليه بالإيمان.

٢- الجودة الحقيقية تحتاج للفكر والصلاة والتأمل

قرأت مرة صلاة تقول: «يارب، لا يوجد أبداً وقت كاف لكل شيء، فساعدني أن أعمل أقل قليلاً لكن بطريقة أفضل». ففي ميدان الجودة، الأقل يكون أفضل، والأكثر غالباً ما يكون أقل جودة. فعندما تعطي لمشروع ما تفكيراً كافياً وإعداداً وتأملاً فإن النتائج المتميزة ليست محتملة فقط ولكنها ممكنة الحدوث.

قبل أن يصبح (أرتورو توسكانيني) قائداً للأوركسترا كان عازفاً (للتشيلو)، ولأنه كان يعاني من قصر النظر بشكل حاد لم يكن يحب أن ينحني بدرجة ملفتة إلى أوراق النوت الموسيقية، ولذا لم يكن يحفظ دوره فقط بل دور كل آلة موسيقية أخرى أيضاً، وفي ليلة ما مرض (لاسكالا) قائد الأوركسترا فجأة، فاقترح أحدهم أن يأخذ توسكانيني مكانه، فأخذ الشاب البالغ من العمر ١٩ عاماً بزمام المبادرة وأقفل كتاب النوت الموسيقية بحزم ثم قاد كل البرنامج من الذاكرة، وتابعته الجماهير بتصفيق حاد على أدائه الرائع.

فإذا كان هذا هو نوع التفكير والذاكرة التي استخدمها توسكانيني في إنتاجه الموسيقي فكم وكم يجب على ابن الله أن يفعل ذلك لخدمة ملكوت الله!

٣- الجودة الحقيقية تتطلب التأني و عدم الاستعجال

منذ مائتي سنة علّق بنيامين فرانكلين على مشكلة العجلة قائلاً: «الخديعة والغش فقط في عجلة من أمرهما، ليكن لديك متسع من الوقت

لعمل كل الأشياء، فالعجلة تسبب الضياع».

كثير من الصناع المهرة في القرن الثامن عشر أنتجوا منتجات عالية الجودة، فالذين زاروا (وليامزبرج Williamsburg) أو جمعوا التحف الفنية القديمة يعرفون جيداً نوع الصنعة والمجهود الذي بذل لإنتاج مثل هذه الأشياء، ومع ذلك فكيف تسنى لمثل هؤلاء الناس بدون التكنولوجيا الحديثة إنتاج مثل هذا العمل الرائع؟ وإجابتنا الأكيدة هي أنه كان لديهم وقت أكثر. ولكن هذا غير صحيح بالمرة! فإن الوقت لديهم كان في الحقيقة أقل بكثير، وفترة حياتهم الزمنية كانت أقصر، ولم يكن لديهم آلات عصرية ولا إضاءة جيدة، فكان عملهم اليومي يستغرق مدة قصيرة من النهار.

فكيف إذن نفسّر قيامهم بتلك الإسهامات الملحوظة؟ لقد كان كل شيء يتوقف على الاتجاه: لقد كانوا يهتمون بالتفاصيل والعمل الجاد الشاق، كان لديهم رغبة عارمة لإنتاج أفضل سلعة ممكنة.

عبّر عن ذلك (لاري داير Larry Dyer) أحد الرعاة بولاية ميسوري بالقول: «كان عليَّ أن أقاوم إغراء إقحام شيئين في ميعاد واحد أو أن أحاول القيام بشيء فوق طاقتي الجسمية، فلنفرض أن لديّ ميعاد الساعة ١,٣٠ لتقديم النصيحة، والوقت الآن الساعة ١١,١٥ صباحاً، وهناك رسائل المطلوب أن أرد عليها، وعليَّ قضاء المهام في البنك، وهناك بعض الكتب أريد اقتناءها من إحدى المكتبات المسيحية، فلو كان عندي موعداً لتناول الغداء، فلن أوافق على موعد الساعة ١,٣٠! فمن الأفضل بكثير أن أستمتع بالغداء وأستعد وأحصل على بعض الاسترخاء الساعة ١,٣٠ من

أن أحضر لهذا الموعد متأخراً ٧ دقائق منهكاً ومساقاً عنوة بعد أن أكون قد فقدت حماسي في هذا التأخير!». وأضاف لاري «عليَّ أن أتذكر أني لست كلّي القوة، إني فقط أعمل لأجل من هو بهذه الصفة».

٤- الجودة الحقيقية تتطلب التدريب والجهد والطاقة

سأل أحدهم (اجناس بادرويسكي Ignace Paderewski) عازف البيانو الديني الشهير: لماذا يتدرب ست ساعات يومياً، فأجاب بالقول: «لو فاتني تدريب يوم واحد فإني ألاحظ ذلك، ولو فاتني تدريب يومين يلاحظ النقاد ذلك، ولو فاتني تدريب ثلاثة أيام يلاحظ الجمهور ذلك».

وأضاف وليم باركلي مفسر العهد الجديد الشهير شارحاً هذه الحقيقة فقال: «إني لست عبقرياً، فقواي الذهنية ليست من الطراز الأول، وكل ما أنجزته قد تم بفضل إرغام نفسي على الجلوس والكتابة لعدة ساعات كل يوم».

فلكي تنتج شيئاً ذا بال، شيئاً يدوم وله تأثير على الآخرين كما فعل بادرويسكي وباركلي فإن ذلك يتطلب تدريباً ومجهوداً وطاقة، فالناس لن تتذكر السرعة التي أنجزت بها المهمة، ولكنهم سوف يتذكرون دائماً كيف أنهيت المهمة جيداً.

٥- الجودة الحقيقية تتطلب شجاعة

هناك آية محبوبة في رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي ٣:٢٣ تقول: «كل ما فعلتم فاعملوا من القلب»، والكلمة اليونانية لكلمة (قلب) هي (نفس) التي تعني كل جزء في كيانك، إنها تبدأ من القلب وتصل إلى

العقل والعواطف والإرادة حتى تخرج من أطراف أصابعك. هناك نحّات من أثينا يدعى (فيدياس) صنع تمثالاً لأثينا لا يضارع في الجمال ليوضع في (الأكروبوليس)، ويوماً كان يعمل في مؤخرة رأسها، وبينما كان يعمل بالإزميل كان حريصاً أن يبرز كل نموذج في شعرها حين علّق أحدهم بالقول «إن هذا التمثال سوف يقام على ارتفاع مائة قدم وظهره لحائط الرخام فمن ذا الذي سوف يعرف كل التفاصيل التي تبرزها هناك؟». فأجابه (فيدياس) «أنا سوف أعرف». ويمكن للمسيحي أن يضيف قائلاً «هكذا سوف يعرف الله».

٦- الجودة الحقيقية سوف تجلب معها المكافآت الأرضية وليست السماوية فقط.

لا شيء يسرّ الصانع مثل الصنعة التي تؤدى جيداً، ولا شيء يسرّ مدرسّي مدارس الأحد سوى الدرس الذي يدرس جيداً. في نهاية حياته استطاع الرسول بولس أن يكتب بضمير صالح وبتواضع حقيقي «لقد جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعي حفظت الإيمان وأخيراً قد وضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً» (٢تيموثاوس٤:٧-٨). إنه لم يكن يتوقع فقط المكافأة الصالحة في السماء بل كان على دراية أيضاً أنه قد بذل كل ما في وسعه وهو في خدمة سيده.

فما الذي يمكن عمله لتخفيض إيقاع العمل، وللبدء في القيام بالأشياء التي تدوم بدلاً من التي تبطل؟ إني أرى على الأقل خمسة تطبيقات عملية لذلك:

١- اطلب من الله إرشاداً فيما يختص بالعمل الذي يجب أن تعمله

(ليبي جتسكيLibbie Gutsche) ٦١ سنة وزوجة وأم لثلاث بنات متزوجات، كانت نشطة هي وزوجها في عدة مجالات للخدمة، فقد عملا أولاً مع الطلبة الدوليين ثم قضيا ١٤ سنة مع الطلبة الذين تخرّجوا حديثاً في الكليات للبحث عن وظيفة مناسبة، وأخيراً فتحا بيتهما للأمهات غير المتزوجات بالتعاون مع هيئة «الخدمات المسيحية لبيت عنيا »-Bethany Christian Ser) .vices)

وقد قالت لي: « في السنوات الأخيرة لم أتأثر بدوامة الأيام القاسية لأني تعلمت منذ الصغر أن أصلّي طويلاً وبلجاجة لأجل الفرص الجديدة حالماً تتاح، وتبدو الأشياء في وضعها الصحيح إذا انتظرت المدة الكافية. فالله يريني الأشياء الهامة بالنسبة لي، وما الذي يجب أن أتركه للآخرين».

٢- ضع خطّة ليومك على الورق

لا تضع الخطة في عقلك، فأقل الأشياء المكتوبة أفضل من أية ذاكرة حادة، وهذا يمكّنك من أن تحرّر أفكارك لعمل الأشياء التي تقوم بها الآن بدلاً من محاولة تذكّر الخطوة المقبلة، يمكنك أن تضع قائمة بالأشياء المطلوب

عملها.

٣- اطلب الجودة ممن هم أدنى منك

وبنوع خاص في الكنيسة، هناك حاجة ماسّة أن تطلب من الناس عمل مهمة واحدة عالية الجودة أفضل من عمل عدة مهام قليلة الجودة، فمن الأفضل إتمام مهام قليلة بشكل جيد أفضل من الكثير من المهام التي تؤدى بصورة غير جيدة. اعتاد أحد أساتذتي استخدام مثال توضيحي لرسم كاريكاتيري ذي إطارين مختلفين، رسم في الإطار الأول، مسز براون تطلب العمل كمدرسة في مدرسة محلية فأخبرها مدير المدرسة قائلاً: «لسوء الحظ يا مسز براون، إننا نفضّل المدرسات اللاتي يحملن شهادة الماجستير وأنت لست حاصلة إلا على شهادة البكالوريوس، وأيضاً لديك مدة خبرة لسنة واحدة، ونحن نفضل المدرسات ذوات خبرة لمدة خمس سنوات على الأقل، وأخيراً نحن نتوقّع منك الدراسة لمدة خمس عشرة ساعة على الأقل في الأسبوع وأنت قد أوضحت أنك مع عائلتك لا تستطيعين الدراسة سوى عشر ساعات فقط،.ولذا فنحن مضطرون لعدم قبولك في هذه الوظيفة».

والإطار الثاني يصوّر نفس المدرسة، فقط نرى المدير كرئيس لمدرسة الأحد محاولاً إقناعها أن تتولى التدريس للأطفال الصغار وهو يقول لها: أؤكد لك يا مسز براون أن الدرجات العلمية لا تهم هنا، أما عن مدة الخبرة فأنت ليس لديك مدة خبرة كافية وهذا لا يهم، فسوف تتعلمين بمرور الوقت، و أخيراً فعدد ساعات الدراسة غير مطلوبة فأقل من نصف ساعة أسبوعياً تكفي، إننا نبحث فقط عن ذوي القلوب المتحمسة للعمل».

وكان الأستاذ ينهي كلامه دائماً بالقول:« هل تعرف الهدف من ذلك الرسم الكاريكاتيري؟ في الكنيسة أي شيء يصلح لخدمة الله». كم من المحزن أن يكون تصرفنا هكذا في اسم المسيح.

إنني أعمل مع إحدى محررات مجلة «ريدرز دايجست» وقد كانت أحياناً تعيد إليّ كتاباً منسوخاً على الآلة الكاتبة خمس أو ست مرات قبل أن نعيد تصحيحه بصورة لائقة، وقد اكتشفت أني لا أكره ولعها بالكمال بل أجد مشقة في ذلك، ولقد تعلمت أن أصبح كاتباً أفضل وأكثر انضباطاً من خلال إرشاداتها ومساعدتها، وطلبها للجودة مني قد جعلني أكثر إدراكاً لما يعنيه عمل الأشياء بصورة متميزة طوال الوقت.

٤- أن تكون لديك قليل من الخبرات في الكنيسة أو حتى خبرة واحدة أسبوعياً من الخبرات عالية الجودة، أفضل من أن تكون لديك خبرات كثيرة عادية أو ضئيلة.

لقد أسس (جين جيتز Gene Getz) خدمته لتجديد الكنيسة على فكرة خدمة تعبدية واحدة مركّزة في الأسبوع، مع عقد اجتماعات أخرى في المنازل في أوقات أخرى، فهو يقول «نحن لا نريد أن نجعل الناس متوتّرين، ولذا فنحن نضع جدولاً لخدمة تعبدية واحدة متميزة في الأسبوع». هذا لا يعني أن يخرج الرعاة ويكفّون عن أداء خدمات الأحد والأربعاء الليلية وخدمات أخرى في جداول الاجتماعات، ولكن هناك عدداً من الأسئلة الصعبة تحتاج لإجابة:

* هل نحن بحاجة إلى نظام الخدمة المعمول به حالياً؟

* هل يمكن الاحتفاظ بالنوع وسط الكم؟

* هل علينا أن نختار من بين عدة بدائل للاحتفاظ بخدمة متميزة؟

* وأهم من هذا كله: هل نظام الخدمة الحالي يمجد الله، أم نحن نحاول ببساطة الاحتفاظ بجسم طاف فوق الماء أطول مدة ممكنة حتى وإن كان هذا الجسم شبه ميت؟

٥- استخدم التكنولوجيا الحديثة وخاصة الكمبيوتر

منذ خمسة أعوام كنت أخاف من العقول الإلكترونية، فخبرتي في الكلية بالنسبة للبطاقات المثقوبة وبطاقاتFortran جعلتني حذراً ، ولكن بعد استعمال جهاز الـIBM في عملي أعرف جيداً قوة الكمبيوتر، ومنذ أن حصلت على جهاز ماكنتوش في مكتبي بالمنزل زادت حصيلة معلوماتي عشرة أضعاف دون التضحية بوقت العائلة أو البيت، فالعقول الإلكترونية ليست فقط سريعة، ولكنها أيضاً أكثر دقة من أي إنسان مهما حاول. وهي أيضاً سهلة الاستعمال، وإنني لست على استعداد لأن أقايض جهاز الـ Mac بعدد كبير من الآلات الكاتبة وآلات كتابة العناوين ونظام الملفات أو أي نظام آلي آخر.

الاختيار الكبير

وفي النهاية فهذا التفضيل للنوع بدلاً من الكم يمكن أن يكون أهم اختيار نقوم به في حياتنا، فتفضيل النوع لا يسمح لنا بإنتاج أفضل فقط

بل يمنحنا متعة لا تُنسى.

فكرة مفيدة

إلق نظرة فاحصة على إنتاجك. هل هو ذو جودة عالية أم لا؟ إذا لم يكن كذلك فقد تحتاج للتراجع والتركيز لكي تفعل شيئاً واحداً كاملاً، وبالتمام بدلاً من عمل العديد من الأشياء الناقصة وغير الكاملة.

[٣٢]

«جاك» الذي لا يتقن كل الحرف، أم الشخص الذي يتقن حرفة واحدة؟

«أعطني رجلاً يقول: «إني أفعل شيئاً واحداً» كبولس، وليس «إني أهوى العمل في خمسين حرفة مختلفة». (د.ل مودي)

كان صموئيل تيلور كلوردج كاتباً متعدد المواهب وشاعراً ذا ذكاء خارق ومهارات لغوية متميزة، ومع ذلك يكتب وليم باركلي عن حياة هذا الرجل قائلاً:

«يمثل كلوردج قمة مأساة عدم الانضباط، فلم يحدث أبداً أن عقلاً مبدعاً كهذا ينتج كمّاً بهذه الضآلة، لقد ترك جامعة كمبردج ليلتحق بالجيش وترك الجيش لأنه لم يستطع أن يروض حصاناً، وعاد لجامعة أكسفورد وتركها دون الحصول على درجة علمية، وأنشأ صحيفة أسماها «الحارس» استمرت لبضع الوقت ثم تلاشت. لقد قيل عنه «لقد خسر نفسه وأضاعها في رؤى لأعمال لم تتحقق، وظلت دائماً دون اكتمال، لقد كان كلوردج يمتلك كل موهبة شعرية ما عدا واحدة، وهي موهبة الجهد المتواصل المركّز»، لقد كانت كل أنواع الكتب موجودة في رأسه وفي ذهنه كما قال هو نفسه «إن الكتب مكتملة وليست بحاجة إلا للنسخ» وكما يقول هو «إني على استعداد لإرسال مجلدين للمطبعة فوراً»، ولكن الكتب لم تر النور ولم تخرج عن دائرة ذهن كلوردج لأنه لم يتجشم مشقة الجلوس وكتابتها».

تركيز الجهد

إننا بحاجة للنظام والانضباط للوصول إلى نتيجة دائمة مرضية، ولكن هناك شيء آخر يمكن أن أسميه تركيز الجهد، فمن الواضح أننا لا نستطيع أن نفعل كل ما نريد، ولكن يمكننا أن نركّز على أشياء قليلة وربما على شيء واحد فقط، ولا داع لأن يكون هذا الشيء ضخماً، مجرد شيء نَهَب حياتنا له ونعطيه كل اهتمامنا.

قليلون منا من سمعوا عن (جيرالد بيريث Gerald Pereth) الإنجليزي المولد وهو بحّار في الأسطول التجاري البريطاني، كان يعتقد دائماً أنه يستطيع أن يبذل كل ما في وسعه، وقد أسندت إليه مهمة تقشير البطاطس في المطبخ، فاتخذ (بيريث) قراراً بأنه إذا كان تقشير البطاطس مهمته التي يجب أن يقوم بها فليؤدها جيداً، وكان يعمل لإزالة القشرة الخارجية كما كان يعمل مايكل أنجلو في نحت تمثال (البيتا Pieta)، وسرعان ما بدأ الطهاة يبدون إعجابهم بالبطاطس النظيفة التي بلا عيوب من إنتاج (بيريث) حتى سرت سمعته في كل أرجاء الأسطول.

وماذا يفعل مستر بيريث اليوم؟ إنه يقوم بعمل خاص يدر عليه دخلاً- فهو يزود أفخر مطاعم لندن بالبطاطس المنتقاة والمقشرة جيداً. قد لا تعتبر ذلك عملاً فخماً أو رائعاً، ولكن من العوامل الكبرى التي تزيد أزمة الوقت الطاحنة التي يواجهها كثيرون من المسيحيين اليوم لا تتمثل فقط في مشكلة الكم والنوع بل في مواجهة المشاكل البسيطة. إنهم يوزعون جهدهم على أشياء كثيرة. هناك حاجة ماسة لتحجيم أدوارنا وعمل شيء واحد بدقة

أفضل من اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو عشرة أشياء بدون عناية.

إنني لا أريد أن أحدث خلطاً بين ما قلته في الفصل السابق وهذا الفصل، ولكن دعني أقدم عدة نقاط هامة.

١- *كن خبيراً في شيء ما*

سمعت مرة أحد الوعاظ يقول:«إن الخبير هو شخص لا يعرف أكثر مما تعرفه ولكن معرفته منظمة، وهي على شكل شرائح يستعملها عند اللزوم. هذا صحيح ولكن هناك شيء ما يتعلق بالتركيز على شيء واحد».

قيل على لسان جورج واشنطن كارترGeorg Washington Carther إنه سأل من الله أن يخبره عن أسرار الكون، فقال له الله إن هذا شيء أكثر من أن يُعطى لك، فعليه أن يختار شيئاً أصغر من ذلك، ولذا طلب (كارتر) أن يعرف أسرار الفول السوداني، ويبدو أن الله استجاب ذلك الطلب لأن اكتشافات (كارتر) ماتزال معنا إلى اليوم.

إن الإنسان ليشعر برضى تام وقناعة كبرى في الإلمام التام بموضوع معين أو بتطور مهاراته في اتجاه واحد من اتجاهات الحياة. وربما ترجع أزمة الوقت الطاحنة التي نعاني منها إلى أننا قد اخترنا دراسة الغابة بدلاً من الشجرة أو الورقة أو حتى الساق. فبدلاً من الالتفاف حول العديد من الأنشطة، حاول التركيز على نشاط واحد فقط. وهذا ينطبق بنوع خاص على العائلات التي لديها أطفال، فنحن الآباء نرغب في اختيار أفضل الأشياء لأطفالنا، وحسناً نفعل ذلك، ولكننا نُبلي أنفسنا بالجري هنا وهناك، وبكثرة الأجهزة التي نشتريها، والعروض التي نريد أن نشاهدها، فبدلاً من ذلك اختر شيئاً

واحداً أو اثنين وركّز على تجويده.

٢- تعلم أن تؤدي مهمة واحدة في الكنيسة ولتؤدها جيداً ثم أضف شيئاً آخر إن أردت.

سمعت هذا المبدأ مراراً وتكراراً من الناس الذين ملأوا استمارة الاستفتاء الذي وزعته، يمكنك أن تأخذ مهاماً أخرى في الكنيسة فقط إذا كان لديك مهمة استطعت السيطرة عليها جيداً. قال بولس (إني أفعل شيئاً واحداً) ونقيض ذلك هو القول « إني لا أفعل هذه الأشياء العديدة! ».

وكتب د.ل مودي بالمثل «أعطني رجلاً يقول «إني أفعل شيئاً واحداً» كبولس وليس إني أهوى العمل في ٥٠ حرفة مختلفة.قاوم دوامة العمل كهاوٍ في مجالات عديدة، عليك أن تختار: هل سأقوم بخدمة متميزة أو أوزّع نفسي على العديد من المهام بحيث لا يشعر أحد بتأثير العمل الذي أقوم به؟ ».

قالت لي (جودي ونتر) زوجة أحد الرعاة في (دنفر بكلورادو): «في آخر كنيسة كنا فيها، قررت ألا أكون ضمن أفراد جوقة الترنيم، كان عليَّ أن أضع الأولويات ولم أستطع أن أبذل الجهد المفروض أن أبذله، لقد تعلمت في أول عام لي في الكنيسة أن أقوم بعمل شيء واحد فقط، وكان هذا العمل مجرد الانضمام لمجموعة من المجموعات، وليس إلى اللجان! ».قال بيل تامولونيس الذي أشرت إليه من قبل: «إننا نقلّل من عدد الأنشطة التي أشارك أنا وزوجتي فيها ونجعلها قاصرة على نشاطين في الأسبوع، والآن نحن نشارك في أحد الأنشطة المتعلقة بالزواج. وفي النشاط المتعلّق

بالكنيسة الملحقة بالمنزل، ولا نضع خططاً لأي شيء يحتاج إلى الاجتماعات المنتظمة».

٣- ارفض أن تفعل شيئاً لمجرد أنه هو المتاح

قام أحد متسلقي الجبال بتسلق الجبل «لأنه كان هناك»، وكثير من الناس يشغلون وظائف في الكنيسة، ويقولون «لأني إذا لم أشغل هذه الوظيفة فلن يقوم بها أحد»، فلربما يكون من الأفضل ترك هذه الوظيفة دون أن تؤَدى!

أرجو عدم إساءة فهم ما أقول، فأنا لا أدافع عن وجهة نظر أنانية تقول: «إن هذه الوظيفة لا تتفق مع أهدافي، ولذلك فسوف لا أقوم بها»، بل أنه يجب أن يكون لدينا نفس روح الخدمة التي اتسم بها يسوع، لقد عبّر عن ذلك (لاري دايرLarry Dyer) بالقول:«إن إدارة الوقت تعني الإصرار على أن تجبر الآخرين لخدمة آرائك واعتباراتك. و لكن أعظم نموذج للدور الذي يمكن أن نقوم به يتمثل في القول «إن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليَخدم».

ولكن حتى يسوع نفسه كان يعرف محدوديته كإنسان، لأنه لما رأى يسوع جموعاً كثيرة حوله في متى ١٨:٨ «أمر بالذهاب إلى العبر» لقد كانت له أولويات وأهداف ورسالة ليتمّمها، إنه لم يفعل الأشياء ببساطة لمجرد أنها كانت متاحة.

٤- ركّز على اليوم

قال (سيدني ج هاريس):«إن فن الحياة الناجحة عبارة عن القدرة على التمسك بفكرتين متعارضتين في نفس الوقت:

أن نضع خططاً طويلة الأمد كما لو كنا سنعيش إلى الأبد، وأن نروّض أنفسنا كما لو كنا سوف نموت غداً».

فاليوم هو كل ما لدينا، ونحن لا نعرف أبداً إن كان هو آخر يوم في حياتنا أم لا. و«جاك» ذو الحِرف الكثيرة أمامه عشرون مهمة في وقت واحد، وربما لا توجد مهمة واحدة قد استطاع أن ينهيها، والخبير يركّز على مهمة واحدة فقط، وهو لا ينجز الشيء فقط بل ينجزه جيداً وهو مسترخ وابتسامة سعيدة تعلو وجهه.

هناك القصة القديمة عن الفلاح الذي خرج للصيد مع كلبه، وعندما رجع كان الفلاح ما يزال نشطاً، ولكن الكلب كان يرقد على الأرض منهكاً.فسأله أحدهم عن الأمر فقال «حسناً، لم يكن المشي هو السبب، لقد سرت أنا والكلب مسافة ١٠ أميال فقط، ولكن لم تكن هناك بوابة مفتوحة على طول الطريق، فلم يستطع أن يدخل لفحص المكان كله، ورغم عدم وجود أي حيوان إلا أنه كان يتحرك كما لو كان يطارد قطة وأرانب أيضاً، ولم يكن هناك كلب ينبح، ولكنه أنهك نفسه في النباح مظهراً رغبة في الشجار، فلابد أنه قد سار مسافة ٥٠ ميلاً مقابل العشرة أميال التي سرتها أنا، كلا لم يكن الطريق هو الذي أنهكه بل السير المتعرج».

وإني أخشى أن تكون أزمة الوقت الطاحنة التي نستشعرها بسبب نظام الحياة المتعرّج الذي نسلكه في الحياة، إننا يجب أن نصوّب نحو الهدف ونصل إليه.

أحد السادة

(ساتشيل بيج Satchel Paige) قاذف كرة البيسبول الأفريقي الأمريكي العظيم كان أحد الذين قاموا بهذه المهمة جيداً، وقبل الانضمام للاتحاد الأمريكي للعبة في سن ٤٢ كان قد قذف الكرة في . . ٢٥٠ لعبة في مناطق مظلمة كسب منها . . . ٢٠٠ لعبة، وفي إحدى السنوات لعب ١٥٣ لعبة، واستمر في مزاولة اللعب لمدة ٢٩ يوماً متواصلة. وقد سأله أول مدير له: «هل تقذف الكرة بهذه الشدّة دائماً؟».

فأجاب (بيج) بدعابة متميزة: «لا يا سيدي، إني أفعل ذلك طول الوقت!».

(ديزي دين Dizzy Dean) الأستاذ بسانت لويس خسر مرّة ١٣ جولة في البيسبول أمام (بيج) ١/صفر، وقال «إن كرتي السريعة تبدو كمجرد تغيير للخطوة بالمقارنة بتلك القذفات التي تشبه رصاصات المسدس الصغير المنطلقة نحو اللوحة».

لقد كان (بيج) ملك السيطرة، فقد كان يستطيع تثبيت خمسة مسامير في لوحة بعشر رميات ، وفي سن التاسعة والخمسين كانت رمياته في الثلاث جولات الأخيرة كالآتي: أولها اندفاع بقوة ونشاط، والأخرى رمية والثالثة دون جدوى، وكانت عبارته المأثورة تقول:«لا تنظر للخلف، فقد يتغلب عليك شيء ما». ومات (بيج) في سن الـ٧٥ في عام١٩٨٢ ولكن تراثه يبقى، لقد اختار أن يكون ملماً إلماماً تاماً بشيء ما. وأنهى حياته

ليس (كجاك) بل كملك في بلاط الملكة.

فكرة مفيدة

ما هو الميدان الذي يمكن أن تعتبر نفسك خبيراً فيه؟ كيف يفيدك هذا في مملكة الروح؟ هل هو شيء يمجد الله حقاً؟ وإذا لم يكن الأمر كذلك إذن فلماذا تضيع وقتك فيه؟

القسم الرابع

يمكن كسب المعركة

[٢٣]
الخاتمة: خذ وقتا كافيا لترقص فرحا

«إحصاء أيامنا هكذا علمنا فنؤتى قلب حكمة».   (مزمور. ٩٠: ١٢)

لقد اكتشفت معامل (بل) شيئاً مذهلاً ألا وهو أصغر جزء في الثانية قد أُكتشف حتى الآن، ويُطلق عليه باللغة الإنجليزية لفظ Femtosecond.فما هو؟ إنه أصغر شريحة من الوقت اكتشفت حتى الآن، ففي ثانية واحدة يمرق الضوء للأمام بسرعة ... ١٨٦,٠٠٠ ميل أي أكثر من نصف المسافة إلى القمر، ولكن العلماء الآن يمكنهم إطلاق شعاع من ضوء الليزر يدوم لمدة ٣. على مليون من واحد على بليون جزء من الثانية، ففي خلال هذا الجزء يسافر الضوء مسافة تقلّ عن سُمك شعرة بشرية. تخيل أن تُكلف بعمل لا يؤدى في أيام أو ساعات أو دقائق أو ثوان بل في أجزاء ضئيلة كهذه! ومع ذلك فعليَّ أن أعترف، عندما لاحظت السرعة التي يطلق بها الفتى الذي يجلس في السيارة التي خلفي النفير، عندما تحولت الإشارة إلى اللون الأخضر، أن ذلك يمكن أن يحدث فعلاً.

رجاء للمسرعين المنهكين

وبنفس الطريقة أريد أن أشجعك على السعي نحو الهدف بدلاً من الاستسلام «أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام، أسعى نحو الغرض

لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع» (فيلبي٣:١٣).يقدم لنا بولس ثلاث نصائح هامة خاصة بالوقت والحياة والمصير.

أولاً: فلتنس ما هو وراء

هل مررت في ظروف صعبة وارتكبت أخطاء، وبدّدت وقتك؟ وكانت اختياراتك خاطئة؟ فلتنس ذلك، ولا تفكر فيه. اعترف إن كان هناك ضرورة لذلك، واترك هذه الأخطاء خلفك حيث يجب أن تكون مدفونة في ذلك المكان الذي يقول عنه الله إنه بعيد كبعد المشرق عن المغرب.

من أسباب وجود أزمة الوقت التي نعاني منها أو الأخطاء التي ارتكبناها هو أننا لا نتعلم منها، فكوكب الأرض هو معمل عملاق يعدّنا فيه الله لملكوت أبدي في السماء، افحص أخطاءك وادرسها، اعترف بها وتعلم منها، ولكن لا تنفعل بسببها، فالله لن يحضرها أمام الملائكة، وفي حضرة يسوع وفي وجود والدتك أو في وجودك لن يحضرها مرة أخرى! ولذا انسها.

ثانياً: امتد إلى ما هو قدّام

والكلمة تعني «الامتداد» كما يفعل العدّاء عندما يجتاز حلبة السباق بسرعة فائقة نحو شريط المنتهى، اندفع للأمام ، استعد للفرص التي يتيحها لك الله وامتد لتلتقي بها في الزمان والمكان، إن لله خططاً عظيمة، ولذا اجر نحوها لتحيتها بأذرع مفتوحة.

ثالثاً: فلتسع نحو الهدف

أي هدف؟ كسب الجائزة التي يشتاق الله أن يعطيك إياها في السماء!

فأن «تسعى» يعني أن تجري للأمام بشغف لكي تمسك بشيء، وبمعنى آخر فلتذهب وراء الجائزة التي تستحقها، ولا تستسلم، كما قال بولس في عدد آخر «إذاً يا إخوتي الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مكثرين في عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب» (١كورنثوس ١٥:٨٥).

العناية الرقيقة المحبة

(بيتر دركر) واحد من أعظم الكتّاب العلمانيين في إدارة الوقت قال «كل شيء يتطلب وقتاً، فهذه حالة حقيقية شاملة، فكل عمل يحدث في وقت ما يستهلك الوقت، ولذلك فمعظم الناس يعتبرون الوقت الهبة الفريدة والضرورية والذي لا يمكن الاستغناء عنه قضية مسلم بها. فربما لا شيء آخر يميز المديرين الناجحين سوى عنايتهم المحبة الرقيقة بالوقت». فإذا كان المديرون ينظرون إليه هذه النظرة فكم بالأولى ابن الله!

(هوارد هندركس) متحدث مسيحي عن موضوع الإدارة والوقت لخّص مشاعره الخاصة بهذه الطريقة: «إن ضغط الوقت قد أعطاني إحساساً أعظم بالأمور الملحة العاجلة، ورأيت التغيير يحدث عندما بلغت الستين، وأدركت أنه ليس أمامي وقت أستطيع فيه أن أترك تأثيراً كبيراً لأجل المخلّص، فكل ما أملكه مجرد شريحة قليلة من الوقت، وما جاء في مزمور(١٢:٩٠.) خير هاد لي في الطريق، لقد جلست أنا وزوجتي واتفقنا على مجموعة معينة من الأهداف، ونحن نتساءل إذا كان الرب يعطينا عشر أو عشرين سنة أخرى

في الحياة والخدمة، فكيف نمضيها لنكون في أقصى حالات الإنتاج بالرغم من محدودية الوقت والطاقة؟

هذا هو السؤال الذي يجب علينا أن نسأله.

ولكن الإجابة ليست مجرد أن تخطط أفضل وأن تضع أهدافاً أوضح، وأن ترتب قوائم وتضع أولويات ولكن أيضاً أن «تسعى»، استمر في التحرك للأمام، لا تستسلم، لا تقلق بشأن الماضي، ضع نصب عينيك ما هو أمام، وعندما تلتقي بفرص الخدمة والمحبة والعطاء وقهر العدو فانتهزها بخطوات غير متعجلة، فالله نفسه سوف يعطيك الوقت لتفعل الصواب وتمجّده في وسط هذه الظروف.

ولكن هناك شيء آخر، وربما أكثر أهمية.

وآثار الأقدام

أفكّر دائماً في تلك القصة عن آثار الأقدام، فقد حلم رجل إنه كان يمشي على شاطيء البحر وسط العاصفة، ورأى مجموعتين من آثار الأقدام جنباً إلى جنب: آثار أقدامه هو وآثار أقدام الرب، ولكن عند نقاط معينة عندما تتحول العواصف إلى أمطار وينزل الثلج تختفي المجموعتان وتبقى واحدة فقط، فدهش الرجل وسأل الرب «لماذا لم تكن معي في أقسى اللحظات؟ فرد يسوع بهدوء «تلك كانت الأوقات التي حملتك فيها».

إنها صورة جميلة.

تنوّع الفكرة

ولكن ربما نستطيع تغيير القصة قليلاً لتتلاءم مع المشكلة التي نعانيها كلنا بخصوص الوقت، فالآن تخيل أنك أنت والرب يسوع تسيران في الطريق معاً، ففي معظم الطريق تسير في آثار خطوات الرب بثبات وتواصل ونادراً ما تتغير الخطوة، وأما خطواتك فهي تظهر كنبع غير منتظم من التعرّجات والبداية والتوقف والالتفاف والدوائر والرحيل والعودة. إنها تسير هكذا أغلب الطريق، ولكن تدريجياً تتفق آثار خطواتك مع آثار خطوات الرب وسرعان ما تتوازى معها باستمرار، فأنت ويسوع تسيران كأصدقاء حميمين. هذا يبدو عظيماً، ولكن شيئاً ما يحدث: فآثار خطواتك التي كانت ذات مرة تحف بالرمال بجوار آثار خطوات السيد تسير الآن بالضبط في إثر خطواته، فبداخل آثار الخطوات الكبيرة توجد آثار خطوات القديس و«هي» محاطة بآثار خطوات الرب في أمن تام، فأنت ويسوع تصبحان واحداً.

يمضي الأمر هكذا لأميال عديدة، ولكنك تلاحظ تغييراً آخر بالتدريج فآثار الخطوات بداخل آثار الخطوات الأصغر تبدو أنها تكبر، وفي النهاية تختفي تماماً، وتوجد مجموعة واحدة من آثار الخطوات، لقد أصبحا واحداً. ويستمر هذا أيضاً لمدة طويلة، ولكن شيئاً مخيفاً يحدث، فالمجموعة الثانية من آثار الخطوات نجدها في الخلف، وهذه المرة تبدو أردأ، فنرى التعرجات في كل مكان ونرى التوقف والبداية من جديد، ونرى آثار جروح غائرة في الرمال، والنتيجة مجموعة آثار خطوات في تنافر واضح فتصاب بالذهول

وتصطدم، ولكن هذه هي نهاية حلمك. والآن فإنك تقول «يا رب، إني أفهم المنظر الأول بما فيه من تعرجات وبدايات وهكذا، لقد كنت مسيحياً جديداً، أحاول أن أتعلم،ولكنك سرت في العاصفة وساعدتني لكي أتعلم السير معك».

«هذا صحيح»

«وأفهم أيضاً عندما بدأنا أنا وأنت في السير جنباً إلى جنب، أني أرى أني كنت أتعلم أن أسير معك بخطوات هائلة».

«وهذا صحيح أيضاً»

«نعم، وعندما أصبحت الخطوات الأصغر داخل خطواتك كنت في الحقيقة أتعلم أن أسير في إثر خطواتك، كنت أتبعك عن كثب، «حسناً، لقد فهمت كل شيء حتى الآن»

«ثم كبرت آثار الخطوات الأصغر، وفي النهاية ملأت مكان خطواتك. افترض أنني كنت في الحقيقة أكبر كثيراً حتى أني كنت أصير مثلك في كل شيء»

«بالضبط»

«ولكن هذا هو سؤالي يا رب، هل كان هناك ارتداد أو نكوص؟ لقد رجعت الخطوات إلى الوراء بمقدار خطوتين، وكانت هذه المرة أسوأ من البداية»

هنا يبتسم الرب ثم يضحك «ألم تعرف؟». أنه يقول «كان ذلك حين تمشينا معاً»

هدفي

إن كان هناك هدف من هذا الكتاب فهو هذا: إن الوقت ليس عدماً، يمكنك استعماله جيداً، يمكنك أن تستعمله لمجد الله. نعم سوف تظل هناك مواعيد فاصلة لا رجعة فيها، وسوف يظل هناك هؤلاء الأزواج الذين ليس لديهم صبر، الذين يهرولون وهم ينزلون على السلم بينما تضع زوجاتهن اللمسات الأخيرة في مكياجهن ويكون السبب في تأخير الزوج عن موعد العشاء، وسوف تظل هناك تلك الأمسيات الطويلة المُملة التي تبدو أنها تنتهي قريباً.

ولكن سيكون هناك شيء آخر

نعم- ضع خطة واعمل قائمة بالأشياء التي سوف تفعلها، استخدم كتاب مواعيدك، اقتل ثلاثة عصافير في دقيقة واحدة. نظّم نفسك، ضاعف الفرص المتاحة لك واستغلها تماماً. أعط، قدّم الحب، تواصل مع الآخرين، ابحث لنفسك عن مكان ما، وعن لحظات قليلة تختلي فيها بنفسك، نعم كل هذا، ولكن عليك بأشياء أخرى، كما نصحنا سليمان في سفر الجامعة:

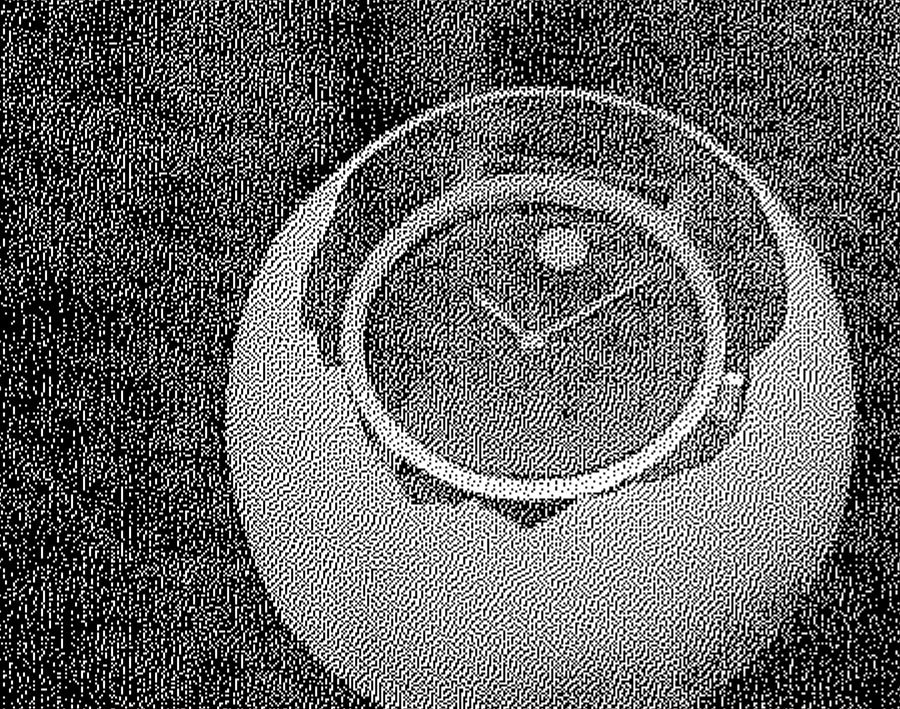
استمتع بالحياة

استمتع بعطايا الله

استمتع بالرب نفسه

وأحياناً عندما تجد نفسك وجهاً لوجه مع الرب «عندما تشعر بالامتنان

له، وتشعر أن قلبك مفعم بالحب له، عندما تجد نفسك في تلك اللحظة من العبادة الغامرة بالفرح والتي لا يستطيع أن يعرفها سوى المسيحي، في تلك اللحظات فلترقص فرحاً .



يضع أمام القارىء المصرى والعربى كيفية التكيف مع عنصر الوقت باختيار الأولويات الهامة فى الحياة، وكيف يستفيدون من الوقت المتاح لنجاح عملهم وسعادة أنفسهم وسعادة عائلاتهم، وفى خلق علاقة طيبة مع الله والناس .

ودار الثقافة إذ تنشر هذا الكتاب باللغة العربية، تدرك أنها تنشره فى الوقت المناسب ليساعد القراء على تحاشى التوتر والإنزعاج، واستغلال الوقت بطريقة أفضل ليعيشوا حياة أكثر هدوءا مع أنفسهم ومع الله.



١٠١٠٠٢٣٥